المرأة في مصر في العصر الفاطمي

تأليف
د . نريمان عبد الكريم أحمد
مدرس التاريخ الاسلامي بآداب المنوفية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣



الاخراج الفنى : مراد نسيم

تقـــــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب عن المرأة فى العصر الفاطمى ، للدكتورة نريمان عبد الكريم ، مدرس التاريخ الاسلامى بكلية الآداب ـ جامعة المنوفية ٠

والكتاب فى الأصل هو رسالة علمية حصلت بها صاحبتها على درجة الماجستير فى الآداب من جامعة عين شمس ، وبالتالى فتنطبق عليه مقاييس الدراسة التاريخية العلمية الراسخة ، من ناحية المنهج، والمصادر ، والتمحيص العلمى الدقيق ، والمنظور الجديد ، والمادة العلمية الجديدة ٠ وهو على هذا النحو جدير بأن يقرأ ، وأن يجد مكانه فى المكتبة العربية بصفة عامة ، وفى سلسلة تاريخ المصريين الراسخة القدم بصفة خاصة ٠

ويتناول الكتاب الأحوال الاجتماعية للمرأة فى العصر الفاطمى، وتتعرض فيه المؤلفة لحقوق المرأة وحريتها فى التعليم والمهن والتجارة وقضاياها ، وتتحدث عن الجوارى ومكانتهن فى المجتمع ، والزواج والأسرة ، وملابس المرأة ، وحليها وحماماتها ٠ ثم تتناول زوجات الخلفاء وأحوالهن وألقابهن وثرواتهن ٠

كذلك تناولت الباحثة الأحوال الدينية للمرأة فى العصر الفاطمى، من خلال المذهب الشيعى ، ومن ناحية المواريث واشتراك المرأة فى الدعوة الشيعية ٠ وتعرضت لأحوال المرأة الذمية ، سواء أكانت مسيحية أم يهودية ٠

وأولت الباحثة عناية خاصة للدور السياسى للمرأة فى العصر

الفاطمى فيما يتصل بتدبير شئون البلاد ، وتعرضت لدور ست الملك ، والملكة أم المستنصر ، وأخت المستنصر ، وأم المستعلى ، وأخت نزار، وأخت الظافر ، وعمة العاضد ـ وهى أدوار أثرت تأثيرا سلبيا أو ايجابيا فى حياة مصر الفاطمية ٠

وقد رجعت الباحثة الى أوثق المصادر التاريخية ، من مكاتبات ومراسلات وخطب وتوقيعات ووثائق البيع والشراء ، وأهمها رسائل الحاكم بأمر الله ، والسجلات المستنصرية ، وأوراق البردى العربية ، ووثائق الجنيزة ، فضلا عن الآثار من نقوش وغيرها ، وكتب التاريخ الاسلامى الأصلية ، والمراجع الحديثة فى التاريخ الاسلامى ٠

وكما يعرف قراء هذه السلسلة التاريخية ، فقد أولينا عناية كبيرة بالتاريخ الاجتماعى لمصر على مدى العصور ، ونشرنا عديدا من الدراسات التاريخية التى تناولت : القضاء الشرعى فى العصر العثمانى ، والجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ، والتصوف فى العصر العثمانى ، والمجتمع الاسلامى والغرب ، والأوقاف والحياة الاقتصادية فى العصر العثمانى ، والقضاء المصرى الحديث ، والفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر العثمانى ، وتاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ، والمجتمع الريفى فى عصر محمد على ، والرأسمالية الصناعية فى مصر ٠

ومن هنا يأتى هذا الكتاب عن المرأة فى مصر الفاطمية ، جزءا فى هذه المنظومة العلمية التى ترسم لقارىء هذه السلسلة صـــورة متكاملة عن تاريخ مصر الاجتماعى عبر العصور التاريخية المختلفة ٠

والله الموفق ؟

رئيس التحرير

أ ٠ د ٠ عبد العظيم رمضان

مقدمـــة

تبدو أهمية هذا الموضوع فى الدور الذى قامت بـه المرأة فى الفترة التى حكم فيها الفاطميون مصر ، والتى امتدت من عام ٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١ م ٠

ولذلك فهو يقصد القاء الضـــوء ، على أحوال المرأة ، التى عاشت فى تلك الفترة سواء أكانت شريفة عاشت فى القصر الفاطمى أم مصرية من تراب مصر ، بما فى ذلك المرأة المسلمة والذمية أو من الجوارى ، هذا لأن مجتمعات العصور الوسطى الاسلامية تتميز بوجود هذه الفئات الثلاث ، والتى تختلف فيها كل فئة عن الأخرى، من حيث الحياة التى عاشـتها ، مما يجعلها تكون قطاعا مستقلا فى المجتمع ٠

ومما لا شك فيه ان أحوال المرأة المسلمة وقتذاك ترتبط بأحوال الخلافة الفاطمية بصفة عامة ، من حيث مذهبها الشيعى وتراثها ، وكذلك من حيث ظروفها السياسية ، التى مهدت لبعض الشخصيات

النسائية الظهور على مسرح الأحداث ، والتى تميز بعضها بالقدرة على تسيير شؤون الحكم بمقدرة فائقة .

لذا فان دراسة هذا الموضوع تتيح الفرصة للدارس أن يتعرض لاحوال مختلفة ، سواء أكانت اجتماعية وهى فى المقام الأول ، أم دينية ثم اخيرا السياسية ، حتى يتسنى له أن يعطى صورة شاملة عن تلك الحياة التى عاشـــتها المرأة واحـوالها المختلفة فى هذه الفترة .

ويشـــتمل البحث على ثلاثة ابواب ، نتناول فيها الأحوال الاجتماعية والدينية ثم السياسية للمرأة فى مصر فى العصــــر الفاطمى .

الأول : يتضمن خمسة فصول ، لدراسة الأحوال الاجتماعية للمرأة ، ففى الفصل الأول نتناول أحوال نساء القصر الفاطمى ، اذ كان لابد من تناول أحوالهن على حدة ، لأن ساكنات القصور كن يتميزن فى الغالب عن عامة المصريات بأنهن فاطميات . اذ توفرت لهن حياة ناعمة ، فشاركن واشتركن فى الاحتفالات ، والمناسبات، التى كانت تقام بالقصر الفاطمى ، فضلا عن ذلك ظهور بعض الشخصيات النسائية التى لعبت دورا هاما بالقصــــر من زوجات واخوات الخلفاء ، نتيجة لما حظين من مكانة عالية لدى الخلفاء ، وكذلك تميزهن عن المصريات باتخاذ الالقاب والعلامات ، كما أن ثراء الخلفاء الفاطميين قد أتاح لهن الفرصة فى أن ينفقن الكثير فى تشييد بعض المنشآت ، لاسيما الدينية منها .

اما الفصل الثانى ، فيتناول احوال المرأة المصرية من حيث حصولها على حقوقها وحريتها ، والتى تمثلت فى مشاركتها فى

الحياة العامة من خلال المهن التى مارستها والتى تناسب قدراتها كامرأة ، ومشاركتها فى الحياة الاقتصادية • ثم موقفها من أوامر الخليفة الحاكم بأمر الله ، والتى صدرت ردا على تصرفات بعض النساء العابثات ، وشملت جميع المصريات حتى حبسن فى بيوتهن سبع سنوات •

كما أن دور المرأة أيام المجاعات يعد مثالا رائعا لموقفها من سياسة الدولة ، وانتقادها بشجاعة وسخرية ، ثم تميزت المرأة بالجرأة ، عندما رفعت شكواها الى الوزير متظلمة من القاضى وكذلك تقديم قضاياها لساحة القضاء للفصل فيها ، يعد مظهرا آخر للحفاظ على حقوقها وحريتها •

والفصل الثالث يتناول أحوال الجوارى بصفة عامة ومكانتهن فى المجتمع وكيفية عتقهن ثم الأسعار الشائعة للجوارى فى تلك الفترة • وكذلك أحوال الجوارى اللائى يعملن فى القصر الفاطمى ويطلق عليهن المستخدمات ويقمن بعدة أعمال منها الوظائف والأعمال العادية ، أو الجوارى اللائى يقمن بالخدمة فى المنازل لدى طبقات المجتمع •

أما الفصل الرابع فيتناول الزواج بالنسبة للمرأة بصفة عامة سواء أكانت فاطمية أو مصرية بما فى ذلك المسلمة والذمية • ومن خلال هذا الفصل نتعرف على الأمور المتعلقة به من خطوبة والصداق المقدم للعروس ، المعجل منه والمؤجل بالنسبة لطبقات المجتمع المختلفة ، ثم عقود الزواج والشروط التى تحتويها ، والتى تدل على مكانة المرأة فى الأسرة ومحاولة الحفاظ على حقوقها خلال فترة الزواج وبعده • وكذلك انواع الجهاز الذى كانت تحمله العروس الى منزل الزوجية ، وأهم المقتنيات الشائعة فى العصر الفاطمى ، ثم اقامة الانراح فى الدور التى خصصت لها فى تلك الفترة

واستعداد العروس ، وننتقل بعد ذلك الى حياة الأسرة المصرية من حيث دور الأم في الأسرة ومكانتها بين أفرادها ، والعلاقة بين الزوج والزوجة وأخيرا نتناول الأعمال المنزلية التى كانت تقوم بها ربة البيت والأطعمة الشائعة فى تلك الفترة ٠

والفصل الخامس ، يتناول أدوات الزينة ، التى اســتعملتها المرأة فى العصر الفاطمى ، والتى تعبر عن المستوى الحضارى ، الذى وصلت اليه البلاد ، فكانت الأقمشة التى تصنع منها الملابس فى الغالب مصـــرية ذات جودة عالية ســـواء أكانت حريرية أم كتانية(*) ٠ وكانت الملابس تحلى بخيوط ذهبية دليلا على الترف الذى عم البلاد ٠ ومع الأجزاء الكثيرة التى تشملها ملابس المرأة ، تناولنا كلا منها على حدة من أغطية الرأس المختلفة والملابس سواء الداخلية أو الخارجية والحجب وملابس المنزل ثم الملابس الأنيقة . التى استعملت فيها الأقمشة الفاخرة ٠

ثم يأتى بعد ذلك الحلى بأنواعه المختلفة من خواتم وأقراط وأساور والمعادن المصنوعة منها سواء الذهب أو الفضة والأحجار الكريمة ، وكذلك أسعارها ٠ هذا الى جانب المكاحل والعطور والمرايا ثم الحمامات العامة وأفردنا لها جزءا خاصا تناولنا فيه هيئتها الداخلية والخارجية وزيارة النساء اليها ٠ ثم تسريحات الشعر . التى شاعت فى تلك الفترة ، والتى يغلب عليها الفستونات ، وأخيرا السمات العامة التى كانت تميز جمال المرأة فى ذلك الوقت ٠

(*) كانت مدينة دبيق أو دابق تشتهر بصناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب ، الى جانب الأقمشـة الكتانية ، كما تفوقت مدينة تنيس فى عمل القصـب الملون والبوقلمون انظـر سـفر نامـة ، ص ٢٨ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٦٥ ٠

أما الباب الثاني ، فيتناول الأحوال الدينية للمرأة بصفة عامة ، أولا بالنسبة للمرأة المسلمة من خلال المذهب الشيعي الذى تدين به الخلافة الفاطمية ، والذي يختلف في بعض أوجهه عن المذهب السني، ولاسيما من حيث توريث البنت مال أبيها ان لم يكن لها أخ ولا أخت . ثم يتناول الدعوة الفاطمية وتطـــورها ومراتبها ، ومدى اشتراك المرأة من خلال مجالس الدعوة الشيعية التى كانت تقام فى القصر وفى الجامع الأزهر .

كما يتضمن أحوال المرأة الذمية ، سواء المسيحية أو اليهودية ، وكيفية حضور النساء الى الكنيسة أو المعبد ، والوصية التى كانت تتركها المرأة ، ومشاركتها فى الأعمال الخيرية من خلال وقف بعض الهبات على بعض المؤسسات الدينية أو على الفقراء .

والباب الثالث يتناول الدور السياسي للمرأة . وهو يعتبر غاية فى الأهمية ، وان اقتصـــر على المرأة الفاطمية ، فلم تذكر المصادر أن المرأة المصرية قد ساهمت فى هذا المجال ، ومن أهم الشخصيات التى لعبت دوراً هاما فى سياسة البلاد ست الملك ، والملكة أم المستنصر وابنة الظاهر ، هذا فضلا عن نساء العصر الفاطمي الثاني من عمات الخلفاء ، أمثال عمة الفائز والعاضد ، لذا قسمنا الباب الثالث الى ثلاثة فصول :

والفصل الأول ، يتناول دور السيدة ست الملك ، التى اتصفت بقوة الشخصية والقدرة على تسيير الأمور بحزم ورصانة ، فقد كانت تسعى للحفاظ على الخلافة الفاطمية فى مصر وخارجها .

وعلى الرغم من أن ست الملك كانت تسدى النصح لأخيها الحاكم بأمر الله ، الا أن بعض المؤرخين اتهموها بقتل أخيها ، وذكروا فى ذلك أسباب مختلفة يؤيدون بها هذا الاتهام ، ولكن التضارب بين

اقوالهم حتى بالنسبة للمؤرخ الواحد يجعلنا نعتقد انها بريئة من هذا الاتهام ، هذا فضــــلا عن أســـباب اخرى تؤيد ذلك ، اذ أن سياستها الحكيمة بعد مقتل الحاكم بأمر الله سواء فى الداخل أو فى الخارج ، لأنها كانت الحاكمة الفعلية للبلاد والملكة غير المتوجة نيابة عن الخليفة الظاهر ، الذى تولى الخلافة صغيرا • تدل على حرصها على سلامة البلاد •

والفصل الثانى ، يتناول دور الملكة أم المستنصر ، التى لعبت دورا سلبيا فى سياسة البلاد ، من خلال تدخلها فى شئون البلاد الداخلية وتمثل ذلك فى تعيين وصرف الوزراء والقضاة وكذلك الدعاة ، كما كانت تجمع هذه الوظائف الثلاث الكبرى فى يد شخص واحد • وكان لوجود بعض الشخصيات الانتهازية أمثال التسترى واليازورى اللذين سيطرا عليها ، اثر هام فى ســـيطرتها على الخليفة • ولقد امتدت سيطرتها من عام ٤٣٦ الى ٤٦٢هـ ، ١٠٤٥/ ١٠٧٠ م وهى فترة طويلة جاوزت العشرين عاما •

ولقد ادت سيطرتها الى اضطراب احوال البلاد من مجاعات واوبئة ثم الفتنة التى وقعت بين طوائف الجيش وكان لمســـاندتها للعبيد اثر بالغ فى ازدياد هذه الفتنة ولم ينته نشاط أم المستنصر ، الا عندما قبض عليها ناصر الدولة بن حمدان ،واستصفى أموالها عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م •

والفصل الثالث • يتناول الدور السياسى لنساء العصـــر الفاطمى الثانى ، الذى ظهرت فيه عدة شـــخصيات أمثـال اخت المستنصر وأم المستعلى وأخت نزار ، الى جانب عمة الفائز ، وكذلك اخت الظافر ، وعمة العاضد ايضا •

ولقد تميز دور هؤلاء النساء أن بعضهن قمن بالدفاع عن احقية الخليفة المستعلى فى الخلافة • والبعض الآخر قام بتدبير المؤامرات ضد استبداد الوزراء ، ولعل ذلك راجع الى تلك الظروف التى احاطت بالبلاد من أزمات اقتصادية متلاحقة ، الى جانب الاضطرابات السياسية فى الداخل ووجود الفرنجة على حدود البلاد، كل ذلك جعل نساء ذلك العصر يعتمدن على رجال اقوياء للقضاء على وضع قائم لا يرضين عنه ، وذلك بعكس العصر الفاطمى الأول ، حيث كانت الدولة مستقرة سياسيا واقتصاديا ، وكانت المرأة تعتمد على نفسها فى تصريف شؤون الدولة مثل ست الملك بصفة خاصة •

ولقد استلزم موضوع البحث الرجوع الى مصادر عديدة ، منها ما هو أصلى وما هو فرعى والمصادر الأصلية تتمثل فى الوثائق والآثار ثم النقوش وكذلك المصادر الكتابية الأصلية ، أما الفرعية فهى الكتب الحديثة ، التى ألفها المؤرخون الحديثون فى الشرق والغرب •

وتعتبر الوثائق من أوثق مصادر التاريخ ، ويقصد بها المكاتبات الرسمية والمراسلات والخطب والتوقيعات(١) • وكذلك الوثائق غير الرسمية ، والتى تتمثل فى وثائق البيع والزواج وغير ذلك •

أولا : رسائل الحاكم بأمر الله :

وهى من المصادر الهامة لدراسة الأحوال الدينية للمرأة فى العصر الفاطمى • ولقد ألقيت هذه الرسائل على يد الداعية حمزة

---

(١) انظر - ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، ص ١٧ •

ابن على بن أحمد ، وهو من أصل فارسى(٢) . ولقد فوضه الخليفة الحاكم بأمر الله بالقيام باصلاح عقائد المذهب ، مما أدى الى ظهور مذهب جديد عرف « بالتوحيد » . ولقد القى فى مجالس النساء بعض الرسائل منها « رسالة النساء الكبيرة »(٣) التى تشير الى أن المستجيبات لهذه الدعوة من النساء يطلق عليهن الموحدات ، أما الرسالة التالية وهى « ميثاق النساء »(٤) يذكر فيها واجبات النساء فى الطاعة والتوحيد والبعد عن الفساد والدنس ، هذا فضلا عن شروط دخول النساء فى المذهب الجديد .

ثانيا : السجلات المستنصرية(٥) :

وهى تشتمل على ستة وستين سجلا ، ترجع الى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، مرسلة الى دعاة اليمن ، وللمرأة الفاطمية بها عدة سجلات أرسلتها للسيدة أروى ملكة اليمن ، وتحتوى هذه السجلات على ألقاب وعلامات لبعض الملكات الفاطميات أمثال الملكة أم المستنصر ، وابنة الخليفة الظاهر - أخت الخليفة المستنصر وأم الخليفة المستعلى ، كما تشير الى مشاركة المرأة فى السياسة الخارجية للبلاد(٦) ، فضلا عن ذلك فهى تشير أيضا الى مكانة المرأة فى الاقاليم التابعة للخلافة الفاطمية ، لاسيما فى اليمن اذ يبرز دور - السيدة أروى التى أصبحت ملكة اليمن بعد أن زهد زوجها أحمد المكرم فى الحكم ، وكيف أن الخلافة الفاطمية كانت تبعث اليها بالرسائل ، هذا فضلا عن الألقاب الكثيرة التى حازتها

---

(٢) يحيى بن سعيد ، ص ٢٢٣ ، انظر ، ماجد ، الحاكم ص ١١٧ .
(٣) رسائل الحاكم بأمر الله ، مخطوط رقم ٥٤ .
(٤) نفسه ، مخطوط رقم ١٣٣ .
(٥) تقديم وتحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
(٦) هذه السجلات تحت أرقام ٢٨ ، ٣٥ ، ٥١ ، ٥٢ .

من قبل الخليفة المستنصر ، منها الحرة ، السيدة ، السـديدة ، المكينة ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، صنيعة أمير المؤمنين(٧) ، وكانت هذه الألقاب تسجل فى المراسلات بين الخلافة الفاطمية وملكة اليمن ، التى استقلت بأمور الحكم ابتداء من عام ٤٧١ / ١٠٧٨ ، اذ ان الخليفة المستنصر يوجه اليها الرسائل باسمها وهو يعتبرها مثالا رائعا للمرأة فى تقلد شـؤون الحكم ولكفاءتها ويقظتها فى أمور الدعوة(٨) • وهذا يعكس بلا شك تقدير الخلفاء الفاطميين للمرأة بصفة عامة ، ليس فقط فى خارج مصر ولكن ايضا فى مقر الخلافة الفاطمية فى مصر •

ثالثا : اوراق البردى العربية(٩) :

وهذه الوثائق الموجودة بها والخاصة بالفترة الفاطمية ليست مدونة على ورق بردى ، وانما غالبيتها مكتوبة على ورق أبيض ، وتعتبر هذه الوثائق غاية فى الأهميـة من حيث احتوائها على بعض عقود الزواج ، التى ترجع الى العصر الفاطمى(١٠) ، مبينا فيها قيمة الصداق بما فيه من مقدم ومؤخر ، كذلك وصايا بحسن العشرة بين الزوجين •

هذا فضلا عن بعض عقود البيع والشراء ، التى قامت بها المرأة

---

(٧) سجل رقم ٤١ ص ١٤٢ •

(٨) نفسه ، انظر ، ماجد ، المستنصر بالله ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٩) جمع بعضها وعلق عليها أدولف جروهمان ، وترجمها الى العربيـة حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٥٩ •

(١٠) عقد يرجع الى ١٠٢٨/٤١٩ تحت رقم ٤٤ ، وآخر يرجع الى عام ١٠٦٨/٤٦١ تحت رقم ١٤٥ •

فى تلك الفترة ، لاسيما العقود الخاصة ببيع وشراء العقارات(١١) •

رابعا : وثائق الجنيزة(١٢) :

وهى وثائق خطية ، وجدت فى منطقة مصر القديمة ، وعرفت لعلماء الغرب فى القرن التاسع عشر الميلادى • وكانت هذه الأوراق قبل إكتشافها محفوظة فى حجرة خصصت للأوراق المهملة فى معبد يهودى بالفسطاط ، كما وجد عدد آخر من هذه الأوراق فى جبانة البساتين القريبة من المعبد •أطلق على هاتين المجموعتين وثائق جنيزة القاهرة ، ويقدر عددها بما يزيد عن ربع مليون ورقة كتبت أغلبها باللغة العربية بحروف عبرية • ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق الى الفترة ما بين القرن الرابع والسابع الهجريين ، العاشر والثالث عشر الميلاديين • ولقد وزعت بين مكتبات أوروبا وامريكا • وهى تتكون فى معظمها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم ، هذا فضلا عن عقود الزواج التى تشتمل على خمسة وعشرين قائمة لم ينشر منها حتى الآن أربعة وعشرون قائمة ، يوجد منها اثنتان وعشرون قائمة فى مجموعة بودلين Bodléienne ومجموعة جاستر Gaster بالمتحف البريطانى ، ومجموعة آليانس Alliance الاسرائيلية بباريس ، ومعظم هذه الوثائق بها حروق ، ومعظمها مفقود وتواريخها غير واضحة . وأقدم تلك القوائم ، القائمة الخاصة بعقد زواج يوسف بن سليمان بن ملاح ويرجع تاريخها ٤٥١ / ١٠٥٩ ، وعقد زواج لأبى منصور سماح بن يفت من ست الخشا ابنة أبى البركات

---

(١١) أرقام ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٠٣ ، ٢٠٨ ، ١٣٩٤ .

(١٢) انظر . Ency of Isl, (art geniza, II, 2ed, P 187; Kahle, The Cairo geniza, 2ed. 1959.

اللبيدى يرجع الى ١١٤٦/٥٤١ ، وآخر لابو الماجد بن الحسين يرجع الى ٥٧٧ / ١١٨١(١٣) ·

ويعتبر كل من اشـــــتور Ashtor (١٤) وجـــواتين Goitein (١٥) والقوصى(١٦) من اكثر المهتمين بدراســــــة هذه الوثائق ، ونشرها والتعليق عليها ، وذلك من خلال المقالات الدورية فى المجلات العلمية والكتب التى تلقى الضوء على مجتمع الفسطاط فى العصر الفاطمى ، ولذلك فقد افادت البحث الى حد كبير بالنسبة للمرأة الذمية وخاصـــــة اليهودية ، وذلك بما يتعلق بالزواج ، كما نستطيع أن نتعرف من خلال وثائق الجنيزة ايضـــا على انواع الملابس والحلى التى شاعت بالنسبة للمرأة المصرية بصفة عامة فى تلك الفترة ·

اما الآثار ، التى تاتى فى المرتبة الثانية بعد الوثائق ، فعلى الرغم من أن المرأة فى العصر الفاطمى قد تركت عدة منشآت هامة ، مثل المساجد والأربطة والمصليات وكذلك القصـــور ، الا أن هذه المنشآت اندثرت ولكن من خلال المصادر التاريخية والمراجع الخاصة بالآثار نستطيع أن نتعرف على تلك المنشآت وما بقى من ذكرها ·

---

(١٣) انظر Ashtor, Matériaux pour l'Histoire des Prix, JESHO, VI, PP. 164 — 165.

(١٤) انظر Le Coût de la vie dans l'Egypte Médiévale. JESHO, III, 1960, Histoire des prix, Paris, 1969.

(١٥) انظر . The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization in studi Islamica. III, IV, 1955; Slave and slavegirls in the geniza records, Arabica, IX, 1962.
A Mediterranean society, Los Anglos, 1967.

(١٦) انظر . اضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة ، مقالة من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٥ ، تجارة البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ·

هذا فضلا من المقتنيات والتحف التى تتضمنوا المتاحف منها ما هو موجود بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، والتى عثر عليها فى الفسطاط فى عمليات التنقيب التى كانت عام ١٩١٢ ـ ١٩٢٠ (١٧)، وبعضها ايضا مشتراه أو مهداه للمتحف(١٨) ، وهذه القطع التى ترجع الى تلك الفترة ، والتى تخص المرأة عبارة عن قطع حلى مختلفة من خواتم واقراط واساور ودلايات ومشابك للصدر ، هذا فضلا عن المكاحل وقنينات العطر المصنوعة من البللور الصخرى ، وكذلك الأطباق الخزفية ذات البريق المعدنى والتى تحمل صورا لبعض النساء ، نستطيع من خلالها هى وغيرها القاء الضوء على أدوات الزينة فى تلك الفترة من ملابس وحلى ٠

كما يوجد ببعض المتاحف فى أوربا وامريكا ، بعض هذه المقتنيات التى ترجع الى العصر الفاطمى مثل متحف المتروبوليتان Metropolitan بنيويورك(١٩) ، ومتحف قصر بوجلو Boglou فى مدينة فلورنسا(٢٠) ٠ وغيرها ٠ . . .

كما تعتبر النقوش من مصادر الدرجة الأولى ، ويعتمد عليها فى البحث التاريخى الاسلامى ، اذ انها تقدم مادة موثوقا بها من خلال الكتابة على الآثار من مساجد وعمائر ، وعلى التحف بمختلف انواعها وعلى قطع النسيج(٢١) ٠ ولقد وصلتنا بعض النقوش على

---

(١٧) انظر . على بهجت ، حفريات الفسطاط ، ص ٢ ٠

(١٨) انظر ٠ معرض الفن الاسلامى فى مصر من ٩٦٩ الى ١٥١٧ ، القاهرة ابريل ١٩٦٩ ٠

(١٩) انظر . Islamic Jewelry in the Metropoldition Museum of Art, New York, 1982.

(٢٠) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٨ ٠

(٢١) انظر . ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٣ ، ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٧ ٠



المشاهد والقبور لبعض النساء التى وجدت فى الفسطاط وأسوان ، والتى تبين وجود بعض العلويات حتى قبل العصر الفاطمى ، وكذلك ما هو منقوش على المحراب وكذلك التابوت بمسجد السيدة رقية ، يجعلنا نتعرف على بعض الألقاب الخاصة بالسيدة علم الآمرية التى امرت بانشائهما(٢٢) .

خامسا : المصادر الكتابية الأصلية :

وعلى الرغم من أن خزانة الكتب بالقصر الفاطمى كانت تحتوى على أربعين خزانة(٢٣) ، فانه لم يصلنا من هذا التراث الضخم الا شذرات من الانتاج الأصلى للفاطميين ، ولعل أسباب ذلك ، أن الدولة الأيوبية التى أتت بعد الخلافة الفاطمية ، قد بددت هذه الكتب بسبب الخلاف المذهبى بين الدولتين ، ولذا حددت لبيع الكتب الفاطمية فى القصر كل أسبوع يومين(٢٤) .

ومن الكتب التى وصلتنا كتاب « **فضائل مصر واخبارها**»(٢٥) لابن زولاق ، وهو الحسن بن ابراهيم (ت ٩٩٧/٣٥٧) وهو مخطوط يحتوى على عدة ورقات ، وهناك كتاب آخر للقضاعى أبو عبد الله

---

(٢٢) انظر Berchem, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicorum, I, Egypte, Le Caire, 1894 — 1903 Wiet Matéraiux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, 11, 1930.; Répertoire chronologique d'éaigraphie arabe, Le Caire 1931.

سعاد ماهر ، مدينة أسوان وآثارها فى العصر الاسلامى .

(٢٣) الخطط ، ١ ص ٤٠٨ .

(٢٤) أبو شامة ، الروضتين ، ١ ص ٢٦٧ ، انظر المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢٥) مخطوط بدار الكتب بالقاهرة ، تحت رقم ، ٣٥٩١ تاريخ ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

ت ١٠٦٢/٤٥٤) بعنوان «عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف»(٢٦) ومن الكتب المعاصرة أيضا للفاطميين كتاب « ســفر نامة »(٢٧) لناصر خسرو ، والمؤلف يصف فيه البلاد التى زارها خلال رحلته ومنها مصر التى زارها فى عهد الخليفة المستنصر بالله ٠

هذا الى جانب كتب النعمان بن حيون (ت ٩٧٤/٣٦٣) وهو قاضى قضاه الخليفة المعز ، ولقد ترك عدة مؤلفات نذكر منها كتاب «دعائم الاسلام فى ذكر الحلال والحرام »(٢٨) ٠ وتناول فيه المذهب الاسماعيلى الذى تدين به الخلافة الفاطمية الشيعية ، وهو كذلك يعرض لقانون الوراثة لدى الفاطميين الذى يتعلق بالمرأة بصفة خاصة ٠

وكتاب المؤيد فى الدين الشيرازى (ت ١٠٧٨/٤٧٠) « السيرة المؤيدية »(٢٩) ٠ وهذا الكتاب يشــير الى فترة هامة من تاريخ الفاطميين وخاصة الى دور أم المستنصر وتحكمها فى البلاد ، ولكن اشارة غير مباشرة ٠

« كتاب المجالس المستنصرية »(٣٠) والتى القى بعضها فى مجالس النساء ولو أن محقق هذا الكتاب يشك فى ذلك ، فضلا عن ذلك فان بعض المجالس التى القيت على الرجال تحث على البر بالوالدين ومعاملة الزوجين ، وكلاهما يخص المرأة كزوجة وكأم ٠

« كتاب صلة تاريخ أوتيخا » الجزء الخاص بيحيى بن سعيد الانطاكى (ت ١٠٦٦/٤٥٨) فهو يشير الى دور ست الملك بعد فقد

---

(٢٦) مخطوط بدار الكتب القاهرة ، برقم ١٧٧٩ ٠

(٢٧) قام بترجمته من الفارسية الى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٤ ٠

(٢٨) تحقيق آصف بن على فيظى ، القاهرة ١٩٥١ ــ ١٩٦٠ ٠

(٢٩) تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ ٠

(٣٠) محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ ٠

الحاكم وتولية الظاهر ، وهذا الكتاب مع صمته عن اتهام ست الملك ، فهو يستعرض روايات أخرى تدين آخرين بقتل الحاكم ، وبذلك يبرىء ست الملك ضمنيا عن ارتكاب هذه الجريمة أو على الأقل المشاركة فيها ٠

ثم كتاب ابن القلانسى (ت ٥٥٥/١١٦٠) « ذيل تاريخ دمشق » الذى يتناول فيه سياسة ست الملك فى الشام ، وعلاقتها بالامراء التابعين للخلافة الفاطمية فى عهدى الخليفة الحاكم بأمر الله ومن بعده الظاهر لاعزاز دين الله ، وكيف كانت ست الملك تدير السياسة الخارجية بحزم ٠

أما الكتب التى ألفت بعد الخلافة الفاطمية ، وفى أيام الدولة الأيوبية فهى تتعرض للفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ، ولاسيما دور بعض نساء الطبقة الحاكمة فى تدبير المؤامرات ضد الوزراء ، هذا فضلا عن انها تشير الى حالة الفاطميين قبل سقوط دولتهم ٠ ومنها :

كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين » ، لابى شامة (ت ٦٦٥ / ١٢٦٧) وكتاب ابن ميسر (ت ٦٧٧ / ١٢٧٨) وهو يشتمل على معلومات خاصة بالأحوال الاجتماعية بصفة عامة ، هذا الى جانب كتاب ابن واصل (ت ٦٩٧/١٢٩٧) ٠ « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » وهو يتناول أحوال الدولة الفاطمية فى أخريات أيامها أيضا ودور المرأة الفاطمية فى ذلك الوقت ٠

ثم ننتقل بعد ذلك الى المؤلفات ، التى كتبت فى العصر المملوكى وهى تعد من أهم المؤلفات عن العصر الفاطمى(٣١) ، وهذا

---

(٣١) انظر ٠ ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ص ٢٩ ٠

راجع الى أن هؤلاء المؤرخين قد اســـتطاعوا أن يحصـــلوا على المصادر الأصلية ، وينقلوا منها ، لذا كانت مؤلفاتهم ذات أهمية كبيرة ٠

وتأتى كتب المقريزى (ت ١٤٤٢/٨٤٥) ، فى مقدمة هذه المؤلفات ، اذ أنه ينقل من مصادر معاصرة مثل ابن زولاق والمسبحى والقضاعى وابن المأمون ٠ ولقد تعددت كتب المقريزى ، واشتملت على مادة غزيرة قد أفادت البحث ، ومنها **كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** ٠ وهو يتناول فى هذا الكتاب سيرة كل خليفة على حدة ، كما يتضمن الدور السياسى للمرأة الفاطمية ، ومشاركتها فى الحكم أمثال ست الملك والملكة أم المستنصر ونساء العصر الفاطمى الثانى ٠

وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، يتناول فيه تاريخ القاهرة وآثارها ، لاسيما منشآت المرأة وثرواتها وأحوال نساء القصر الفاطمى والرواتب المقررة لهن وخاصة العينية منها ، والعمل فى القصر والملابس والأحوال الدينية ، فهذا الكتاب من أهم الكتب وأساس لدراسة الفترة الفاطمية ، اذ لم يترك أى جانب الا طرقه ٠٠

وكتاب اغاثة الأمة بكشف الغمة ٠ والذى يعرض للمجاعات، التى توالت على مصر الاسلامية ، وخاصة فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله والخليفة المستنصر وكذلك فى عهد الخليفة الحافظ والفائز ، والذى يهمنا منها تلك الشدة ، التى وقعت فى عهد الخليفة المستنصر ، وأبرزت دور المرأة المصرية خـــلالها ٠ فضـــلا عن ذلك فهذا الكتاب يحتوى على معلومات اقتصادية هامة ، اذ يتقصى أسباب تلك المجاعات بصفة عامة ٠

وهناك مؤرخ آخر ، هو ادريس عماد الدين (ت ١٤٦٨/٧٧٢). وكتابه **عيون الأخبار** ، وهو مخطوط يتناول أخبـــار كبار الدعاة الفاطميين ، وكذلك أخبار الخلفاء وأحوالهم ، ولكننا لم نســـتطع الحصـول عليه ، لأن النســـخة الوحيدة موجودة بمكتبة عباس الهمداني الخاصة وهو غير موجود بمصر الآن • ولكن من خلال بعض المراجع الحديثة ، التى تناولت الفترة الفاطمية لاسيما مؤلفات عبد المنعم ماجد ، نســـتطيع أن نتعرف على بعض محتويات هذا الكتاب •

ثم هناك مؤرخ آخر هو ابو المحاسن بن تغرى بردى (ت ١٤٦٩/٨٧٤) فى كتابه **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** ، يتعرض فيه للمؤامرة التى دبرت لقتـــل الخليفة الحاكم بأمر الله بواسطة ست الملك وابن دواس ، والتدابير التى اتخذت لتنفيذها وبذلك فهو يقدم اتهاما صريحا لست الملك بقتل الخليفة الحاكم •

وكذلك كتاب السيوطى (ت ١٥٠٥/٩١١) **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** يذكر فيه أيضا أحوال المرأة السياسية ، أما كتاب ابن خلكان (ت ١٢٨١/٦٨١) **وفيات الأعيان** ، فيتناول حياة كثير من الخلفاء والوزراء • ثم **كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر** ، لمؤلفه ابن حجر العسقلانى ، (ت ٩٥٣ / ١٤٤٩) وهو يعرض لتراجم قضاة العصر الفاطمى ، ويذكر من خلالها قضايا المرأة المصرية وموقف القضاء منها •

بجانب هذه المصادر القديمة ، توجد كتب حديثة لمؤلفين حديثين وهى تشـــير فى معظمها الى اشارات غير مباشرة لأحوال المرأة فى العصر الفاطمى بصفة عامة ، ومنها ما ألف فى الشرق والغرب ، ونتناول أولا المراجع العربية ومن أهم هذه الكتب ، التى اهتمت بالفترة الفاطمية ، مؤلفـــات عبد المنعم ماجد ، مثل **كتاب الحاكم بأمر**

الله(٣٢) ، الذى يشير الى دور ست الملك السياسى ويقدم الروايات الدالة على تبرئة ســـت الملك من مقتل الحاكم ، هذا الى جانب الاشارة الى المراسيم الاجتماعية ، التى فرضها الخليفة الحاكم بأمر الله على المرأة • وكتاب المستنصر بالله(٣٣) ، الذى يعرض لسيطرة أم المستنصر على الحكم دون الخليفة ، اذ انه يعرض باسهاب لهذا الدور ، الذى أدى الى تدهور أحوال البلاد • وكتاب نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر(٣٤) ، لاسيما الجزء الثانى الخاص بأحوال القصر الفاطمى ، الذى يذكر فيه نســاء القصـــر والزى الشائع لهن • وكذلك كتاب ظهور خلافة الفاطميين وســقوطها فى مصر(٣٥) ، الذى يتناول أحوال الدولة الفاطمية بصفة عامة من سياسية واقتصادية ودينية• ثم كتاب تاريخ الحضارة الاسلامية(٣٦)، الذى يحتوى على معلومات اجتماعية خاصة بالزى والزواج وحياة القصور بصفة عامة فى الدول الاسلامية •

هذا فضـــلا عن كتـاب حســـــن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية(٣٧) ، وهو يعرض للأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية لذلك العصر • وكتاب مشرفة ، نظام الحكم فى عهد الفاطميين(٣٨) ، يتناول فيه دور الحسبة فى مراعاة الآداب العامة • ومنها ما هو متعلق بالمرأة أيضا •

---

(٣٢) القاهرة ، ١٩٥٩ •

(٣٣) القاهرة ، ١٩٦١ •

(٣٤) القاهرة ، الجزء الثانى ١٩٧٨ •

(٣٥) القاهرة ، ١٩٦٨ •

(٣٦) القاهرة ، ١٩٧٨ •

(٣٧) القاهرة ، ١٩٥٨ •

(٣٨) القاهرة ، ١٩٤٨ •

وكتاب زكي حسن « كنوز الفاطميين(٣٩) » الذى يتنـــــاول بالدراسة خزائن الفاطميين ، التى كانت توجد بالقصر الفاطمى ، خاصة التحف والحلي والجواهر والفرش وغيره ، هذا فضلا عن الاشارة الي بعض التحف الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ٠

وكذلك كتاب أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامي(٤٠) ، ويذكر فيه ما يخص الفترة الفاطمية من حلى ومكاحل وقنينات عطور وأطباق خزفية تحمل موضوعات فاطمية ٠

كمـــا يعتبر كتـــاب أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصـــر المملوكية(٤١) ، من اهم الكتب الحديثة ، التى افادت البحث ، فعلى الرغم من انه يستعرض أحوال المرأة فى العصر المملوكى ، الا انه يشير الي بعض الجوانب ، التى تخص المرأة بصفة عامة ، كما يعتبر أساسا فى دراستنا لبعض الموضوعات ٠

أما الدوريات العربية ، فهناك بعض المقالات ، منها مقـــالة عبد المنعم ماجد ، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة(٤٢) ، اذ انها تبرز دور هذه المرأة خلال المجاعات ٠

ومقالة حسن عبد الوهاب ، أثر المرأة فى الفن الاسلامي(٤٣)،

---

(٣٩) القاهرة ، ١٩٤٠ ٠
(٤٠) القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
(٤١) القاهرة ، ١٩٧٥ ٠
(٤٢) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٧ ٠
(٤٣) مجلة الهندسة ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ ٠

وهى تشير الى تاثير المراة على الحلى بانواعه ، وكذلك مقالة حسن الباشا ،اثر المراة فى فنون القاهرة(٤٤) •

أما فيما يخص الكتب ، التى الفها المستشرقون فى الغرب ، منها كتاب
Dictionnaire détaille des noms des Vêtements. Dozy chez les Arabes.

ويعرض فيه للأنواع المختلفة للملابس ، وبصفة خاصة ملابس المراة فى العصور الاسلامية ، ثم كتاب Supplément ، الذى يشرح فيه بعض الألفاظ لاسيما الخاصة بالملابس •

وكتاب The Mediterranean Society; Goitein باجزائه الثلاثة ، اذ انه يعتمد على أوراق الجنيزة ، ويعرض باسهاب من خلال هذه الوثائق أحوال المراة اليهودية من عقود زواج والشروط المتعلقة بها ، ثم جهاز العروس ومكوناته وقوائم الجهاز ، كما يشير الى الأفراح وحياة الأسرة ، إذ أنه يتناول الأحوال الاجتماعية بصفة عامة فى تلك الفترة •

وكذلك كتاب Gotthiel and Worrell
Fragments from the Cairo geniza,
وهو يحتوى أيضا على عقد زواج به قائمة جهاز • وكتاب Ashtor Histoire des prix, الذى يعرض لأسعار الملابس الخاصة بالمراة من خلال قوائم الجهاز •

أما الدوريات الأجنبية ، فلقد ذكرنا بعضها فى معرض الحديث عن وثائق الجنيزة •

---

(٤٤) لمسالة من كتاب القاهرة فنونها ، تاريخها : آثارها ، القاهرة ، ١٩٧٠ •

كما أن الرسائل العربية غير المنشورة قد افادت البحث فى نواح عديدة ومنها **التصوير الاسلامى على العاج والورق والخزف والجدران**(٤٥) ، اعداد محمود ابراهيم حسين • فهى تشتمل على بعض التصاوير التى تخص المرأة ، والتى تبرز ملابسها وحليها وكذلك تسريحات الشعر ، التى كانت سائدة ، هذا فضلا عن الملامح العامة للمرأة المصرية فى العصر الفاطمى •

---

(٤٥) رسالة ماجستير فى الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ •

الباب الاول

- الفصل الأول : احوال المراة الفاطمية
- الفصل الثاني : أحوال المراة المصرية
- الفصل الثالث : الجوارى
- الفصل الرابع : الزواج
- الفصل الخامس : ادوات الزينة

الفصـــل الأول

احوال المرأة الفاطميـــة

(أ) زوجات الخلفاء

(ب) أحوال نساء القصر ٠

(جـ) الألقـــاب ٠

(د) العـــلامات ٠

(هـ) الثروات ٠

(و) المنشـــآت ٠

كانت مصر فى عهد الفاطميين تتمتع بحياة اجتماعية زاهرة ، فلقد عمل الفاطميون بعد انتقالهم من المغرب الى مصر وتأسيس خلافة فاطمية بها على الاهتمام برفاهية الشعب المصرى ، ويتجلى ذلك فى الاهتمام بالمظاهر الاجتماعية المختلفة مثل الاحتفال بالأعياد الدينية، الاسلامية والمسيحية(١) • واقامة الاسـمطة والولائم(٢) وتوزيع الكسوات على العاملين بالدولة(٣) ، وساعدهم فى ذلك ثروات مصر الكثيرة •

كما تمثلت مظاهر الترف بالنسـبة لطبقـة الخلفـاء فى الجلوسات(٤) ، التى كانت تقام بالقصر الفاطمى للاسـتقبالات

---

(١) ومن هذه الأعياد : الموالد الستة ومنهـا مولد النبى ، ومولد على بن أبى طالب ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء ومولد الخليفة الحاضر ، هـذا الى جانب أعياد المسيحيين مثل يوم النيروز ، يوم الغطاس ويوم الميـلاد ، خميس العهد (انظر الخطط ، ١ ص ٤٩٠) •

(٢) وكانت هذه الأسمطة تعمل فى قاعة الذهب بالقصر ، ومنها سماط شهر رمضان وسماط العيدين • نفسه ، ١ ، ص ٣٨٥ •

(٣) نفسه ، ١ ، ص ٤٠٩ •

(٤) ومنها الجلوس الاسبوعى وجلوس عرض الخيل وجلوس ليـالى الوقود وجلوس مولد النبى وجلوس مولد الأجداد ومولد الخليفـة الحاضر وجلوس رسل الملوك وجلوس المظالم ، انظر الخطط ، ١ ، ص ٣٨٦ ، صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٤٩٨ ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١٠ وما بعدها ،

والاحتفالات الرسمية . وكذلك الركوبات التى اتسمت بالمبالغة وكان يخرج فيها الخليفة وموظفوه وجيشه ورجال دولته الى الشارع أمام الشعب المصرى فى عدة مناسبات منها ركوب أول العام وأول شهر رمضان وركوب أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان وركوب كل من عيد الفطر وعيد الأضحى وركوب تخليق المقيـــاس وركوب فتح الخليج(٥) ، وكانت كل المظاهر التى تحيط بهذه الركوبات رغبة من الدولة فى اظهار قوتها ولاسيما الحربية(٦) .

فضلا عن ذلك ما ذكرته المصادر عن كنوز الفاطميين المختلفة ، التى تدل على أن الفترة التى عاشت فيها الخلافة الفاطمية ، والتى تزيد على القرنين ، كانت تتميز بالبذخ والرفاهية ، وذلك فيما عدا بعض الأوقات التى عانت فيها البـــلاد من جـراء بعض الأزمات الاقتصادية التى تمثلت فى المجاعات والأوبئة .

وكذلك بناء القصور الفخمة والمناظر الكثيرة فى أنحاء البلاد ، ولاسيما القصر الفاطمى الذى بناه جوهر لاستقبال الخليفة المعز ٣٦٠ / ٩٧٠ ، والذى كان يطلق عليه القصر الكبير الشرقى ، وكان فى المنطقة التى يقع فيها الآن مسجد الحسين وخان الخليلى(٧) ، وهو يضم بداخله عدة قصور منها القصر الصغير الغربى والقصـــر النافعى ، وقصر الذهب وقصر الشجرة وقصر الحريم وقصر الشوك

---

(٥) صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٥٠٢ ، انظر ، نفس المرجع ، ٢ ، ص ٩٣ وما بعدها .

(٦) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٩ .

(٧) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٢ ، انظر . حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ص ٥٣١ . وكان ملحقا بهذا القصر عدة خزائن منهـا خزانة الكتب وخزانـة الكسوات وخزانة الجوهر والطيب والطرائف وخزانة الفرش والأمتعة وخزانة السلاح والسروج وخزانة البنود (انظر نفسه ، ص ٤٠٨ ــ ٤٢٢) .

وقصر النسيم وقصر البحر ، وهذه القصور كلها قاعات ومناظر يقال لها القصور الزاهرة(٨) ٠ أو القصر المعمور(٩) ، ولعل هذه التسمية ترجع الى الأعداد الكبيرة ، التى كانت بداخل القصر ٠

ولما كان هذا القصر مخصصا لسكنى الخليفة وحرمه وأهله من النساء ، فلابد من القاء الضوء على أحوالهن ويبدو أن أحوال النساء فى القصور الاسلامية ، تكاد تتشابه(١٠) وذلك ، لأن هذه الفئة تتميز عن بقية النســـاء فى المجتمع بالتمتع بالحياة المترفة الناعمة ، بما يتوفر لهن فى قصور الخلافة ، هذا الى جانب ما يتاح لهن من المشاركة فى سياسة الدولة ،والتدخل فى شئون الحكم ، وذلك راجع لقربهن من الخلفاء ٠

(أ) زوجـــات الخلفـــاء :

ونساء القصر كن زوجات الخليفة وأخواته وكرائمه وعماته وحظاياه ، وكان يطلق على نســاء القصر بصـــفة عامة كلمة « حريم » ، وهذا يتضح من اسم القصر الذى كان مخصصا لسكناهن وهو قصر الحريم ، الذى كان يتصل بغرف الخليفة الفاطمى عن طريق سرداب ، وكان ذلك متبعا فى أغلب القصور الاسلامية ٠

كما أن تسمية نساء القصر بالحريم ، كانت شائعة فى كافة القصور الاسلامية الأخرى(١١) ، حتى فى مصـــر قبل العصـــر

---

(٨) سفر نامة ، ص ٤٨ ، السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣٥ ص ١١٦ ، المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٨١ ٠

(٩) سجل رقم ٢٠ ، ص ٧٧ ٠

(١٠) انظر ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٣٧ ٠

(١١) انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢١ ٠

الفاطمي(١٢) • ولم يعرف عدد النساء ،القصر الفاطمي ، ولكن يبدو أن عددهن كان كبيرا(١٣) ، اذ أنه عندما أخـــرج الخليفة العاضد من القصر على يد صلاح الدين الأيوبي ٥٦٧/١١٧١ . كان يوجد بالقصر اثنتا عشر الفا ليس فيهن فحل الا الخليفة(١٤) •

ومن نســـاء القصر اللاتي أحرزن مكانة هامة ، هن زوجات الخليفة وحظاياه ، ولقد كان تعدد الزوجات سائدا بالنسبة لمعظم الخلفاء الفاطميين لاسيما في العصر الفاطمي الثاني ، على الرغم من أن الخليفة المعز اكتفى بزوجة واحدة ، وكان يحث رعاياه على ذلك(١٥) • كما انتشر التسري واتخاذ الجواري في القصر الفاطمي وأهم ما يميز زوجات الخلفاء أنه كان بينهن الأجنبيات والعربيات ، كما أن غالبيتهن من الجواري أو الحظايا • لذلك نجد معظم أمهات الخلفاء أمهات أولاد(١٦) •

فضـــلا عن ذلك ، فانه كان يطلق على زوجة الخليفة كلمة « جهة »(١٧) وهناك من يطلق عليها عبارة « الجهة العالية » وهي بلا شك تدل على امرأة حازت مكانة هامة ، وكانت هذه العبارة تطلق

---

(١٢) الخطط ، ١ ، ص ٢١٧ .

(١٣) سفرنامة ، ص ٤٨ .

(١٤) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٩٧ .

(١٥) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٢ .

(١٦) كانت الجارية عندما تنجب تسـمى بأم ولد . انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٩٠ .

(١٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٣٧ . وكلمـة جهة في اللغة اسم للناحيـة ، كما كان يكنى عن المرأة الجليلة ، زوجة الخليفة أو حظيته ، وتستعمل مع أداة التعريف كلقب لمؤنث حقيقي . انظر . حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

على أكثر من امرأة ، مما يدل على وجود أكثر من امرأة هامة لدى الخليفة • لذا ترد عبارة « الجهات العالية »(١٨) فى بعض الأحيان •

ولعل النساء الأقل حظوة قد أطلق عليهن لفظ « جهة » فقط ، هذا فضلا عما ذكره المقريزى(١٩) من عبارة «الجهات المحترمات»، وربما هذا اللقب كان يطلق على زوجات الخلفاء بصفة عامة ، كما يورد أيضا عبارة « كبراء الجهات »(٢٠) ولعله يقصد به أيضا اما من حيث منزلة هؤلاء النساء ، أو من حيث أعمارهن أو على الأقل أولى زوجات الخلفاء • كذلك نجد عبارة « الجهة المعظمة »(٢١) وكان يقصد بها زوجة الخليفة المستنصر أم ابنه عبد الله •

كما يورد أحيانا عبارة « الدار الجليلة » وهى تعنى أيضا امرأة حازت مكانة عالية من بين زوجات الخليفة ، وكذلك عبارة « الدار الجديدة »(٢٢) ، وربما يقصد بها أحدث زوجات الخليفة •• ومن هذا يتضح أن كلا من كلمة جهة ودار استعملت فى القصر الفاطمى لتدل على زوجة الخليفة •

وتجدر الاشارة انه كان لكل زوجة من زوجات الخليفة موظف خاص يطلق عليه لقب « أستاذ » وكانت الاشارة لزوجة معينة تكون مقترنة باسم الأستاذ الذى يقوم بخدمتها مثل جهة مكنون وجهة جوهر وجهة ظل (٢٣) ، وغير ذلك هذا الى جانب عدد من الموظفين

---

(١٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ •
(١٩) نفسه ، ١ ، ص ٣٩٨ •
(٢٠) نفسه ، ١ ، ص ٤٢١ •
(٢١) اتعاظ ، ٣ ، ص ٨٦ •
(٢٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١١ •
(٢٣) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ •

الأقل رتبة من الأستاذ توكلهم المرأة فى الاشـــراف على بعض أعمالها وكان يطلق عليه كلمة « وكيل »(٢٤) ، هذا فضلا عن عدد من المستخدمات(٢٥) • اللاتى يقمن بالأعمال العادية عند كل جهة ، ومن المؤكد أن عدد هؤلاء الموظفين ، كان يختلف من امرأة الى أخرى من زوجات الخليفة ، حسب المكانة التى شغلتها فى القصر الفاطمى •

ومن بين زوجات الخلفاء الفاطميين ، اللاتى ذكرن فى المصادر

السيدة المعزية(٢٦) :

ويبدو أن هذا الاسم كان من ألقابها ، الى جانب لقب « أم الأمراء »(٢٧) وهى زوجة الخليفة المعز وأم الخليفة العزيز ، وتدعى تغريد ويذكرها المقريزى باسم درزان أو درزارة(٢٨) • وهى أم ولد من أصـــل عربى(٢٩) ، تزوجها الخليفة المعز بالمغرب ، أى قبل الانتقال الى مصر • وكان للسيدة المعزية نشاط تجارى فى مصر ، اذ أنها كانت تبعث بالجوارى والعبيد من المغرب وتعرضهم للبيع فى مصر على يد وكيلها(٣٠) • كما تتميز بأنها تركت بعض الآثار العمرانية ، التى تنسب اليها مثل جامع القرافة وقصـــر القرافة وغيره مما سنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن منشآت المرأة ، وعلى الرغم أن دور هذه المرأة كان حضـــاريا ، ولم تقم بدور

---

(٢٤) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٨ •
(٢٥) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ •
(٢٦) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٨ •
(٢٧) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ •
(٢٨) نفسه ، ٢ ، ص ٢٨٥ ، اتعاظ ، ١ ، ص ٢٣٦ •
(٢٩) نفسه ، ١ ، ص ٣١٨ •
(٣٠) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ •

سياسى ، فكان الخليفة المعز يتشاور معها احيانا فى بعض أمور السياسة(٣١) ٠

السـيدة العزيزية(٣٢) :

ويختلف المؤرخون فى أصـل هذه المراة وديانتها ، فيذكر البعض أنها سرية رومية أى يونانية(٣٣) ، كما يذكر ابن العميد(٣٤)، ان الخليفة العزيز تزوج من امراة نصرانية ورزق منها بنتا ، ولعل زواج الخلفاء بالنصرانيات ، راجع الى زواج الرسول (ص) من مارية القبطية أم ابراهيم ، والتى كانت من بين الهدايا ، التى أرسلها المقوقس عظيم مصر الى الرسول(٣٥) ٠

ويكاد يخلط المؤرخون بين أم ست الملك النصرانية ، التى لا نعرف اسمها وأم الخليفة الحاكم ، ولكن مما يدل على أن النصرانية ليست أم الخليفة الحاكم ، أن ست الملك كانت تكبر الحاكم بستة عشر عاما ، ولم يرزق الخليفة العزيز خلال هذه الفترة الا بابن واحد ، وهو محمد الذى توفى طفلا الى جانب ما تشير اليه المصادر(٣٦) ، أن أم العزيز توفيت عام ٣٨٥/٩٩٥ ، ولما كانت الجارية عندما تنجب تصبح أم ولد فلعل محمد هذا كان ابن النصرانية ، أم ست الملك ، فضلا عن

(٣١) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٢ ٠
(٣٢) نفسه ، ١ ، ص ٣٧٩ ٠
(٣٣) سير الاباء ، ٢ ، ورقة ٥٠ ٠
(٣٤) تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ ، انظر ٠ ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٣٤ ٠
(٣٥) انظر ٠ بنت الشاطىء ، نساء النبى ، ص ٣٨٥ — ٣٩٧ ٠
(٣٦) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٨٨ ٠

ذلك أن الخليفة العزيز قد تزوج من ابنة عمه ٣٦٩/ ٩٨٠(٣٧) ، ولقد ولد الخليفة الحاكم بعد هذا الزواج فى عام ٣٧٥/ ٩٨٥ ، كما يذكر المقريزى(٣٨) أن أم الخليفة الحاكم تدعى رقية واسمها آمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز ، وأن ست الملك كانت تعاديها ، كما أنها عاشت بعد الخليفة العزيز ، وأن أرسانيوس البطريرك القبطى ، هو خال ست الملك وليس الحاكم(٣٩) ، ولذلك فمن المستبعد أن تكون السيدة العزيزية هى أم الخليفة الحاكم ، كما أن أمه تعتبر الزوجة الشرعية للخليفة العزيز ، ويذهب البعض أن السيدة العزيزية ، التى تشير اليها المصادر يقصد بها السيدة زوجة العزيز المسلمة وأم الحاكم(٤٠) .

ولما كانت هذه المرأة نصرانية على المذهب الملكانى - مذهب كنيسة القسطنطينية ، الى جانب ما حازته من مكانة لدى الخليفة العزيز ، فلقد كان لهذين العاملين أثر كبير فى سياسة العزيز نحو النصارى ، والتى تميزت بالتسامح الدينى والعطف عليهم ، مما أتاح لهم الفرصة فى الوصول الى الوظائف العليا ، كما استطاعت أن ترفع أخويها وتقريبهما من الخليفة ، الذى أصدر قرارا بتعيين أخيها اريستس مطرانا على بيت المقدس ٣٧٥/ ٩٨٥ وأخيها الثانى ارسانى (أرسانيوس) مطرانا على القاهرة ثم بطريركا على القاهرة ٣٩٠/ ١٠٠٠(٤١) ، هذا فضلا عن تقوية

---

(٣٧) نهاية الأرب ، ٢٦ ، ورقة ٤٧ . وقد أمهرها مائتى ألف دينار .
(٣٨) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٢٤ .
(٣٩) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٧ ، أنظر . ماجد ، الحاكم ، ص ٢٥ .
(٤٠) أنظر . عنان ، الحاكم ، ص ٤٤ .
(٤١) المصدر السابق ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ .

الطائفة الملكانية في مصـــر ، ووضـــع يدها على بعض كنائس اليعاقبة(٤٢) .

وكانت السيدة العزيزية تشارك في المناســبات الاجتماعية المختلفة للمحيطين بها .

علم الآمرية(٤٣) :

وهي زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله ، والتي يقال لها مكنون الآمرية وقد انجبت له ابنته ست القصور ، ولم تذكر المصادر أصل هذه الزوجة ، ولكن من المرجح انها كانت من البيت الفاطمي ، وربما تكون احدى بنات اعمام الخليفة ، لأن مقدم صداقها كان كبيرا(٤٤)، ويدل على أنها من الطبقة الحاكمة ، هذا الى جانب اهتمـــامها بالاشراف وارسال الأموال اليهم ، كما يبدو من القابها انها كانت أولى زوجات الخليفة الآمر ، اذ ورد من القـــابها في نقش على محراب من الخشب من مصلى السيدة رقية لقب «الكبرى»(٤٥) .

كما يتضـــح من اعمالها انها كانت امرأة خيرة ، تبعث بالصدقات الى البيوت الفقيرة ، وكذلك اهتمامها بالعجائز والأرامل وبناء رباط لهن ، ولقد اهتمت أيضا ببناء بعض المساجد مثل مسجد السيدة رقية ومسجد الأندلس وغيره ، وكان يقوم بأمر خدمتهـــا الأستاذ مكنون القاضي ، ثم الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزي(٤٦) .

ولما كانت هذه المرأة تنفق الكثير على منشـــآتها وأعمالها

---

(٤٢) انظر . المرجع السابق .

(٤٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٤٤) اتعاظ ، ٣ ، ص ١٢٣ . وكان مقدم صداقها أربعة عشر الف دينار.

(٤٥) انظر . Berchem, Corpus, Egypte, n 457.

(٤٦) انظر . Ibid.

الخيرية ، لذلك كانت تتحين الفرصـــة للحصول على الأموال من الخليفة الآمر الذى كان لا يرد لها طلبا(٤٧) ·

زوجة الآمر البدوية(٤٨) :

وهى جارية عربية عاشت فى صـعيد مصـر ، ولقد سـمع الخليفة عنها وكان معروفا عنه أنه يهوى العربيات ويبحث عنهن ، وبعد أن رآها بعث يخطبها من أهلها ، وتذكر المصادر أنها كانت جميلة وشاعرة · ويبدو أنها عندما جاءت الى المدينة حيث قصـر الخلافة سئمت أسوارها وحنت الى حياتها فى البادية ، فبنى لهـا الخليفة الآمر على شـاطىء النيل بجزيرة الفسـطاط التى تعرف بالروضة ، متنزها أطلق عليه « الهودج » ·

وكانت البدوية متعلقة بابن عمها ، الذى يدعى ابن مياح · حتى بعد زواجها ، وكانت ترسل اليه شعرا من نظمها تصف فيه أحوالها ، فتذكر أيامهما الأولى فى البادية(٤٩) · وكانت هذه المرأة

---

(٤٧) المصدر السابق ، لما وهب الخليفة الآمر لغلامين له كل يوم مائتي ألف دينار عينا لكل واحد منهما مائة ألف دينار ، حضر اليها عشاء على عادته فالتقت مقصـورتها قبل دخوله وقالت له ، والله ما تدخل الا أن تهب لي مثل ما وهبت لواحد من غلاميك فقال : الساعة ، ثم استدعى الفراشين فحضروا ، فقال : هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا على الباب الى أن حضر الفراشون له المدخل ·

(٤٨) الخطط ، ٢ ، ص ١٨٢ ·

(٤٩) ومن شعرها :

يا ابن مياح اليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حبى حرا مطلقا ... نائلا ماشئت منكم دركا
فانا الآن بقصر مؤصد ... لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا ... حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حينما شاء طليق سلكا

تستغل منزلتها لدى الخليفة الآمر ، الذى يبدو أنه كان ضعيفا أمام نسائه ولا يستطيع أن يرد لاحداهن طلبا ، كما كن يكثرن من طلباتهن ربما محاولة من كل واحدة منهن لاثبات مكانتها عند الخليفة ·كماكانت هذه المرأة تميل الى اقتناء الأشـــياء الثمينة حتى ولو كانت ملكا لغيرها(٥٠) ·

جهة الدار الجديدة(٥١) :

وهى احدى زوجات الخليفة الآمر ، وتدل هذه التسمية على أنها ربما كانت أحدث زوجات الخليفة الآمر ، أو لأنها كانت تسكن احدى دور القصر ، التى أطلق عليها « الدار الجديدة » ، والتى ذكرت فى موضع آخر أنه لا يحضر الى هذه الدار الا من كبرت منزلته(٥٢) · وكانت هذه الزوجة أيضا من النساء اللاتى تمتعن بمكانة هامة لدى الخليفة ، اذ يطلق عليها « الجهة العالية بالدار الجديدة »(٥٣) كما كانت تسمى بجهة جوهر الذى كان يطلق عليه زمام الدار الجديدة ، وهو الأستاذ الذى كان يقوم بخدمتها الى جانب عشرين من جوارى القصر من المستخدمات(٥٤) ·

الجهة الحافظية :

وهى زوجة الخليفة الحافظ المعروفة بجهة بيان الحسامى ، الذى كان يقوم بخدمتها ، وهذه الزوجة كانت جارية مغنية تعزف على

---

(٥٠) نفسه ·
(٥١) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٩ ·
(٥٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٢١ ·
(٥٣) نفسه ، ١ ، ص ٤١٠ ·
(٥٤) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ ·

عود من جملة الجوارى اللاتى خصصن لمجالس الغناء والطرب فى القصـــر الفاطمى ، ولقد تزوجها الخليفة الحافظ بعد ما تحققت رؤيته ، وهو معتقل(٥٥) · ولا نكاد نعرف عن هذه الجهة شيئا سوى أنها أمرت ببناء مسجد على يد أبى الفضل الصعيدى ·

(ب) احـــوال نســـاء القصـــر :

اما عن احوال نساء القصر بصفة عامة ، فلقد كان يشملهن رعاية خاصة ، فهناك من كان يشرف على شئونهن ، ومن يقوم بهذا العمل يعرف باسم زمام القصر ، الذى كان يشـــرف على القصر وخاصة نسائه(٥٦) · ومما يدل على اهمية هذه الوظيفة ، انه كان لزمام القصر اربعة نواب ، يبدو انهم ينوبون عنه فى الشئون المختلفة للنساء وللقصر بصفة عامة · وكان هذا الموظف يعتبر من بين الشخصيات المقربة لدى الخليفة والمطلعة على اسراره ، فكان يقف بجانب الوزير وزمام بيت المال انتظارا لجلوس الخليفة(٥٧) وكان يخرج له من خزانة الكسوات بدلة مذهبة ولنوابه كل منهم

---

(٥٥) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٨ . وكان سبب اعتقال الحافظ ، ان ابن الوزير الافضـــل الذى يعرف باسم كتيفات سجن الخليفة رغبة منه فى الانتقام من الفاطميين لقتل ابيه ، وقد راى الخليفة وهو معتقل انه قد جلس فى مجلس من مجالس القصـــــر وكأن الخلافـــة أعيدت اليـــه ، والمغنيات قـــد دخلن يغنين بين يديه ومنهن جارية معها عود فانشات تغنى قول أبى العتاهية :

اتتـــه الخلافـــة منقـــادة	اليـــه تجـــرر اذيالهـــا
فـــلم تـــك تصـــلح الا لـــه	ولم يـــك يصـــلح الا لهـــا
ولـو نالهـــا احـــد غـــيره	لزلـــزلت الارض زلزالهـــا

فلما استيقظ كـــر عليه الحبس بعد قتل أبن الافضـــل وتحققت رؤيته ورأى نفس الجارية تغنى ، فاعطاها جوهرا كثيرا ، وقـــال لها : ان لك علينا كل ســـنة مثل ذلك .

(٥٦) الخطط ، ١ ، ص ٣٨٦ .

(٥٧) نفسه .

بدلة حريرى (٥٨) • وكان من بين اختصاصاته انه كان يبلغ عمن تموت من أهل القصر ويشـــرف على ذلك حتى يتم دفنها فى تربة الزعفران المخصصة لدفن الخلفاء وذويهم(٥٩) • ولعل وظيفة زمام القصر تشبه وظيفة « الزمام دار » فى العصر المملوكى(٦٠) •

فضلا عن ذلك ، فكان لنساء القصر أطباء يطلق عليهم أطباء الخاص للجهات ولحواشى القصر ، وكان يخرج لنساء القصـــر من خزانة الشـــراب الادوية ، ويكون ذلك تحت اشـــراف هؤلاء الأطباء(٦١) • ويبدو أن بعض النساء ممن كان لهن درجة مميزة كان لكل واحدة منهن طبيب خاص(٦٢) •

وفيما يتعلق بأحوال نساء القصر المعيشية ، فكان يخرج لهن مقررات مالية(٦٣) • هذا فضلا عما كان يوزع عليهن فى بعض المناسبات مثل موسم أول العام ، فكان يوزع من ضرب الســنة الجديدة على كل نساء القصر حتى العاملات فيه(٦٤) • هذا الى جانب بعض المقررات العينية التى كانت تخرج لهن من بعض خزائن القصر ، مثل ما يخرج من خزانة التوابل(٦٥) ، التى تصرف لهن انواعا مختلفة مثل الكافور والمسك والزعفران وماء الورد ، وما يوزع

---

(٥٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ •

(٥٩) نفسه ، ١ ، ص • ص ٣٦٢ ، ٤٥٩ •

(٦٠) صبح الأعشى ، ٤ ، ص ٢١ ، ٥ ، ص ٥٩ ، انظر • ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٣٢ •

(٦١) سفرنامة ، ص ٦٤ • المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ ،

(٦٢) انظر • Goltein, Med. Soc. 11, P. 352,

(٦٣) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ •

(٦٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٤٦ •

(٦٥) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٠ •

عليهن من البساتين من النرجس والنخل الذى كان موقوفا برسم القصر(٦٦) ، فضلا عن ذلك كان يوزع عليهن الحلوى والأطعمة فى بعض المناسبات مثل عيد الفطر ، وليلة رأس السنة الهجرية ، ويبدو أن الأسمطة التى كانت تخص أهل القصر كانت تعمل بالايوان بالقصر الفاطمى(٦٧) ٠ كما كان يخرج لأهل القصر أيضا الدقيق من الاهراء السلطانية(٦٨) ، وكذلك راتب من الثلج يخرج لهن يوميا(٦٩) ٠

أما ما يخرج لنساء القصر من الكسوة(٧٠) ، فكان فى مناسبات مختلفة الى جانب فصلى الصيف والشتاء ، وكانت كسوة عيد الفطر كثيرة بصفة عامة حتى أطلق عليه « عيد الحلل » وهذه الكسوات كانت تخرج لكل امرأة حسب درجتها ، فمثلا زوجات الخليفة كن فى أعلى القائمة ، يليهن العمات وبنات الأعمام ٠ كذلك كان يخرج لهن من الأكفان لمن تموت ٠ وتجدر الاشارة الى أن ماكان يخرج لنساء القصر وغيرهم من الأنعام والعطايا والضحايا والرتب من الكسوات كان يدون بدفتر خاص له مكان فى ديوان القصر(٧١) ٠

أما عن دور النساء الفاطميات فى القصر ، فكان يتمثل فى المشاركة فى الاحتفالات ، التى كانت تقام بالقصر ، مثل الاحتفال بالعيدين وليلة النصف من شعبان وآخر رمضان ٠ ولما كانت هذه

---

(٦٦) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٢ ٠
(٦٧) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٦ ٠
(٦٨) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٦٥ ٠
(٦٩) سفر نامة ، ص ٦٤ ٠
(٧٠) ومنها الميدان ، وعيد الغدير وفتح الخليج وغرة شهر رمضان ٠ انظر المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٠٩ — ٤١١ ٠
(٧١) نفسه ، ١ ، ص ٣٩٧ ٠

المناسبات دينية فكانت النساء يأتين بالمياه وتوضع أمام المقرئين لتشملها بركة القرآن كما كانت النساء يقمن أيضا بتوزيع الأموال وخلع الخلع على الخطيب والمقرئين والمؤذنين(٧٢) كذلك كانت نساء القصر يحضرن مجالس الشعر التى كانت تقام بالقصر ويغدقن الأموال على الشعراء ، كلما سمعن شعرا يقال فى مدح الخلفاء(٧٣) ٠

أما عن دورهن خارج القصر ، فكان مقصورا على اصطحاب الخلفاء لهن فى نزهاتهم الى مناظرهم الكثيرة للتفرج(٧٤) ٠ وكذلك فى أعياد النصارى ، ولاسيما عيد الغطاس ، كما كان الخليفة المستنصر يخرج بنسائه الى جب عميرة كل عام فى موسم الحج ٠ ومن ذلك يتضح أن خروجهن رغم أنه اقتصر على ذلك ، الا انه كان كثيرا وذلك راجع الى حب الخلفاء الفاطميين للتنزه والتفرج ٠

(هـ) الألقاب :

اما عن الألقاب التى تميزت بها النساء الفاطميات ، فنجد أن الفاطميين بصفة عامة قد اهتموا باتخاذ الألقاب ، اذ انها كانت من مراسيم الخلافة ، وان كانت القاب الفاطميين امتدادا للألقاب ، التى شاع استعمالها فى الدولة العباسية(٧٥) ٠ كلقب « أمير المؤمنين » و « الامام » فضلا عن القاب الكناية المكانية مثل لقب « الحضرة

---

(٧٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٩٢ ٠

(٧٣) النكت العصرية ، ص ٣٥ ، ٣٧ ٠

(٧٤) ومن مناظر الفاطميين ، منظرة اللؤلؤة على الخليج ، ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ، ومنظرة البعل ، ومنظرة التاج ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظرة السكرة والاندلس بالقرافة والصناعة بمصر ومنظرة باب الفتوح ٠ انظر ٠ المصدر السابق ، ١ ، ص ٦٥ ٠

(٧٥) انظر ٠ حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٦٧ ٠

الشريفة »(٧٦) وكذلك الألقاب ، التى استعملت للوزراء الفاطميين مثل لقب « الوزير الأجل » وكان يلاحظ على القاب الفاطميين انها كثيرة ومرتبة(٧٧) ٠

والألقاب الخاصة بالمرأة قد اقتصرت على المرأة الفاطمية مثل زوجات الخلفاء واخواتهم وبناتهم وعماتهم ولقد تنوعت هذه الألقاب، لأنها تدل على المكانة ، التى حازتها المرأة ، وكانت أحيانا المرأة الواحدة تتلقب بعدة القاب ، ومن هذه الألقاب :

الجليلة :

وهذا اللقب قد اطلق على أم الخليفة المستنصر(٧٨) ، وكذلك زوجة الخليفة الآمر التى كانت تدعى علم(٧٩) ٠

الســـــيدة(٨٠) :

وهى مؤنث السيد ، وهو لقب عام اطلق على النساء من اميرات قصر الخلافة من زوجات واخوات وكرائم وعمات الخلفاء وكذلك بنات الأعمام(٨١) ٠ ومن بين هؤلاء ست الملك وأم المستنصر وأم المســـتعلى وغيرهن ٠ وكان أحيانا يقترن هذا اللقب أى لقب

---

(٧٦) النجوم ، ٢ ، ص ١٤ ، انظر ، نفسه ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ٧٧ ٠

(٧٧) الاشارة الى من نال الوزارة ابن الصيرفى ، ص ٥٦ ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٧٠ ٠

(٧٨) السيرة المؤيدية ، ص ٨٤ ٠

(٧٩) انظر ٠ Berchem, Corpus, Egypte, 1, n. 457.

(٨٠) انظر ، نفس المرجع ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ ٠

(٨١) الخطط ، ١ ، ص ٤١١ ٠

السيدة بالانتساب الى الخليفة الزوج فمثلا نجد « السيدة المعزية »(٨٢) و « السيدة العزيزية »(٨٣) وكان هذا اللقب يعتبر نوعا من الاعزاز أو الافخار بالانتساب الى الخليفة ، أو ربما تمييزا لتلك المرأة عن غيرها • ومن المعروف أن هذا الانتساب مازال معروفا حتى وقتنا هذا ، لاسيما بالنسبة للطبقات الحاكمة وهو انتساب الزوجة الى زوجها ، وهذا مثل ما كان معروفا ايضا فى العصر الفاطمى « علم الآمرية »(٨٤) •

الشريفة :

هذا اللقب من الشرف ، ولقد ظهر فى الدولة الاسلامية ويطلق على أقرباء النبى وأهل بيته بصفة عامة ، ولقد صار لقبا عاما على كل عباسى فى بغداد وعلوى فى مصر(٨٥) • ولقد استمر هذا اللقب يدل على أبناء فاطمة حتى وقتنا هذا •

وفى العصور الاسلامية كان هؤلاء الاشراف يأخذون راتبا من الحكومة ، لأنه قد حرمت عليهم الصدقة • وفى مصر فى عهد الطولونيين كانت تجرى لهم الجرايات(٨٦) ، وكان يطلق عليهم « الاشراف الطالبيين » •

ولما كانت طبقة الاشراف كبيرة فى الدول الاسلامية ، لذا كان لهم نقيب فى كل مدينة من المدن الكبيرة • وكان نقيب العلويين فى

---

(٨٢) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٨ •
(٨٣) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٧١ •
(٨٤) المصدر السابق ، ص ٤٤٦ •
(٨٥) صبح الأعشى ، ٦ ، ص ١١٧ ، انظر • المرجع السابق ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ •
(٨٦) انظر • متز ، الحضارة الاسلامية ، ١ ، ص ٢٨٥ •

مصر فى العهد الفاطمى من كبار رجال دار الخلافة ، وكذلك كان للأشراف قضاء مستقل يتولاه نقيبهم الذى يعينه الخليفة(٨٧) • أما الأشراف الأقارب ، فكان لهم موظف يعرف « بزمام الأشراف الأقارب » وهو من الأستاذين المحنكين(٨٨) ، وكان من المقربين الى الخليفة وكذلك من المطلعين على أسراره مما يدل أيضا على أهمية هذه الوظيفة أن راتبه كان كبيرا(٨٩) •

أما عن نساء الأشراف ، فكن يتصفن بالتقوى والزهد ، وليس أدل على ذلك من حياة السيدة نفسية(٩٠) ، التى حازت حب المصريين الذين رفضوا أن تخرج من مصر بعد وفاتها ٢٠٨/٨٢٣ ويتجلى حب المصريين أيضا بالنسبة لعامة أهل البيت فى بناء الأضرحة والمشاهد لهم • مثل محراب السيدة نفيسة ، الذى صنع فى خلافة الحافظ(٩١) • حين عمر مسجد السيدة نفيسة ، وجدد القبة على

---

(٨٧) الخطط ، ١ ، ص ٢٨٦ • انظر • سرور ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٠ •

(٨٨) جمع أستاذ وهى كلمة من أصل فارسى تعنى عبيد القصر الذين يقومون بأعماله المختلفة • وكان يشرف على هذا الجهاز الضخم فى القصر رؤساء لهم يعرفون بالأستاذين المحنكين لتميزهم من غيرهم بزى الحنك وهو ان يمر طرف العمامة تحت الحنك ليصعد من الجهة المقابلة ويلتف من جديد حول الرأس ، فكان هؤلاء يكونون الخاصة ، للخليفة ولهم نفوذ كبير • انظر• صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ٤٨١ ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١ ـ ١٢ •

(٨٩) فكان راتبه يصل الى مائة دينار ، ويبدو أن هذا الراتب كان يعم حواشى القصر الذين يشغلون مكانة متشابهة (انظر • صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٤٩٠) ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٦٠ •

(٩٠) وهى ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب • وزوجة إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق • انظر نفسه ، ١ ، ص ٤٤٠ ، ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ٣١ — ٣٤ •

(٩١) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٢ •

الضريح أيضا • وكذلك مشهد السيدة كلثوم(٩٢) وهي بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر والتي ينتهي نسبها الى علي بن أبي طالب ، وكانت من الزاهدات العابدات ، هذا فضلا عن مشهد السيدة رقية ، الذي بنته علم الآمرية ١١٣٩/٥٣٣ (٩٣) • وكذلك وجود بعض العلويات في مصر قبل العصـــر الفاطمي(٩٤) واقامتهن في بعض المدن المصرية •

وكانت نساء الأشراف يقمن احيانا ببعض الأعمال ، فنرى أنه في العصر الطولوني ، كانت بعضهن يقمن بتربية الجمال وتأجيرها لحمل الأمتعة ولما كانت بعض الشريفات ، لايجدن وسيلة للكسب فكن يلجأن للوقوف في الطريق ويسألن ، ولما علم كافور الاخشيدي بهذا تفقد احوال سائر الشريفات واطلق لهن الأموال(٩٥) •

ومن خـــلال شـــواهد القبور ، التي وجدت في الفســـطاط واسوان(٩٦) والتي ترجع الى العصـــر الفاطمي ، نجد ان هؤلاء الشريفات كن كثيرات في ذلك الوقت ، كما أن شواهد قبورهن كانت احيانا من الرخام مما يدل على ثراء بعضهن ، أو على الأقل قد تلقين رعاية من الخلافة الفاطمية ، كما كن يتميزن أيضـــا بميلهن للعبادة والتقوى •

ومن ثم كان لقب « الشريفة » يطلق على كل فاطمية عاشت

---

(٩٢) نفسه •

(٩٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٨ ، انظر •
Wiet, Corpus, Egypt III, 591.

(٩٤) انظر • Repertoirl, II n. 446, n 692 II, n 922.

(٩٥) انظر • سيدة كاشف ، مصر في عهد الاخشيديين ، ص ٢٤٦ •

(٩٦) Répertoire, 0 nt/910 6,; n 3119, 7 n 2725 ; Wiet, Catalogue du Musée Arabe, VIII, n 6718.

ابن الزيات ، ص ٨٨ ، ١٧٨ •

فى القصر الفاطمى ، وليس كل زوجات الخلفاء أطلق عليهن هذا اللقب ، لأنه لا يمنح من الخليفة ، وانما هو دليل على شرف الدم كما أسلفنا • وكذلك الانتساب الى آل البيت ، ولأن بعض زوجات الخلفاء كن من غير المنتسبات الى البيت النبوى لذا نجد مثلا أم المستنصر لم تلقب بهذا اللقب ، لأنها كانت فى الأصل جارية • ومن هؤلاء النساء اللاتى حملن هذا اللقب سيدة الملك(٩٧) وابنة الظاهر(٩٨) وابنة الحافظ(٩٩) وغيرهن •

الرحيمة :

وهو من ألقاب كل من ابنة الخليفة الظاهر وأخت الخليفة المستنصر(١٠٠) وكذلك أم الخليفة المستعلى(١٠١) •

الطـــــاهرة :

من ألقاب ابنة الخليفة الظاهر(١٠٢) ، كما انه وجد على مشاهد القبور الخاصة ببعض النساء العلويات(١٠٣) •

الــــكريمة :

من ألقاب ابنة الخليفة الظاهر كذلك وأم الخليفة المستعلى(١٠٤) وزوجة الخليفة الآمر بأحكام الله التى تدعى علم الآمرية(١٠٥) •

---

(٩٧) التحف والذخائر ، ص ٦٨ •

(٩٨) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ١٥٢ ، ص ١٧١ •

(٩٩) النكت العصرية ، ٣٧ •

(١٠٠) المصدر السابق ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ •

(١٠١) نفسه ، سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ •

(١٠٢) نفسه ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ •

(١٠٣) ابن الزيات ٤٥ — ٤٦ ، ٨٨ •

(١٠٤) المصدر السابق سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ ، سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ •

(١٠٥) انظر • Berchem, Corpus, Egypte, I, n 457.

المحروســـــة :

وهو من القاب النساء ، ولقد ورد ضمن القاب السيدة علم الآمرية فى نقش بتاريخ ٥٥٠/١١٦٠ على محراب من الخشب من مسجد السيدة رقية كما أسلفنا(١٠٦) • اذ أن ألقاب هذه المرأة كانت كثيرة ووردت على بعض القطع الأثرية •

الملكة :

وهى صفة مؤنث الملك ، وهو من القاب النساء ، وهذا اللقب لا يشير الى الرئاسة العليا التى يعبر عنها لقب الملك بالنســـبة للرجال ، بل كان يعبر عن الجليلات من النساء من أفراد البيوت المالكة(١٠٧) • وكان من القاب أم الخليفة المستنصر(١٠٨) ، وكذلك لقبت به كل من ابنة الخليفـــة الظـــاهر(١٠٩) وأم الخليفـــة المستعلى(١١٠) •

مولاتنا :

هذا اللقب مؤنث لقب « مولانا » الذى اســـتعمل للخلفاء العباسيين ، وكذلك الفاطميين ، كما أطلق ايضا على الوزراء(١١١) ولقد كانت ست الملك تخاطب « بمولاتنا »(١١٢) كما أن أم الخليفة

Ibid.

(١٠٦) انظر •
(١٠٧) انظر • حسن الباشا ، الالقاب الاسلامية ، ص ٥٠٦ •
(١٠٨) المصدر السابق ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٦ •
(١٠٩) سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ •
(١١٠) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ •
(١١١) انظر • المرجع السابق ، ص ٥٢٠ •
(١١٢) النجوم ، ص ١٨٥ •

المستنصر كان يخاطبها الرجال فى حضرة ابنها « بمولاتهم »(١١٣) وكذلك ابنة الخليفة الظاهر كانت تخاطب من كبار رجال الدولة بهذا اللقب ٠

(د) العلامات :

وتوجد للنســـاء الفاطميات علامات ، والعلامة هى ما كان يوقع به الخلفاء الفاطميون على الأوراق الرسمية والمكاتبات الخاصة بهم لاعمالنها الصفة الرسمية ، وهذه العلامة كانت على هيئة عبارة دينية ، وكانت تاتى فى المكاتبات الرسمية بعد البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)(١١٤) ٠ وتقع العـــلامة بجانبها ، وكانت علامة الخلفاء الفاطميين بصفة عامة « الحمد لله رب العالمين » ٠

أما العلامات الخاصة بالنساء الفاطميات ، فلقد كانت مختلفة، على الرغم من انه لم يصلنا منها الا القليل ٠ فلقد كانت علامة أم الخليفة ، المستنصر وابنة الخليفة الظاهر ــ أخت المستنصر هى « الحمد لله ولى كل نعمة »(١١٥) ٠ أما علامة أم الخليفة المستعلى فكانت « الحمد لله على نعمه »(١١٦) ٠

(هـ) الثروات :

كما ذكرت المصـــادر الثروات الكثيرة التى خلفتها الأميرات الفاطميات ، والتى تمثلت فى الجـــواهر والتحف الثمينة ، وهذه

---

(١١٣) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ ــ ٨٨ ٠

(١١٤) السجلات المستنصرية ، ص ١٣ ، الخطط ، ١ ، ص ٤٠٣ ٠

(١١٥) نفسه ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ ، سجل رقم ٢٨ ، ص ٩٦ ٠

(١١٦) نفسه ، سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ ٠

الثروات كانت تأتي لهن عن طريقين ، الأول عن طريق الوراثة ، وهذا أدى بالطبع الى كثرة هذه الثروات ، فمن المعروف أن البنت في المذهب الشيعي ترث كل ما يتركه ابوها اذ لم يكن لها أخ ولا اخت(١١٧) هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بعض هؤلاء الأميرات قد عمرن كثيرا ، مما اتاح لهن الفرصة في تكدس مثل هذه الثروات أما الطريق الثاني ، فكان يأتي اليهن من الهدايا التي كانت تقدم لتلك الأميرات من الملوك او غيرهم(١١٨) • هذا فضلا عن ميولن أيضا الى اقتناء الأشياء الثمينة والنادرة •

وعلى الرغم من أن حياة الخلفاء الفاطميين في مصر اتسمت بالرخاء والبذخ ، فقد مال الخلفاء الفاطميون في المغرب ، ولاسيما الخليفة المعز ، الذى سار على نهج من سبقوه الى الميل الى التقشف والحياة البسيطة فكان يعيش في حجرة متواضعة قد فرشت باللبود ، ويظهر أمام رعاياه في مجالس اتسمت بالبساطة(١١٩) • وكان السبب في ذلك ، أنه كان يعد العدة هو ومن سبقه من الخلفاء للقدوم الى مصر لاقامة خلافة فاطمية بها ، ولما كانت هذه الحملات العسكرية ، التي كانت تبعث الى مصر تتكلف الكثير فكان لابد من تسخير كل الامكانات اللازمة لتحقيق ذلك • ولكن تبدل حال المعز ، بعدما انتقل الى مصر فمال الى حياة الترف هو ومن بعده ويكفي أنه هو الذى استن تلك الرسوم والحفلات التي كانت تقام بالقصر وكانت تتميز بالبذخ والترف(١٢٠) •

---

(١١٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ١١١ •

(١١٨) التحف والذخائر ، ص ٨١ ، ٨٣ •

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، انظر . ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٣٠٧ •

(١٢٠) النجوم ، ٤ ، ص ٧٩ •

كما ان ثروات النساء كانت تشتمل على تحف نادرة ، وأشياء ثمينة ، لأن الخلفاء الفاطميين كانوا يميلون الى جمعها ، فكان الخليفة العزيز يهوى التحف ، ولاسيما البللور(١٢١) . والخليفة الظاهر يكثر من شراء الجواهر ، كما كان الخليفة المستنصر يميل أيضا الى جمع التحف الثمينة(١٢٢) .

أما عن هذه الثروات التي كانت لدى الفاطميات ، فمن أمثلتها ما تركته سيدة الملك أخت الخليفة المعز ، والتي توفيت في خلافة أخيها . فوجد لها من الذهب ثلاثمائة صندوق ومن الفصوص الياقوت الملونة واللؤلؤ . كما وجد لها من الشسقق الحريرية ثلاثون الف شقة(١٢٣) .

كما تركت السيدة رشيدة ابنة المعز والتي ماتت في عام ٤٤٢/١٠٥٠(١٢٤) ما يقرب من مليون ونصف من العملة الذهبية ومائة قاطرميز(١٢٥) ، مملوءا كافورا قيصوريا(١٢٦) ، كما وجد لها معممات بجواهرها من أيام الخليفة المعز ، وكذلك ثلاثون ثوب خز

---

(١٢١) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١٤ .

(١٢٢) انظر . المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(١٢٣) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ ، والشقة ليست ثوبا كاملا ، ولكن قطعة منه انظر . Dozy, Suppl, 1, P. 773.

(١٢٤) التحف والذخائر ، ص ٢٤١ ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ .

(١٢٥) وهو نوع من الأوعية التي لها عنق صغير وفتحة واسعة له غطاء ، انظر . Ibid, II, P. 432.

(١٢٦) وهو منسوب الى موضع من بلاد الهند من ناحية سرنديب ، انظر . Ibid, II, P. 366.

حرير(١٢٧) ، واثنا عشر الفا من الثياب المصمت الوانـا ــ من لون واحد(١٢٨) ٠

أما السيدة عبدة ، والتي توفيت في نفس العام(١٢٩) ، مما يدل على كثرة ثروتها أن صناديقها وخزائن حليها استعمل للختم عليها اربعون رطلا من الشمع ، كما أن البطائق التي دونت فيها متاعها بلغت ثلاثين رزمة ورق ٠ ومن امثلة التحف التي تركتها ٠ أربعمائة صندوق « قمطرا » وثلاثمائة قطعة مينا فضة مخرمة ، وأربعمائة سيف محلى بالذهب ، وثلاثون الف شقة صقلية ، ومن الجواهر خمسة اكياس من الزمرد ، هذا الى جانب ما وجد لها من مدهن ياقوت وتسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البللور ٠

أما ما خلفته ست الملك أخت الخليفة الحاكم ، عدة تحف من الجواهر والقماش ، كما وجد لها اربعة آلاف جارية ما بين بيض وسود ومولدات منهن الفـ وخمسمائة ابكارا والبقية ثيبات(١٣٠) ، كما كان لها اقطاع قد منح لها عام ٣٨٩/٩٩٩(١٣١) ٠ في ضياع الصعيد وكذلك في الوجه البحري، وكان يدر لها مبلغا كبيرا سنويا ، هذا فضلا عن الدور والبساتين التي منحت لها أيضا ٠

كذلك تركت ابنة الخليفة الحاكم بأمر الله ، والتي تدعى ست

---

(١٢٧) انظر ٠ Ibid, 1; P. 367.

(١٢٨) انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٧ ، هامش رقم ٦ ٠

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ ٠

(١٣٠) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ ٠

(١٣١) اتعاظ ، ٢ ، ص ٣٣ ٠ ومن المناطق التي كانت تشمل ضياع ست الملك بوتيج من اعمال اقليم السيوطية وهي الآن أبو تيج ، وصهرشت ، ولعلها صهرجت الحالية ٠ (انظر ٠ الخطط التوفيقية ، ١٣ ، ص ٢٧) ٠

مصر(١٣٢) من التحف مما يدل على ثرائها البالغ ، ولعلها كانت تحظى بمكانة عالية ، لدى أبيها وهذا يتضح من اسمها ، اذ أنه كان من الشائع في تلك الفترة أن غلبت كلمة « ست » على الاسماء المزدوجة مثل اسم « ست الملك » اخت الخليفة الحاكم ، وكذلك بالنسبة لاسماء المصريات ، فقد غلب عليها هذا الطابع مثل اسم « ست الأهل »(١٣٣) و « ست الحسن »(١٣٤) ، لكن اسم ست مصر يعتبر كنوع من الاعزاز لهذه المرأة وقد تركت ست مصر ثمانية آلاف جارية وجوهر ، وكان لها اقطاع يغل لها فى كل سنة مبلغا كبيرا . ربما قد منحه لها الخليفة الحاكم .

اما ثروات أم الخليفة المستنصر ، فكانت كثيرة ، اذ كان لها خزائن تشبه خزائن الخلفاء ، وكان لها عشارى خاص محلى بالفضة ، وعرف بالفضى وكذلك اربعة آلاف سرج وآلات فضية(١٣٥) .

ويرى البعض(١٣٦) ، ان هذه الثروات، التى ذكرها المؤرخون بالنسبة للفاطميين ونسائهم لا يمكن تصديقها . ولكن يبدو أن وجود

---

(١٣٢) التحف والذخائر ، ص ٢٤٠ ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(١٣٣) انظر . Ashtor, Histore des prix, P. 218.

(١٣٤) انظر . سعاد ماهر ، مدينة أسوان ، لوحة رقم ١١٧ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ، انظر . ماجد ، المستنصر . ص ١٧٠ والعشارى هى سفينة نيلية تركب فى المناسبات الرسمية مثل فيض النيل ويوم فتح الخليج (انظر . صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٥٢٠) ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٨٦ ــ ٨٧ . وكان عشارى أم المستنصر قد عمله لها وزيرها أبو سعد التسترى ٤٣٦/١٠٤٥ ولقد قدرت الفضة ، التى استعملت فيه بمائة الف وثلاثين الف درهم ، وأما اجرة صناعته فبلغت الفين واربعمائة دينار . الخطط ، ١ ، ص ٤٧٩ .

(١٣٦) انظر . لينبول ، سيرة القاهرة ، ص ١٣٢ .

هذه الثروات كان أمرا طبيعيا لدولة عاشت في ترف بالغ وكل ما يحيط بها يدل على ثرائها وغناها ، كما أن ثروات بعض النساء يمكن تصديقها ، فنرى كلا من عبدة ورشيدة ابنتى الخليفة المعز قد توفيتا فى عهد الخليفة المستنصر ، وهذا يدل على انهما عاشتا فترة طويلة ، ربما جاوزت التسعين عاما مما اتاح لهما الحصول على هذه الثروات الكثيرة(١٣٧) .

وعلى الرغم من هذه الثروات التى تركزتا ببعض النساء ، والتى تدل على الثراء الفاحش ، الا أن بعض النساء مع ذلك كن يكتفين فى معيشتهن بالقليل ، كما كان منهن الزاهدات فى الدنيا الحريصات على العمل ، فنجد أن أخت الخليفة المعز ، التى تدعى ست الملك كانت لا تأكل الا من ثمن غزلها حتى وفاتها (١٣٨) ، ولعلها كانت مازالت متأثرة بمعيشة الفاطميين فى المغرب من قبل .

(و) المنشـــــــآت :

تنوعت المنشآت التى خلفتها المرأة ، سواء التى أمرت بانشائها وانفقت عليها ، أو التى بنيت لها من قبل الخلفاء . ولعل اهتمام المرأة باقامة بعض المنشآت ، يرجع أساسا الى ميل الخلفاء الفاطميين الى العمران الذى شمل البلاد فى عهدهم من قصور ومناظر ومساجد وغيره .

ولقد تميزت منشآت المرأة فى تلك الفترة ، بانها كانت فى الغالب منشآت دينية كالمساجد والأربطة الى جانب القصور ولقد اندثرت هذه المنشآت فى معظمها ولم يتبق منها سوى ما ذكرته

---

(١٣٧) التحف والذخائر ، ص ٢٤١ .

(١٣٨) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ .

المصادر التاريخية من وصف لها · كما تميزت هذه المنشآت بأنها خارج القاهرة ومعظمها فى القرافة(١٣٩) ·

جـــامع القـــرافة :

وهو أحد منشآت السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز ، والتى تعتبر فى مقدمة النساء اللاتى تركن آثارا تحمل اسماءهن وترجع للعصر الفاطمي · ومن الملاحظ أن السيدة تغريد بدأت فى اقامة هذه المنشآت بعد موت الخليفة المعز بعام واحد(١٤٠) ، ولعل مرجع ذلك أن المعز كان يميل الى التقشف فلم يتح لها الفرصة فى انفاق الأموال الكثيرة على اقامة تلك المنشآت ، على الرغم انه قد تغير حاله بعدما جاء الى مصر كما أسلفنا · أو أن الخليفة العزيز بما عرف عنه من الجود والسخاء ، لم يمنع عن أمه هذه الأموال ، أو على الأقل أنها أرادت بعد موت الخليفة المعز أن تتفرغ لهذا النشاط ، لاسيما أنها قد عمرت طويلا ·

ولما كان بناء جامع القرافة فى عام ٩٧٦/٣٦٦ ، فهو يعد ثانى جامع اقامه الفاطميون فى مصر بعد الجامع الأزهر ، ولذلك جاء على هيئته من حيث انه مربع الزوايا وعلى جوانبه اروقة كما كان لجامع القرافة منارة عالية ، أما بابه فكان له مصطبة عالية تحت هذه المنارة من المئذنة — وله عدة أبواب مصفحة بالحديد ولقد تميز بالوانه المختلفة ، التى قام بعملها جماعة من فنانى البصرة ، كما

---

(١٣٩) وتقع القرافة جنوبى القاهرة ، وكانت مقبرة لاهالى مصر ، وكانت مليئة بالأضرحة والمشاهد والمساجد والاربطة ، وكانت تتصل بالقاهرة بالمبانى والقصور البديعة ، كما انها كانت قليلة المساكن الظر · صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩ ، الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٤ ·

(١٤٠) توفى المعز ٩٧٥/٣٦٥ · المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٥٤ ·

قام بتصميمه الحسن بن عبد العزيز المحتسب ، وهذا الجامع يقع بالقرافة الكبرى خارج القاهرة · ولقد كان ملحقا بهذا الجامع بستان وصهريج للمياه من جهة الغرب(١٤١) ·

وكان جامع القرافة كسائر الجوامع الكبيرة فى مصر والقاهرة يقام فيه صلاة الجمعة(١٤٢) ، ويخرج له فى ليالى الوقود مقرر من الزيت(١٤٣) · كما كانت تشمله تلك الصدقات ، التى كانت توزع على المساجد(١٤٤) ، ويقام فيه سماط فى ليالى الوقود وله أيضا صدقة للفقراء وأهل الربط ، التى حوله ولعله كان يقام به حلقات وعظ ودرس مثل بقية الجوامع ·

وقد تم تجديد هذا الجامع فى خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون البطائحى ٥١٦ / ١١٢٢ واختير للاشـــراف عليه بعض الصالحين كما ألحق به طاحونة تستخدم لطحن أقوات الضعفاء(١٤٥) وكانت هذه الطاحونة ملحقة بسبيل تابع للجامع(١٤٦) ولعله كان

---

(١٤١) الخطط ، ٢ ، ص ٣١٨ ·

(١٤٢) نفسه ، ٢ ، ص ٢٤٥ ·

(١٤٣) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٦ · ليالى الوقود هى أربع ليال مبـاركة منها أول رجب ونصفه وأول رمضان ونصفه ، يخرج فيهم موكب كبير من رجال الدين وفى أيديهم الشموع الى المنظرة التى يجلس فيها الخليفة ، يستمع الى خطب أئمة جوامع القاهرة ومصر الكبرى عن فضـائل هذه الشهور · انظر · ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص · ص ١٢٠ — ١٢٢ ·

(١٤٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٠٨ ·

(١٤٥) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٩ ·

(١٤٦) السبيل فى الأصل كان يلحق بالمسجد فى أحد أركانه للشرب · وفى أغلب الأحيان كان يعلوه كتاب لتحفيظ الأطفال القرآن ، ثم أصبحت هـذه الأبنيـة بعد ذلك منفصلة فى العصور اللاحقة · انظر كمال الدين سامح ، العمارة الاسـلامية ، ص ٢٠ ·

مقاما مع بداية نشأة الجامع بجانب الصهريج ولقد تعرض هذا الجامع للحريق عند خراب الفسطاط عام ٥٦٤/١١٦٨ ولم يتبق منه سوى المحراب ، وكان يعرف هذا الجامع بعد العصر الفاطمي بجامع الأولياء ، وربما كانت تقام فيه الجمعة ، وقد زال ولم يبق فيه الا آثار بعض جدرانه(١٤٧) ٠

مسجد النارنج :

ويبدو أنه أطلق عليه هذا الاسم لأن نارنجه لا ينقطع أبدا ٠ ولقد اقامته زوجة الخليفة الآمر التي تعرف بجهة الدار الجديدة في عام ٥٢٢/١١٢٨ وأخرجت له أموالا كثيرة وكان يقع هذا المسجد خارج القاهرة أيضا بجانب سقاية ابن طولون بالفسطاط في مقابلة القرافة الكبرى ٠ ولقد قام بالاشراف عليه الأستاذ افتخار الدولة ومعز الدولة الطويل(١٤٨) ٠ ولم توجد منشآت لهذه المرأة سوى هذا المسجد ٠

مسجد الأندلس :

اقامته السيدة علم الآمرية التي تعتبر مثل السيدة تغريد في ميلها الى اقامة المنشآت العديدة ٠ ولقد كان هذا المسجد يقع شرقي القرافة الصغرى بنته عام ٥٢٦ / ١١٣٢ على يد الشيخ أبي تراب الصواف ، الذي كان يباشر أعمالها كوكيل عنها(١٤٩) ٠

---

(١٤٧) المخطط ، ٢ ، ص ٢٢٠ ، أنظر ٠ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ١ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ٠

(١٤٨) نفسه ، ص ٤٤٦ ٠

(١٤٩) نفسه ، انظر ٠ أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ١ ، ص ١٠٣ ٠

مسـجد السـيدة رقيـة :

وهو يعد من منشآت السيدة علم أيضا(١٥٠) أقامته على يد أبى تراب حيدرة ومن المحتمل أن بناء هذا المسجد تم فى عام ٥٢٧/ ١١٣٣ وهذا يتضح من الكتابة الكوفية التى تحيط برقبة القبة لهذا المسجد(١٥١) . كما أن بهذا المسجد تابوتا خشبيا عليه نقوش كتابة كوفية جاء فيها « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه ، وصلى الله على سـيدنا محمد خاتم النبيين أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبو تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم الله من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة بسمك صدق الله »(١٥٢) .

هذا فضلا عن المحراب الذى كان يوجد بالمشهد ثم نقل الى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (١٥٣) وبه نقوش كتابة كوفية نصها « ما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان يقوم بخدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى الصالحى برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على »(١٥٤) . وهذا المحراب يرجع تاريخه الى ما بين ٥٥٠/١١٥٥ ، ٥٥٥/١١٦٠ .

---

(١٥٠) نفسه ، ص ٤٤٨ ؛ أنظر . نفسه .

(١٥١) أنظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٠٣ . ولقد جاء منها بعد البسملة وثلاث آيات من القرآن الكريم ما نصـه وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا فى شهر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وخمسمائة وحسبى الله .

(١٥٢) أنظر . Wiet, Corpus, Egypte, II, n 591.

(١٥٣) سجل رقم ٤٤٦ .

(١٥٤) أنظر . Borchem, Corpus, Egypte, I, n 457.

وهذا يدل على أن السيدة علم بعد انشاء هذا المسجد فى عام ١١٣٣/٥٢٧ ، جعلت منه مشهدا وزودت هذا المشهدفي عام ٥٣٣/ ١١٣٩ بضريح للسيدة رقية وبمحراب خشبي عام ٥٥٥/١١٦٠(١٥٥)٠

ولقد أهمل هذا المسجد فترة طويلة ٠ ثم اصلحته وأعادت بناء مدخله مصلحة الآثار(١٥٦) ٠

مســـجد أم عباس(١٥٧) :

وتدعى بلارة وهى مغـــربية الأصـــل ، تزوجت من ابن السلار(١٥٨) الذى كان وزيرا فى عهد الخليفة الظافر ، وهى أيضا أم عباس الذى نافس ابن السلار وأخذ منه الوزارة عام ٥٤٨/١١٥٣ بعد أن تم قتله ٠ ولقد اقامت هذا المسجد فى عام ٥٤٧/١١٥٢ ٠ غربى المقابر بالقرافة الكبرى ٠ وهى ان لم تكن من ساكنات القصر ، لكنها كانت على الأقل من نساء الطبقة الحاكمة ٠

مســـجد جهـــة ريحـــان :

بنته احدى زوجات الخليفة الحافظ بالقرافة الكبرى أيضا ، وريحان هذا ، استاذ كان يقوم بخدمتها ، كما قام بتجديده فى عام ٥٤٢/١١٤٧(١٥٩) ٠

مســـجد جهـــة بيســـان :

وهى احدى جوارى القصر المغنيات كما ذكرنا آنفا وكانت

---

(١٥٥) انظر ، المرجع السابق ، ١ ، ص ١٠٤ ٠
(١٥٦) نفســـه ٠
(١٥٧) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٧ ٠
(١٥٨) نفســـه ٠
(١٥٩) نفســـه ، ٢ ، ص ٤٤٨ ٠

زوجة الخليفة الحافظ ، وتم بناء المسجد على يد رجل يعرف بابن الموفق(١٦٠) ·

الأربطـــة (١٦١) :

ومفردها ـــ رباط ـــ وهى أســـاسا كانت نوعا من المبانى العسكرية يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام ، وهذه الأربطة، معظمها ابنية مستطيلة الشكل وتوجد فى أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عنها الصفة العسكرية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية وأصبحت أشبه بزاوية تؤدى فيها الشعائر الدينية دون الجمعة حيث لا يوجد بها منبر ولا منارة ، وكان يلحق بها مساكن للفقراء المنقطعين وفيها ما كان يخصص للنساء ، اذ انها كانت بمثـــابة دور لكفالة المرأة حيث تقيم البنات حتى يتزوجن والمطلقات وكذلك الأرامل والعجائز من النساء وكذلك العابدات ·

ولقد اهتمت المرأة الفاطمية بانشاء مثل هذه الأربطة كنوع من المشـــاركة الانسانية للعجائز والأرامل والمنقطعات للعبادة ، ولعل هذه الظاهرة مرتبطة بنساء الطبقة الحاكمة ليس فقط فى العصور الوسطى ، ولكن فى العصـــــور الحديثة أيضا من خلال قيام بعض النساء من زوجات الحكام بانشاء بيوت للمسنين والمعوقين فى وقتنا الحاضر ·

ولقد كانت هذه الأربطة التى انشأتها المرأة فى العصر الفاطمى، فى الغالب توجد فى القرافة الكبرى(١٦٢) ، وكانت تخرج لها

---

(١٦٠) نفســـه ·

(١٦١) انظر · كمـــال الدين سامح ، العمـــارة الاســـلامية فى مصر ، ص ٤٠ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ١ ، ص ١٣٥ ·

(١٦٢) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٤ ·

الجرايات والتى تتمثل فى الصدقات وبعض الاحتياجات العينية من قبل منشئيها ، كما كان يقام بهذه الأربطة مجالس للوعظ • ولم يقتصر بناء الأربطة على المرأة ، بل شاركها فى ذلك الرجل وأوقفها على النساء العابدات كعمل من أعمال الخير التى كانت تقام فى تلك الفترة •

ولقد كانت هذه الأربطة ملحقة ببعض المساجد التى قام بانشائها هؤلاء النساء ، ولعله كان تقليدا شائعا أن يبنى المسجد وبجواره رباط ولذلك كان هناك رباط الأندلس ورباط الحجازية ولذا عرف باسمها • ثم رباط الحاجة رياض بجوار مسجدها أيضا(١٦٣) •

المصليات(١٦٤) :

وبناؤها يعد نوعا آخر من المنشآت الدينية ومنها :

مصلى المغافر :

وعرف أيضا بالأندلس ، كان قد جدد فى أيام الدولة الاخشيدية ثم أعادت بناءه السيدة علم الآمرية ، ولعلها كانت مجموعة أطلق عليها جميعا الأندلس منها المسجد والرباط والمصلى وكان انشاء هذا المصلى عام ٥٢٦/١١٣١ •

مصلى جهة العادل :

وهى بلا شك بلارة المغربية التى بنت المسجد الذى عرف بها كما تقدم •

---

(١٦٣) نفسه ، ٢ ، ص ٤٥٤ •
(١٦٤) نفسه •

الأحواض :

على الرغم من ان بناء الأحواض لتخزين المياه كان مرتبطا بالمدن، التى تعتمد على مياه المطر ، لتجمع فى الأحواض التى تسمى مصانع(١٦٥) ، فنجد مع وجود وفرة مياه نهر النيل انه قد انشئت بعض هذه الأحواض ، ولعل الغرض من انشائها كان أن تغذى الدور والمساجد فى المناطق البعيدة نسبيا بالمياه ، وبناء الأحواض يعتبر أيضا من الأعمال الخيرية وخاصة اذا كانت مرتبطة بالمساجد • ومن الأحواض التى انشأتها المرأة فى القرافة :

حوض القرافة(١٦٦) :

أمرت ببنائه ست الملك عمة الخليفة الحاكم وابنة الخليفة المعز فى عام ٣٦٦/٩٧٦ • ولقد تم تجديده مرتين ، مرة فى أواخر عهد الفاطميين ومرة اخرى فى عهد الدولة الأيوبية •

حوض فى داخل قصر ابى المعلوم(١٦٧) :

وهو من جملة منشـــآت السيدة أم الخليفة العزيز على يد المحتسب الفارسى الذى صمم لها بناء جامع القرافة ، ولما كانت هذه المرأة تمتاز بكثرة منشآتها ، لذا حدث خلط عند بعض المؤرخين فى شأن هذه المنشآت فمثلا يذكر أن هذا الحوض قد بنى قبل العصر الفاطمى وجددته عمة الخليفة الحاكم كما أن فوارة ــ نافورة ــ

---

(١٦٥) ذكر ناصر خسرو انه كان بمدينة تنيس صهاريج عظيمة المياه مبنية تحت الارض وتعرف بالمصانع وكانت هذه الصهاريج أو المصانع تملأ بمياه النيل الحلوة عند الفيضان وتستخدم فى السنة التالية (سفر نامة ، ص ٣٩) •

(١٦٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٤٥٩ •

(١٦٧) نفســه •

جامع احمد بن طولون ، التى احترقت فى عام ٩٨٦/٣٧٦ ، قد نسب تشييدها للسيدة تغريد ايضا(١٦٨) ، فى حين أن البعض ذكر أن الخليفة العزيز هو الذى أمن ببنائها عام ٩٩٥/٣٨٥ عوضا عن التى احترقت ، ولعل مرجع ذلك أيضا أن هذه المصادر غير معاصرة للفترة الفاطمية ٠

أما القصور ، فهى من المنشآت التى حملت اسم المرأة أيضا ، ولكنها كانت قليلة ومنها قصر القرافة ومنظرة منازل العز ، والقصر الغربى والهودج اللذان بنيا من أجل المرأة ٠

قصر القرافة(١٦٩) :

وهو من منشآت السيدة تغريد ايضا ٠ أقامته فى القرافة فى عام ٩٧٦/٣٦٦ ، ولعل السبب فى بنائه أن يكون متنزها لها خارج القاهرة التى خصصت كمقر للحكم ، ولاسيما بعد موت زوجها الخليفة المعز ٠ ولما كانت القصور الاسلامية فى الغالب يلحق بها عدة منشآت(١٧٠) ، لذا نجد أنه كان بجانب قصر القرافة من ناحية الغرب حمام وبئر للماء وبستان عرف بالتاج ، كما كان بهذا القصر منظرة محمولة على البئر وكذلك حوض لسقى الدواب ، وهو الحوض الذى ذكرناه آنفا ٠ ولقد ظل هذا القصر من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين ، وقام الخليفة الآمر عام ١١٢٦/٥٢٠ بتجديده وعمل تحته مصطبة للضيوف ولعلها الاضافة الوحيدة لذلك القصر(١٧١) ٠

---

(١٦٨) الانتصار ، ٤ ، ص ٩٣ ٠
(١٦٩) المرجع السابق ، ١ ، ص ٢٦٨ ٠
(١٧٠) انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٢ ٠
(١٧١) نفسه ، ١ ، ص ٢٨٦ ، ٢ ، ص ٤٥٣ ٠

منظرة منازل العز :

وهى أيضا من منشآت السيدة تغريد ، وكانت هذه المنظرة تشرف على النيل كبقية المناظر ، التى أقامها الفاطميون ، وهذا لأن هذه المناظر كان الغرض منها التنزه والتفرج على النيل فى المواسم والأعياد . وكان بجانب هذه المنظرة حمام الذهب . ولقد استمرت هذه المنظرة متنزها خلال حكم الفاطميين . ثم تحولت بعدهم الى مدرسة وقفت على فقهاء الشافعية(١٧٢) .

القصر الصغير الغربى :

ولقد أقامه الخليفة العزيز ، تجاه القصر الشرقى الكبير ، ولكنه أفرد ست الملك بسكناه ، وكان من جملة هذا القصر قاعة ست الملك التى كانت تعيش فيها والتى تحولت فيما بعد الى البيمارستان المنصورى . وهذه القاعة عبارة عن أربعة ايوانات بكل ايوان شاذوران (سلسبيل) وبها فسقية يصل اليها الماء من الشاذورانات(١٧٣) .

الهودج(١٧٤) :

وهو من المنشآت التى بنيت من أجل المرأة ، فلقد بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لزوجته البدوية ، حتى لا تضيق بأسوار المدينة ، ولا نعرف شيئا عن وصفه من الناحية المعمارية ، ولعل تسميته تجعلنا نعتقد انه على هيئته من حيث انه مقبب ، لذا وصف بأنه

---

(١٧٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٨٥ ، ٢ ، ص ٣٦٤ .

(١٧٣) نفسه ، ٢ ، ص ٤٠٦ .

(١٧٤) وهو من مراكب النساء مقبب وغير مقبب ، وهو يصنع من العصى ثم يجعل فوقه الخشب فيقبب . (انظر لسان العرب ، ٣ ، ص ٢١١ ــ ٢١٢) .

بناء عجيب · وكان هذا القصر يقع فى جزيرة الفسطاط ، التى عرفت بالروضة · ولما كانت هذه المرأة تسكن هذا القصر ، فكان الخليفة كثير التردد عليها(١٧٥) ·

وبعد استعراض أحوال نساء القصر بصفة عامة ، ننتقل الى ما آل اليه حالهن بعد سقوط الخلافة الفاطمية٥٦٧/١١٧١ فبعد أن عشـــن فى ترف وبذخ بالغين ، تحولت أحوالهن وأخـــرجن من القصر(١٧٦) مع بقية الفاطميين ، وكان منهن بنات الخليفة العاضد وجهاته وبنات الخليفة الحافظ وغيرهنمن جهات أخوة الخليفة الى جانب الأخوات والعمات ·

ولما كان هدف الدولة الجديدة ، والتى تمثلت فى صلاح الدين الأيوبى ، القضاء على الخلافة الفاطمية . لذا عمل على تفريق الرجال عن النساء لئلا يتناسلوا(١٧٧) ، واعتمد فى ذلك على قراقوش(١٧٨) ولقد تم اعتقال النساء فى القصر الغربى ، وظللن على حالهن طوال حكم الأيوبيين(١٧٩) ·

والخلاصة أن أحوال نساء القصر كانت مرتبطة الى حد كبير بأحوال الخلافة الفاطمية من قوة وضعف ، وذلك لأن هذه الفئة قد عاشت بمعزل عن بقية فئات المجتمع المختلفة ·

---

(١٧٥) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٨٥ ، ٢ ، ص ١٨٢ الانتصـــار ، ٤ ، ص ١١٦ .

(١٧٦) نفسه ، ١ ، ص ٤٩٨ .

(١٧٧) نفسه ، ١ ، ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، ١ ، ص ٣ .

(١٧٨) عنه انظر .
Ency. of. Isl (art Karakoush) I V, P. 613 — 614.

(١٧٩) المصدر السابق .

الفصـــل الثـــانى

احوال المرأة المصريـة

١ ـ حقوق المراة وحريتها

لقد رفع الاسلام من شأن المرأة واعترف بكرامتها الانسانية ، لذا تمتعت المرأة بمنزلة كبيرة فى المجتمعات الاسلامية ، ولما كان المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى لا يقتصر على المسلمات ، وكانت الذميات من مسيحيات ويهوديات يشكلن جزءا من هذا المجتمع ، الى جانب أن ذلك العصر تميز بصفة عامة بالتسامح الدينى ، فكان ذلك له اثر كبير فى الدور الذى قامت به المرأة المصرية بصفة عامة ، من خلال مشاركتها فى الحياة العامة ومطالبتها بحقوقها وحريتها ٠

ومن المعتقد أن الدور الذى قامت به المرأة فى ذلك الوقت ، لم يكن مستندا الى مبادىء معينة سعت المرأة لتحقيقها مثل العصور الحديثة وانما يرجع الى الظروف التى واجهت المرأة بما يتلاءم مع الروح السائدة لهذا العصر ٠ ومن الطريف ما ذكره القلقشندى(١) عن ظهور صوت المرأة عاليا فى أوائل القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ، يطالب بحق النســـاء فى المشاركة فى الكتابة والخطابة ، وهى بلا شك حالة نادرة تدل على أن المرأة كانت تسعى من أجل الحصول على المشاركة فى بعض المهام الكبيرة ٠

---

(١) صبح الأعشى ، ١ ، ص ٦٤ ، انظر ، متز ، الحضارة الاسلامية ٢ ، ص ١٧٨ وذلك ما قاله ابن بسام الشاعر :

ما للنســاء ، والكتـا بـه والعمـالة والخطـابة

ولعل حقوق المرأة تمثلت فى التعليم ، الذى لم يكن سائدا ، وكذلك مشاركتها فى الحياة العامة من خلال المهن التى مارستها ، ومشاركتها فى الحياة الاقتصادية . اما عن حريتها ، فلقد ظهر صوت المرأة فى عدة مواقف منها عندما فرض الخليفة الحاكم على المرأة الا تبرح منزلها ، كما ارتفع صوتها عاليا فى وقت المجاعات وكذلك فى قضاياها ، التى تقدمت بها الى ساحة القضاء متظلمة مما وقع عليها ومحاولة الدفاع عن نفسها .

اما عن تعليم المرأة فيبدو ان ذلك كان مهملا الى حد كبير ، اذ كان من المألوف ان البنات لا يتلقين تعليما فى المدارس(٢) ، وان ذلك كان مقصورا على الذكور ولعل السبب فى هذا ، أن المرأة كانت لا تشارك بطريقة فعالة في المجتمع ، وان نشاطها على الرغم من تعدده كان محدودا ، كما أن المجتمع الاسلامى بوصفه مجتمعا متحفظا لا يبيح الخروج للمرأة بصورة دائمة .

وعلى الرغم من وجود بعض الخطابات التى كانت ترسلها المرأة أو ترسل اليها من زوجها ، فكانت تكتب بواسطة أحد اقاربها من الرجال أو أحد المختصين . فعندما تكتب المرأة « أنا أكتب لك » فهذا لا يعنى بالضرورة أنها تكتب بيدها ، اذ أن الخطاب يتبين منه أنه قد أملى ، كما أن صوت المرأة يسمع وهو يرشد قلم الرجل عند كتابة الخطاب ، الى جانب أن الخطابات التى أرسلت للمرأة يتبين أنها أرسلت لتقرأ عليها(٣) .

---

(٢) انظر . Goitein, Med. Soc, II, P. 183.

انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٤ .

(٣) انظر . Ibid

ومع ذلك هذا لا يمنع من وجود نساء يعرفن القراءة والكتابة ، وذلك ان بعض الخطابات قد أرسلت للمرأة لتقرأها بنفسها ، ولكن في حالات نادرة جدا(٤) ، كما أن الطبقات العليا من المجتمع فى تلك الفترة كانت تهتم بتعليم المرأة(٥) • ولاسيما الطبقة الحاكمة ، فان مشاركة بعض النساء فى أمور السياسة تحتم عليهن معرفة القراءة والكتابة ، حقيقة كان لكل امرأة كاتب يختص بها امثال السيدة رشيدة ابنة الخليفة المعز(٦) وكذلك السيدة العزيزية ، زوجة الخليفة العزيز(٧) وست الملك ايضا(٨) ولكن ليس من المعقول أن المرأة ، التي تشارك فى شئون البلاد السياسية ، ويعرض عليها بعض الرسائل الواردة من الأقاليم التابعة للخلافة الفاطمية لتبت بالرأى فيها أن تعتمد فى ذلك على كاتبها الخاص ، حتى لو أن كل ما يصدر عنها كان يقوم به هذا الكاتب ، فهذا لا ينفى معرفة نســـاء الطبقة الحاكمة للقراءة والكتابة •

كما كان لبعض النساء الفاطميات علامات خاصة بهن للتوقيع على الأوراق الرسمية ، ولعل تعليم هؤلاء النساء كان يتم فى القصر على يد بعض الثقات من الرجال ، ومما يدل أيضا على معرفة بعض المصــــريات للقراءة والكتابة ما ذكره ابن ميســـر(٩) عن امرأة معوقة بغير يدين ، كانت تستطيع أن تكتب باحدى رجليها ، ويضيف

---

(٤) انظر •
Goitein, The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization, SI, III, P. 90.

(٥) انظر •
Goitein, Med. Soc, II, P. 184.

(٦) التحف والذخائر ، ص ٢٠ •

(٧) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٧١ •

(٨) الخطط ، ٢ ، ص ٢٢٧ •

(٩) ص ٨٣ •

أنها كانت تكتب بأحسن خط تكتبه النساء ، وهذا يدل على معرفة الكثيرات للقراءة والكتابة ، وهذا الى جانب مشاركة المرأة وقتئذ في حضور مجالس الدعوة ، ولعل ذلك كان يحتم عليها معرفة القراءة والكتابة أيضا ·

كما شاركت المرأة المصرية أيضا في الحياة العامة من خلال المهن التي مارستها ، وكان عمل المرأة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ـ العاشر والحادي عشر الميلاديين ـ شائعا الى حد ما ، ولكنه أصبح مألوفا في القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي(١٠) ، ومن المعتقد أن اشتراك المرأة المسلمة في هذا المجال كان بسيطا ، وكان النصيب الأوفر للمرأة الذمية وخاصة اليهودية ·

كما كانت معظم النساء العاملات من الأرامل والمطلقات ، هذا الى جانب نساء الطبقات الفقيرة اللاتي لايملكن شيئا ولايستطعن المكوث في المنزل لانتظار الاحسان ، ولذلك كان لزاما عليهن أن يخرجن الى الطريق العام ويكشفن وجوههن ليحصلن على الحد الأدنى لمتطلبات الحياة اليومية(١١) · وكانت هذه الأعمال بالطبع تناسب طبيعة المرأة ، ولذا فان معظمها تمثلت في كل ما يحيط بالمظاهر الاجتماعية للمجتمع ومنها :

الماشطة :

وهي التي اختصت بتحضير العروس يوم زفافها ، وذلك بتمشيط شعر العروس،ولقد عملت في تلك المهنة كل من المرأة المسلمة والمرأة الذمية(١٢) ·

---

(١٠) انظر · Goitein, Med. Soc, III, P; 324.

(١١) انظر · Ibid.

(١٢) انظر · Ibid I, P. 127.

القـــــابلة :

وعلى الرغم من وجودها كمهنة فى تلك الفترة ، الا انه كان من الممكن الاعتماد على بعض نساء العائلة ممن لهن خبرة فى ذلك الشأن لمساعدة الزوجة الصغيرة عند الولادة(١٣) ·

الصـــــائغة :

وهى التى كانت تقوم بازالة الشعر من جسم السيدات(١٤) ، ولعلها كانت تحضر الى المنازل لتقوم بهذا العمل او فى الحمامات العامة كما أن وجودها كان مرتبطا بلا شك بالعرس لتحضير العروس مثل الماشطة ·

الغاســـلة :

وهى تتعلق بالوفاة ، والتى كانت تقوم بغســـل الموتى من النساء ، وكان يوجد غاسلات من الأجنبيات مثل الروميات(١٥) الى جانب المصريات سواء المســـلمات أو اليهوديات ، وربما أن هؤلاء اختصصن بالطائفة التى ينتمين اليها ويبدو أن الغاســـلة كانت تأخذ الى جـــانب أجـــرها ثياب المتوفية وكذلك ما تحتهـــا من الفراش(١٦) ·

النـــــائحة :

وهى من المهن التى ارتبطت الى حد كبير بعادات المصريين

---

(١٣) انظر · Ibid.

(١٤) انظر · Ibid.

(١٥) انظر · Ibid.

(١٦) السابق ، ١ ، ص ٨٨ ٢· لابد من الاشـــارة الى ما أخذته الغاسلة مما كان تحت السيدة المريرية من فرش وثياب · بلغ ستة آلاف دينار ·

القدماء ، والتي استمرت بعد فتح العرب لمصر ، ومازالت موجودة حتى وقتنا هذا ، ويتجلى ذلك في خروج النائحات بالطبل والزمر على الميت(١٧) . وكذلك الصياح على الجنائز . كما ارتبط بذلك خروج النساء وراء الجنائز . وهن مكشوفات الوجوه • الى غير ذلك من حلق شعورهن وتسويد وجوههن وكذلك شق اثوابهن وراء الجنائز(١٨) •

ولما كان الاسلام ينهى عن هذه العادات ، فقد صدرت عدة أوامر تمنع من ذلك ، ليس فقط خلال حكم الفاطميين ، ولكن أيضا في الفترات السسابقة في مصر الاسلامية(١٩) كما تعرضت النائحات للسجن ، وارتبط بهذه الأوامر أيضا منع النساء من زيارة القبور(٢٠) ولعل هذه العادات استمرت وكذلك مهنة النائحة ، لأنها أصبحت متاصلة في وجدان الشعب المصري •

ولذلك كان حضور النائحات ضروريا في المأتم ، وكانت احيانا تحضر على القبر لمدة تبلغ الشهر ، ولعل اكثر من نائحة كن يحضرن في المأتم الواحد بالنسبة لكبار رجال الدولة(٢١) •

---

(١٧) يحيى بن سعيد ، ١٨٦ •

(١٨) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، انظر سيدة كاشف ، مصر في عهد الاخشيديين ، ص ٢٨٢ •

(١٩) نفسه •

(٢٠) حظر الحاكم بأمر الله في عام ٣٩٤/١٠٠٣ على النساء البكاء والعويل وراء الجنائز وخروج النائحات بالطبل والزمر على الميت ، وفي عام ٤٠٢/١٠١١ ، منع النساء من زيارة القبور ، فلم ير في الأعياد امرأة على قبر ، كما منع من نصب المضارب التي كانت النساء ينصبنها في المقابر أيام الزيارة ، انظر يحيى بن سعيد ، ص ١٨٦ ، اتعاظ ، ٢ ، ص ٧٦ •

(٢١) الخطط ، ٢ ، ص ٨ •

ومن أشهر نائحات العصر الفاطمي ، نائحة تسمى خسروان(٢٢) قد مهرت في هذه المهنة ، ويبدو أنه قد ذاع صيتها في تلك الفترة حتى نالت اعجاب أدباء ذلك العصر من خلال مراثيها التي كانت تنشدها في المآتم ، وهناك نائحة أخرى تسمى « ست الرياض »(٢٣) ويبدو أن مهنة النائحة هذه كانت تدر دخلا معقول بحيث جعلت هذه النائحة تمتلك جزءا من منزل ، بل وتوهب سبعة أسهم منه ، وكان هذا المنزل يقع في ضواحي الفسطاط .

الدلالة :

ولقد وجدت هذه المهنة ، لأن النساء المسلمات من الطبقات العليا كن لا يستطعن الخروج الى السوق حيث بائعو الثياب لشراء ما يلزمهن ، لأن أزواجهن لا يسمحون لهن بذلك وقتما يردن ، لذلك ترددت الدلالة على البيوت لبيع الأقمشة والملابس الفاخرة ، ويبدو أن المرأة المسلمة عملت الى جانب المرأة الذمية في هذه المهنة .. فيشير أشتور Ashtor ان احدى وثائق الجنيزة(٢٤) تذكر جامع ضرائب يتعامل معه سبع نساء منهن أربع مسلمات .

وهذه المهنة بلاشك كانت تتيح للمرأة التي تعمل بها أن تدخل البيوت وتتعرف على أحوال النساء فيها ، ولذا نعتقد أن عمل الدلالة لم يقتصر على بيع الأقمشة والعطور اللازمة للنساء ، ولكن لعلها

---

(٢٢) ومن مراثيها ما قالته عندما أحضرت رأس الوزير العادل بن السلار الى الخليفة الظافر :

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدار   يا شبيه ذى النورين صاحب المختار

انظر . المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٢٣) انظر . Goitein, Med. Soc, II, P. 433.

(٢٤) انظر . Ibid, I, P. 161.

استخدمت أيضا فى أغراض سياسية ، وكانت النساء العجائز اللاتى استخدمهن الخليفة الحاكم بأمر الله(٢٥) ليستطلعن أحوال النساء كن مع الدلالات ، وكذلك النساء اللاتى استعملهن المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر(٢٦) ، للدخول الى جميع المساكن والاطلاع على أحوال ساكنيها ، وذلك لمعرفة أحوال الحسن بن الصباح(٢٧) والباطنية ، لأنه قد بلغه أنهم عزموا على قتله هو والخليفة . ولذلك نجد ان الحصول على هذه المعلومات لا يتأتى بالطبع الا على أيدى هؤلاء الدلالات اللاتى يستطعن الدخول للمنازل بسهولة ويعرفن كل ما يردن من خلال اجتماعهن مع أهل البيت من النساء .

وكانت مهنة الدلالة تدر دخلا كبيرا لمن تقوم بها . ويتضح من خلال ما نعرفه عن احدى الدلالات فى تلك الفترة ، والتى تعرف بالوحشة ، انها كانت امرأة ناجحة ، وصلت ملكيتها خمسة اضعاف قيمة جهازها(٢٨) . كما شاركت فى مشروعات تجارية(٢٩) كبيرة .

المعلمة :

وهذا العمل ربما اقتصر على المرأة الذمية ، ولاسيما اليهودية فليس هناك أية معلومات تدلنا على اشتراك المرأة المسلمة فى هذا العمل . وكانت المعلمة تقوم بتعليم الفتيات الصغيرات فن التطريز

---

(٢٥) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٦ .

(٢٦) اتعاظ ، ٣ ، ص ١٠٨ .

(٢٧) جاء الى مصر فى عهد الخليفة المستنصر ، ويمتد نسبه الى ملوك حمير . ولد بالرى عام ٤٢٠/١٠٣٨ أو ٤٢٢/١٠٤٠ وكان شيعيا على مذهب الاثنى عشرية . انظر . Ency of Isl, III, P. 253.

(٢٨) انظر . Goitein, Med. Soc, III, P. 352.

(٢٩) انظر . Ibid, P 348.

وشـــغل الأبرة ، وكذلك العمل فى المدارس لتعليم التوراة ، كمـــا كان فى استطاعة المرأة أن تدير كتابا لتحفيظ التوراة ، وهذا بلا شك يعتبر استثناء للقاعدة(٣٠) .

الى جانب هذه الأعمال السابقة قامت المرأة بأعمال لم تذكر عنها المصادر الا قليلا جدا مثل الخبازة والساقية التى تصـــنع المشـــروبات وتبيعها وكذلك بائعات العنبر والروائح والدقيق(٣١) والطبيبات اللاتى كن يمارسن هذا العمل بالعادة وليس من خلال تعليم سابق(٣٢) .

فضلا عن هذه الأعمال ، التى كانت تقوم بها المرأة خارج المنزل ، وجدت اعمال أخرى داخل المنزل بغرض الانتاج والكسب ومنها غزل الصوف وصبغ الحرير(٣٣) ، وكذلك حياكة الملابس ، التى على ما يبدو كانت بسيطة فى معظمها ، وكان ما يصنعه النساء داخل المنازل يباع بواسطة الدلالة فى الأسواق . ولعل المرأة المسلمة شاركت فى تلك الاعمال التى كانت بداخل المنزل وخاصة الأرامل منهن .

كما كان اشتراك المرأة المصرية فى الحياة الاقتصادية محدودا، واقتصر على بيع وشراء العقارات وتقديم القروض واقامة مشروعات تجارية ، ولكن بصورة لا تسمح لها بالمشاركة الفعلية على نطاق واسع فى هذا المجال .

---

(٣٠) انظر . Ibid. II, P. 185.

(٣١) انظر . Ibid. I, P. 129.

(٣٢) انظر . Ibid. P. 127.

(٣٣) انظر . متز ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٩٨ Ibid. P. 128;

وعلى ما يبدو أن نســـاء تلك الفترة كن مغـــرمات بالملكية العقارية ، وخاصة امتلاك المنازل ، لأنها فضلا عن أنها كانت تعتبر محل اقامة ، فهى أيضا تدر دخلا ثابتا(٣٤) ، ولذا كان نشاط النساء واضحا فى بيع وشراء المنازل سواء التى يرثنها ، أو التى تمنح لبعضهن عند الزواج ، حتى توفر لهن نوعا من الأمن الاقتصادى ، لذلك كانت المرأة أحيانا تمتلك أكثر من منزل(٣٥) ·

وكانت عمليات البيع والشراء هذه تتم بين امرأة وأخرى أو بين امرأة ورجل · ولم يقتصر ذلك على المرأة المتزوجة ، فكانت الفتيات يقمن بذلك أيضا(٣٦) · وكانت المرأة تحافظ على ما تمتلكه من عقار وتداوم على اصلاحه حتى يكون دائما فى حالة جيدة ، ومن الممكن أن تبيع فى مقابل ذلك ما لديها من حلى أو نحاس او حتى ملابس(٣٧) ·

وكانت المرأة تقوم أيضا بدهن المنزل وطلائه قبل أن تعرضه للبيع ، وذلك حتى ترفع من الثمن(٣٨) ، والى جانب المنازل كانت المرأة تمتلك أيضا بعض الدكاكين التى تقوم بتأجيرها أو تقوم بشرائها وبيعها · كذلك مطاحن الدقيق(٣٩) · كما كانت المرأة تستغل ملكيتها حتى ولو كانت ليست ذات قيمة مثل قدور النحاس ، فكانت تقوم

---

(٣٤) انظر . Goitein, Med. Soc., III, P. 181.

(٣٥) مرآة الزمان ، ١٢ ورقة ١٦٨ ، انظر . Ibid. P. 328.

(٣٦) انظر . جروهمان ، أوراق البردى العربية ، ١ ، ارقام ، ١٧٩ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢ ، رقم ٧٥ ، Ashtor, Histoire des prix, P. 184; Goitein, Med Soc, III, P. 328.

(٣٧) انظر . Ibid. III, P. 332.

(٣٨) انظر . Ob. Cit. P. 191.

(٣٩) انظر . Ibid. P. 184, Op. Cit., III, P. 327.

احدى النسساء بتاجيرها • وتشـــترط على من يؤجرها أن يردها سليمة(٤٠) •

كذلك كانت المرأة تستغل دخلها سواء الذى كان يعود عليها من ايجار ما تمتلكه من عقار ، أو ما يعود عليها من عملها فى تقديم بعض القروض للمحتاجين مقابل الفائدة(٤١) • وهذا يجعلنا نعتقد أن هذا الدور كان مقصورا على المرأة اليهودية ، وذلك لما عرف عن اليهود ميلهم الى هذا النوع من المعاملات ولمهارتهم الفائقة ، فضلا عن أن الدين الاسلامى ينهى عن الربا . كما أنه لم تذكر المصادر اية اشارة عن اشتراك المسيحيات فى هذا الشأن ، وربما اقتصر دورهن على أخذ هذه القروض من اليهوديات •

وللحصـــــول على هذه القروض ، كان لابد من تقديم بعض الضمانات التى تكون فى صورة حلى أو غيره من الأشياء الثمينة التى كانت تملكها المرأة(٤٢) ، أو حتى عقار ليكون رهنا مقابل المال المقروض • وكانت المرأة تقبل أحيانا على الاقتراض من أجل أن تقيم مشروعا ، ولكن من الطريف أن تشترك المرأة الذمية مع رجل من المســـلمين فى الحصـــول على دين من أحد اليهود ، لتقيم معه مشروعا(٤٣) •

---

(٤٠) سفر ثامة ، ص ٦١ • وكانت تؤجر الواحدة بدرهم فى الشهر •

(٤١) كانت فائدة الدين تصل أحيانا الى ثلث الثمن المقروض ، ومنها ان اقترضت امرأة من الفسطاط من امرأة أخرى مبلغ سبعة وعشرين دينارا ، لتدفع كل شهر نصف دينار ويصبح الدين بعد ذلك ستة وثلاثين دينارا تشمله الفائدة . انظر : Goitein, Med. Soc, III, P. 330.

(٤٢) انظر • Ibid, P. 174; 327.

(٤٣) انظر • Ibid.

وعلى الرغم أن بعض النساء كن يستطعن أن يقمن مشروعات تجارية كبيرة ، الا ان الأمثلة على ذلك قليلة جدا ، لأن ذلك كان يتطلب مالا كثيرا وخبرة وذلك لا يتأتى بالنسبة للكثيرات . ومن النساء اللاتي استطعن ان يشاركن في هذا المجال امرأة استغلت عملها كدلالة(٤٤) . وكسبت الكثير من هذه المهنة ، واستطاعت ان تدخل في مغامرة تجارية مع أحد تجار الهند ، وذلك لأن مهنتها تتيح لها ايضا فرصة تصريف بضائعها من خلال المنازل التي دخلها .

أما عن حرية المرأة فأول مظهر من مظاهر مطالبة المرأة بحريتها يتضح عندما فرض الخليفة الحاكم بأمر الله تلك القيود التي كبلت حريتها والتي تمثلت في عدة أوامر صدرت في أعوام متعاقبة . وكان صدور هذه الأوامر يرجع في المقام الأول الى شخصية الخليفة الحاكم نفسه ، الذي تميز بميله للزهد والتقشف ومحاولته الرجوع بالاسلام الى بساطته الأولى(٤٥) .

هذا الى جانب تصرفات فئة من النساء قد أسرفن في اللهو ، ونستطيع ان نستخلص احوالهن من خلال أوامر الخليفة الحاكم ، فلقد خرجن الى الشوارع سافرات بدون حجاب ، متبرجات ، كما اقبلن على شرب الخمر وأكثرن من الخروج واختلطن بالرجال(٤٦) .

---

(٤٤) انظر . Ibid, P. 348. وكانت هذه المرأة تعرف بالوحشية .

(٤٥) يحيى بن سعيد ، ص ٢٠٨ ، انظر . ماجد ، الحاكم ، ص ٤٠ – ٤٢ . ولقد كان الخليفة الحاكم يرتدي الملابس الخشنة من الصوف ومركبا حديديا في رجليه ، كما استعمل في ملابسه السواد مع عمامة زرقاء بدلا من البياض شعار الفاطميين . كما اقتصر في مواكبه على بعض المظاهر البسيطة .

(٤٦) المقريزي ، الخطط ، ٢ ، ص ١٣٧ .

ويبدو أن هذه الظواهر انتشرت الى حد كبير فى الدول الاسلامية الأخرى ، ولعل مرجع ذلك الى الترف ، الذى عم الحياة الاجتماعية بصفة عامة .

كما أن اللهو كان منتشرا فى مصر قبل العصـــر الفاطمى ، وخاصة فى الأعياد(٤٧) ، ولعل من الأسباب الثانوية التى حفزت الفاطميين على فتح مصر ، علمهم بأن احدى اميرات البيت الاخشيدى قد خرجت بنفسها لشراء جارية لتسرى بها عن نفسها ، فاعتبر الخليفة المعز أن ذلك لدليل على مدى الترف والضعف الذى حل بالدولة الاخشيدية(٤٨) . ولذلك لم يكن موقف الخليفة الحاكم غريبا تجاه هذه الفئة من النساء .

ولعل ظاهرة خروج بعض النساء عن المألوف ، ترجع الى تلك الحياة المترفة ، التى عمت المجتمع المصرى فى هذه الفترة ، وذلك الازدهار الذى انعكس على احوال المرأة ، فالشوارع كانت تضاء ليلا بالقناديل ، والدكاكين تفتح أبوابها ليلا ونهارا للبيع(٤٩) ، والدولة تشارك الشعب المصرى احتفالاته وأعياده الكثيرة ، بما فى ذلك الاسلامية والمسيحية .

ومع ذلك لم تكن هذه الظاهرة شائعة الى حد كبير بين نساء هذا المجتمع ، بدليل حضور معظم النساء المجالس الدينية ، التى

---

(٤٧) كان ما يعمل يوم الغطاس من خروج جميع الناس من المسلمين والنصارى لا يتناكرون كل ما يمكنهم عمله من المآكل والمشارب والملاهى والعزف والقصف (انظر . الخطط ، ١ ، ص ٤٩٤) .

(٤٨) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ .

(٤٩) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٨ ، نهاية الارب ٢٦ ورقة ٥٢ ، انظر . ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٢ .

كانت تعقد في الجامع الأزهر لتعليمهن أصول المذهب الشيعي(٥٠) ، وكذلك وجود بعض اللاتي عرف عنهن ميلهن للعبادة(٥١) .

هذا فضلا عن أن النساء من الطبقات العليا لم يكن مسموحا لهن الخروج بطريقة منتظمة ، وربما كانت المرأة من هذه الطبقات تعتمد على زوجها أو أحد أقاربها أو حتى على وكيل لها في تصريف شئونها وشراء ما تحتاجه(٥٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، خشى الخليفة الحاكم من أن يصبح هذا السلوك ظاهرة عامة بين جميع النساء ، فحاول في أول الأمر أن ينظم المظهر العام لسلوك المرأة الاجتماعي . ولما كان تجمع النساء يأتي في الذهاب الى الحمامات العامة بطريقة منتظمة . والاجتماع في المقابر أيام الزيارة ، والخروج الى الأسواق ، هذا فضلا عن تجمعهن على شاطئ النيل في الأعياد وخاصة المسيحية والميل الى اللهو ، لذلك أصدر أوامره بتنظيم دخول الحمامات(٥٣) ومنع السير وراء الجنائز ومن الاجتماع في المآتم(٥٤) ، هذا فضلا عن أوامر أخرى تختص بمنع اللهو والمسكرات، ومنع النساء من الغناء والنشيد ومن الجلوس في الطرقات والنظر اليهن(٥٥) . كما منعهن أيضا من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومن ركوب المراكب مع الرجال وخروجهن الى مواضع المرح مع

---

(٥٠) نفسه ، ١ ، ص ٣٩١ .

(٥١) أمال أم الخير الحجازية ، التي كانت تقوم بالقاء حلقات الدرس للسيدات في جامع عمرو بن العاص حوالي ١٠٢٤/٤١٥ (انظر ، نفسه ، ٢ ، ص ٤٥٠) ، وفاطمة بنت الأشعث ، التي كانت أيضا من عابدات مصر (عنها انظر ، ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ٧٩) .

(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥٣) اتعاظ ، ٢ ، ص ٥٣ .

(٥٤) الخطط ، ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٥٥) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٩٥ ــ ٩٦ .

الرجال(٥٦) ، بل وأكثر من ذلك منع الناس بصفة عامة من اللهو والمجون الذى كان يحدث فى مناسبة فتح الخليج ولذلك سديت الطاقات المطلة على الخليج(٥٧) ٠

ومن المظاهر العامة ، التى شاعت أيضا فى ذلك العصر خروج النساء فى يوم عاشوراء فى الشوارع جماعات للنوح والبكاء على الحسين وينشدن المراثى ويضعن المسوح وكان يحدث مثل ذلك أيضا فى بغداد(٥٨) ، وكان هذا اليوم هو ذكرى مقتل الحسين بن على فى كربلاء فى العاشر من محرم عام ٦١/ ٦٨٠ ٠ ولما كانت الخلافة الفاطمية تحتفل بهذا اليوم حزنا على الحسين فكان الوزير يخرج فى موكب الى الجامع الأزهر ومعه القاضى والداعى ، وكان موكب الوزير فى عهد متأخر يذهب الى المشهد الحسينى(٥٩) ، وكان الناس يجلسون فى الجامع أو المشهد يستمعون لقراءة الحضـــرة والى مرثيات السفراء ، ثم يستدعى كبار الحاضرين الى القصر ، ويفرش سماط الحزن ، الذى يتكون من العدس الأسود والخبز المغبر لونه والاجبان والمخللات والألبان وعسل النحل ، وكان المكان المخصص لهذا السماط يفرش بالحصر كما تتجلى البساطة فى كل ما يحيط بهذه المناسبة الحزينة ٠ ولما كان النساء يشاركن فى هذه المناسبة كما ذكرنا آنفا ، لذا أصدر الخليفة الحاكم أمرا يمنعهن من الخروج فى هذا اليوم(٦٠) ٠

---

(٥٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٨٧ ٠
(٥٧) العينى ، تاريخ ، ورقة ٦١٣ ، الكامل ، ٧ ، ص ٢٧٦ ٠
(٥٨) رفع الاصر ، ٢ ، ص ٢٦١ ، النجوم ، ٤ ، ص ٤١٨ ٠
(٥٩) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٧ ٠
(٦٠) نفسه ، ١ ، ص ٠ ص ٤٣٠ ــ ٤٣٢ ، انظر : ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ٠

أما بالنسبة لخروج النساء ففى عام ٤٠٢/١٠١١ منع النساء من الخروج بعد العشاء(٦١) ، وبعد ذلك بعامين أصدر مرسومه الخاص بمنع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا أو نهارا بما فى ذلك المرأة الشابة أو العجوز(٦٢) ، كما منعهن من التطلع الى الطاقات أو الأسطحة . بل وأكثر من ذلك ، حاول أن يطمئن على تنفيذ هذه الأوامر من خلال اعتماده على بعض العجائز للدخول الى المنازل ومعرفة أحوال النساء فيها(٦٣) .

ومع هذا التشديد البالغ لخروج النساء ، فلقد استثنيت بعض الفئات من النساء للخروج ، ولكن بشرط تقديم رقاع خاصة ترفع الى القصر وتصدر بها تصاريح يقوم بتنفيذها متولى الشـــرطة ومنهن الخارجات للحج وغيره من الأسفار والاماء اللاتى يبعن فى سوق الرقيق ، وكذلك الواردات الى مصر وغاسلات الموتى . كما يتضح أن الخليفة الحاكم رغم هذا التشديد على النساء لم يهمل الجانب الانســـانى فأباح للأرامل اللاتى يعملن ويبعن الغـــزل الخروج(٦٤) .

وعلى الرغم أن هذه الأوامر قد شملت جميع النساء سواء اللاتى يقبعن فى بيوتهن أو المنحرفات ، فان الحاكم كان محقا فى اصدار هذه الأوامر الى حد كبير ، لأن هذه الفئة من النساء قد خلطت بين الرفاهية وانحدار القيم الأخلاقية ، كما أن السلوك المعوج لبعضهن هو الذى دفع الحاكم دفعا الى اصدار مثل هذه الأوامر الصارمة ، ونجد أن الخليفة الحاكم قد تدرج فى اصدار هذه

---

(٦١) اتعاظ ، ٢ ، ص ٩٠ .
(٦٢) نفسه ، ص ، ص ١٠٣ ، ١١٠ .
(٦٣) الكامل ، ٧ ، ص ٢٧٦ ، البداية والنهاية ، ١١ ، ص ٣٥٢ .
(٦٤) نهاية الأرب ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ .

الأوامر(٦٥) ولم يصدرها دفعة واحدة ، فلعل ذلك كان رغبة منه في اصلاح المظاهر العامة لسلوك هؤلاء النساء والارتفاع بهن الى الفضيلة ، ومن المحتمل أن عدم الامتثال لهذه الأوامر ومحاولة الخروج عليها قد دفعه لاصدار ما تلاها من أوامر شديدة ، وربما لو أن هذه الفئة قد أطاعت من البداية لاقتصرت أوامره على منع المسكرات واللهو الزائد ، وبذلك كانت المرأة تستطيع أن تحتفظ بجزء من حريتها ، أو على الأقل بالخروج نهارا ٠

وعلى الرغم من أن تصرف الخليفة الحاكم كان طبيعيا نحو هؤلاء النساء ، الا أنه هوجم هجوما عنيفا من جانب مؤرخي السنة(٦٦) ، واعتبروا تلك الأوامر خروجا عن المألوف ، ولذلك نسبوا اليه عدة تصرفات غاية في التطرف رغبة منهم ليس فقط لتشويه صورة الحاكم ولكن للتقليل من شأن الخلافة الشيعية ٠ ومن هذه التصرفات ، أنه مر يوما بحمام الذهب فسمع ضجيج النساء وهن في الحمام ، فأمر أن يسد عليهن باب الحمام بالحجر(٦٧) ٠ كما أنه كان يستعلم عن أحوال النساء واذا تجمع لديه عدة نسوة أمر بتغريقهن في النيل ، فضلا عن ذلك انه أباح دم المرأة ، التي تخرج من منزلها(٦٨) ٠ كما ذكروا روايات أخرى لتعذيبه لنسائه وجواريه(٦٩) ٠

ولقد ارجعوا رغبته في تعذيب النساء الى عقدة شغفه بالنكاح ، وعلى الرغم من ذلك نجد ان بعض تصرفات الخليفة الحاكم تنفي هذه الروايات فلقد أخرج من قصره مجموعة من حظاياه وأمهات

---

(٦٥) انظر ، ماجد ، الحاكم ، ص ٩٤ ٠

(٦٦) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٢ ، حسن المحاضرة ، ٢ ، ص ١٥ ٠

(٦٧) نفسه ، ١ ، ص ٥٢ ، نفسه ، ٢ ، ص ١٥ ٠

(٦٨) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ ، العيني ، تاريخ ، ورقة ٦١٤ ٠

(٦٩) المصدر السابق ٠

أولاده ، كما أعتق سائر جواريه وقبض على جميع أملاك زوجته وأمه وأخته وعماته واقطاعاتهن وأموالهن(٧٠) ، وكان ذلك فى عام ٣٩٩/١٠٠٨ فهذا يدل بلا شك على تعفف وزهد بالغين فى النساء ، كما أن برنامجه الاصلاحى لم يقتصر على رعيته بل شمله هو وأهله ، كما أن قيامه بهذا الاصـــلاح الاجتماعى ، على الرغم أن مراعاة الآداب العامة من واجبات المحتسب(٧١) ، لايعنى تقصيرا من جانب هذا الموظف وانما يوضح الى أى مدى كان الخليفة الحاكم يحاول ان يصلح أمور رعاياه بنفسه ٠

أما عن موقف المرأة المصرية من تلك الأوامر ، التى أصدرها الخليفة الحاكم ، والتى ادت الى حبس النساء سبع سنوات ، وعمت جميع النساء فيما عدا بعض الفئات المستثناه ، كما أسلفنا ، فان بعض النساء رفعن الى الخليفة رقاعا ، يشرن الى عدم وجود من يقوم بخدمتهن ، وفيهن من لا زوج لها(٧٢) ، كما شكا اليه التجار بما أصاب تجارتهم من كساد نتيجة عدم خروج النساء الى الأسواق ولذا وضع الخليفة الحاكم حلا وسطا ، اذ أنه لا يستطيع أن يتراجع عن أوامره وحتى يحافظ على الأحوال الاقتصادية للبلاد ٠ فأمر التجار أن يحملوا كل السلع التى تباع فى الأسواق الى الدروب وأن يكون مع البائع شىء يشبه المغرفة وله ساعد طويل ، يمده الى المرأة

---

(٧٠) يحيى بن سعيد ، صفحات ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ، انظر ، ماجد ، الحـــاكم ، ص ٤٠ .

(٧١) ومنها منع وقوف الرجال فى طرقات النساء ، والا تجلس امرأة على باب دارها ، ومن فعل ذلك عزر ، وكذلك تفقد أحوال النســاء فى الأسواق وشطوط الانهار وتفقد مجالس الوعظ والمقابر ، فاذا سمع نادبة او نائحـــة عزرها (عنه ، انظر نهاية الرتبة ، ص ١٠٩) .

(٧٢) المصدر السابق ، ورقة ٦١٣ .

وهى من وراء حجاب ، ويضع فيهما تحتاجه المرأة ، وهى بدورها تضع فيه الثمن(٧٣) ٠

ولكن هناك شيئا آخر لابد من مناقشته ، وهو تلك الرقاع ، التى كانت تقدم للحاكم خلال سير موكبه فى الطريق(٧٤) حقيقة نعرف انه كان من الممكن أن تتقدم المرأة بنفسها الى الخليفة وتقدم شكواها أو رقعتها(٧٥) ، ولكن أن تقدم هذه الرقاع بواسطة مثالات من الورق على هيئة امرأة ، فلعل ذلك يرجع الى أن المرأة كانت لا تستطيع الخروج الى الطريق طبقا لأوامر الخليفة الحاكم ، ولذا كانت الرقاع بمثابة احتجاج لبعض النساء أو على الاقل نوعا من التضرع للخليفة للنظر فى أحوالهن ٠

ولما كانت هذه الرقاع تحتوى على عبارات فيها سب للخليفة وأخته فذلك يبين انها قدمت من جانب أهل مصر من الرجال ٠ وحيث انها اتبعت من قبل حين وقفت فى طريق الخليفة العزيز امرأة بهذا الشكل(٧٦) فيبدو أن ذلك قد استخدم فى كلتا الحالتين كرمز للمرأة التى هى بالطبع اضعف من الرجل ومن الممكن أن ينظر الخليفة فى ظلامتها ٠

ويذكر بعض المؤرخين(٧٧) انه نتيجة لهذه الرقاع ، التى قدمت للخليفة الحاكم ، أنه أمر العبيد باحراق مدينة مصر ، فى خلال ذلك

---

(٧٣) ابن العبرى ، ص ٢١٣ ٠

(٧٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ ، البداية والنهاية ، ١٢ ، ص ٩ — ١٠ ٠

(٧٥) ساويرس بن المقفع ، ص ١٢٦ ، بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ ٠

(٧٦) المصدر السابق ٠

(٧٧) المصدر السابق ٠

عانى النساء الكثير ، حتى ان بعض النساء قتلن أنفسهن خشية العار ٠

وبعد مقتل الخليفة الحاكم عام ٤١١/١٠٢٠،سمح الخليفةالظاهر بالافراج عن النساء ، ولما كان الظاهر ميالا للهو(٧٨) ، لذا أقبل الناس على الحياة المرحة مرة أخرى ، مما أدى الى اصداره أمر بعدم خروج النساء بعد العصـــر الى المقابر ، ومنع الغناء وذ المناكر ، لاسيما فى الأشهر الشريفة ، ولما كان هذا الأمر فى ع ٤١٣ ، ١٠٢٢/٤١٤ ، ١٠٢٣ (٧٩) اى فى بداية حكم الظاهر ، م يجعلنا نعتقد أن ست الملك هى ، التى أصدرت الأمر الخاص بالافرا عن النســـاء أو كذلك الأمر الخاص بعدم خروجهن لكونها كان المسيطرة على شئون الخليفة الظاهر ، الذى تولى الخلافة صغيرا كما أن اصدار هذا الأمر الأخير كان نوعا من المحافظة على سياس الحاكم السابقة تجاه النساء وحتى لا تعود الحالة الاجتماعية مر أخرى الى ما كانت عليه ٠

كما ظهر صوت المرأة عاليا أيام المجاعات ، فتأثرت وأثر فى تلك المحنة التى حلت بالبلاد فى عهد الخليفة المستنصر ٠ وتجد الاشارة أن المجاعات قد وقعت فى مصر الاســـلامية فى فترا متعاقبة(٨٠) ، فلقد وقع الغلاء فى خلافة الأمويين فى عام ٨٧/٠٦ فى مصر وكان الوالى عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم و غلاء فى الدولة الاخشيدية فى عام ٣٣٨ ، ٩٥٠/٣٤١ ، ٩٥٣ وقع الغلاء فى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ٩٩٣/٣٨٧ وكذلك ا

---

(٧٨) الخطط ، ١ ، ص ٣٥٥ ٠

(٧٩) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٣٥ ٠

(٨٠) اغاثة ، ص ١١ — ٢٨ ٠

عهد الخليفة المســـتنصر بالله • وأيام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل والخليفة الحافظ ثم الخليفة الفائز • وكان سبب هذه المجاعات كما يذكر المقريزى(٨١) تقصــير مياه النيل عن ارتفاعه مما يؤثر على الزراعة وتقل الأقوات الى جانب سوء تدبير الحكام •

ولكن أشد تلك المجاعات ، التى وقعت فى العصر الفاطمى ، تلك المجاعة ، التى كانت فى عهد الخليفة المستنصر فى سنوات متعاقبة ، والتى كانت أخطرها على الاطلاق تلك المجاعة ، التى وقعت بين سنوات ٤٥٧ ، ١٠٦٥/٤٦٤ ، ١٠٧١ واستمرت سبع سنوات وبلغت أشــدها فى عام ١٠٦٩/٤٦١ وعرفت بالشــدة المستنصرية ، ولقد اتبعها وباء نتيجة لارتفاع سعر الخبز مما جعل الناس يأكلون القطط والـــكلاب وحتى آكل النـــاس بعضــهم بعضا (٨٢) •

وما حدث للمرأة المصــــرية خلال تلك المجاعة كثير ، نتيجة لانتشار أهل الفساد ، الذين كانوا يسكنون بيوتا قصيرة السقوف ، ولقد تعرضت بعض النســـاء لأيدى هؤلاء الناس ولكن احداهن استطاعت أن تهرب وتخبر الوالى بما حدث حتى كبس على تلك الدار وأمر بقتل من فيها(٨٣) •

وأكثر من ذلك كانت النساء تذبح وتؤكل لحومهن على أيدى بعض الطباخين(٨٤) ، كما أصبحت الجواهر الثمينة لا تساوى شيئا

---

(٨١) نفســه •
(٨٢) نفسه ، ص ٢٤ •
(٨٣) النجوم ، ٥ ، ص ١٧ ، مرآة الزمان ، ١٢ ، ورقة ١٢١ •
(٨٤) نفسه ، ٥ ، ص ١٥ •

أمام تلك المجاعة(٨٥) كما اضطرت النساء الى بيع ممتلكاتهن ليواجهن هذه الأزمة وخاصة المنازل(٨٦) ٠

اما عن نساء القصر خلال هذه المجاعة ، فلقد خرجن من القصر ناشرات الشعور ويصحن من الجوع ويردن الذهاب الى العراق ، والخليفة المستنصر لم يساعده على قوته سوى مساعدة الشريفة بنت صاحب السبيل له(٨٧) ٠

وأهم دور قامت به المرأة خلال الشدة المستنصرية ما قامت به امرأة مصرية ، اذ أنها تزعمت مظاهرة(٨٨) ، كان الغرض منها انتقاد سياسة الدولة بسخرية ، كما كانت سببا فى أن يعيد الخليفة المستنصر النظر فى تلك الأزمة ويحاول أن يجد لها حلا بأقصى سرعة ممكنة ، ذلك كما يذكر المقريزى(٨٩) ان امرأة من ارباب البيوتات خرجت من القاهرة ولعلها كانت من اسرة ثرية ، فلقد كان معها عقد يساوى مبلغا كبيرا جدا ، وعرضته على جماعة على أن يعطوها عوضا عنه دقيقا ، فكان كل يعتذر اليها ويدفعها عن نفسه ، حتى اخذه منها احدهم ، وباع لها بقيمة العقد دقيقا ، وعند الرجوع من الفسطاط الى القاهرة ، اضطرت أن تعطى بعضه لمن يحميه لها من النهاية فى الطريق ، وحتى وصلت باب زويلة تسلمته من الحماة

---

(٨٥) نفسه ، ص ١٢ . حدث أن خرجت امرأة من القاهرة ومعها مد جوهر وسألت من يأخذه ويعطيها بدلا منه دقيقا ، فلم يهتم بها أحد ، فما كان منها الا ان القته فى الطريق ، وقالت : ما ينفعنى وقت حاجتى فلا حاجة لى به اليوم ، وظل ملقى على الارض ثلاثة أيام فلم يلتفت اليه أحد ٠

(٨٦) مرآة الزمان ، ١٢ ورقة ١٦٨ ٠

(٨٧) اغاثة ، ص ٢٥ ٠

(٨٨) انظر ، ماجد ، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة ، فصلة من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص ٣٧ ٠

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ٠

ومشت فتكاثر عليها الناس وانتهبوه منها، ولم يبق لها الا ملء يديها ، فعجنته وشوته حتى صار قرصة وأخذتها الى احد أبواب القاهرة ، ورفعت القرصة على يدها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها « يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظرة حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار »(٩٠) ٠

وبذلك استطاعت هذه المرأة أن تنقد سياسة الخليفة بجرأة وشجاعة ولم تخش بطشه فى وقت تأزمت فيه الأمور ، وكان انتقادها بطريقة حادة يشوبها التهكم والسخرية ، وما يزيد من أهمية هذه الحادثة ، أولا ، لأننا لم نسمع عن رجل وهو بالطبع أقدر من المرأة فى تلك العصور انه عبر عن رأيه فى هذه الأزمة بهذه الطريقة ، حقيقة لقد ذهب رجل يشكو الى المستنصر هذا الغلاء الواقع ولكنه لم ينقد سياسة الدولة(٩١) ٠ وثانيا أن هذه الحادثة كان لها أثر ايجابى ، فقد غضب الخليفة المستنصر عندما سمع ذلك ، وأحضر الوالى وتهدده أن يظهر الخبز فى الأسواق ، والا ضـــربت رقبته وانتهب ماله ، فما كان من الوالى ، الا أن تحايل على الخبازين وتجار الغلة والطحـــانين بأن أحضـــر جماعة من المســـجونين ممن وجب عليهم القتل وأعد مجلسا ، وهددهم بالقتل بعد أن اتهمهم أمام تجار الغلة والطحانين باحتكار الغلة واختلال أحوال الدولة والرعية ٠ مما جعل تجار الغلة يتراجعون عن موقفهم ، حتى خرجت الغلة للطواحين وعمرت الأسواق بالخبز ورخصـــت الأســـعار الى حد كبير(٩٢) ٠

---

(٩٠) نفســه ٠

(٩١) العينى ، تاريخ ورقة ٩٧ ٠

(٩٢) نفســه ٠

هذا يبين أن حل هذه المجاعة كان راجعا أولا وقبل كل شيء الى تلك المرأة الشجاعة التى حفزت الخليفة والوالى ليحلا الموقف دون تردد وربما لو لم تحدث هذه المظاهرة لاستمرت المجاعات لفترات طويلة وعانت منها البلاد الكثير ٠

وكذلك كان لجوء المرأة المصرية للقضاء ، يعتبر مظهرا آخر من مظاهر مطالبتها بحريتها وحقوقها ، سواء أكانت قضايا خاصة بالوراثة أو المتعلقة بالمنازعات الزوجية ، وهذه القضايا على الرغم أنها حالات فردية . الا أنها فى مجموعها تلقى الضوء على مشاكل المرأة بصفة عامة فى ذلك المجتمع ، الذى كانت تعيش فيه فى العصر الفاطمى ٠

وقبل الخوض فى تلك القضايا ، لابد من معرفة النظام المتبع الذى كانت المرأة تقدم قضاياها من خـــلاله ، ولما كانت معلوماتنا قليلة فى هذا الجانب ، فاننا نستطيع أن نستخلص ذلك من خلال النظام العام للقضاء وكذلك من خلال قضايا المرأة نفسها ٠

فمن المعروف أن القاضى كان يعقد مجلسه فى الجامع(٩٣) أو فى داره(٩٤) ، وكان ذلك مرتين فى الأسبوع ، ثم أصبح أربع مرات وأكثر(٩٥) ولعل المرأة كانت تذهب بمفردها الى القاضى ، وذلك يتضح من خلال قضاياها التى ذكرتها المصادر والتى تبدأ عادة بكلمة « تقدمت »(٩٦) ٠أو لعلها كانت تتقدم ومعها وكيل لها ٠ أما القضايا الخاصة بالمنازعات الزوجية فكانت المرأة تحضر مع زوجها أمام القاضى(٩٧) ٠

---

(٩٣) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٧ ، الخطط ، ٢ ، ص ٢٤٦ ٠

(٩٤) نفسه ، ص ٥٨٩ ، ٥٩٤ ، ٦٠٤ ٠

(٩٥) نفســـه ، ص ٦١١ ، القلـــر ، ماجـــد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٤٨ ـــ ١٤٩ ٠

(٩٦) رفع الاصر ، ٣ ورقة ٢٠٧ ، ٢١٦ ٠

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٥٨٦ ٠

كما كانت المرأة تتقدم أيضا برقاعها الى مجلس نظر المظالم ، وكان هذا المجلس ترفع اليه المظالم الذى عجز القضاء عن النظر فيها ، فكانت ترفع الى الخليفة ، وهى تشبه قضـــاء الاستئناف الحالى(٩٨) • وكان هذا المجلس يعقد فى القاهرة فى باب الذهب بالقصر الكبير ، وكانت النساء المستضعفات من جملة المتقدمين الى هذا المجلس (٩٩) الذى كان يعقد يومين فى الأسبوع •

ولقد ابتكر فى أواخر الدولة الفاطمية على يد الوزير المأمون البطائحى ميقاط(١٠٠) حرير فيه ثلاث جلاجل فى سور داره • وكان الغرض منه أنه اذا حضر أحد من المتظلمين وخاصة النساء اللاتى لا يستطعن الظهور نهارا ، ولذا كانت هذه الظلامات تقدم ليلا ، وكان يبيت حول الميقاط جماعة من المغاربة يطلعون على مضـــمون المظالم المقدمة ، وهذا يبين أن الوزير كان يتلقى هذه الظلامات لان الميقاط كان فى داره ، ولكن لعل هذه الظلامات كانت خاصة بأمور السياسة •

أما عن المرأة الذمية وخاصة اليهودية، فنجد أنها كانت تتقدم الى القضاء بواسطة الرجال او بنفسها ، وكان لابد من حضـــور المرأة حتى يسمع كل طرف على حدة وبدون مقاطعة لحماية حقوق المرأة ، كما كانت المرأة تصطحب معها زوجها(١٠١) ، والســـبب أن المرأة تستعين بممثل عنها فى رفع دعواها عندما تكون شكواها ضد زوجها أو أحد أقاربها(١٠٢) . وكانت تلك الشكاوى فى جميع

---

(٩٨) انظر • المرجع السابق ، ١ ، ص ١٥٦ •
(٩٩) الخطط ، ص ٤٠٢ •
(١٠٠) اتعاظ ، ٣ ، ص ٩٥ •
(١٠١) انظر • Goitein, Med. Soc, III, P. 333.
(١٠٢) انظر • Ibid. P. 335.

الحالات تقرأ بواسطة نائب عنها وهى تكون واقفة أمام الرواق الخاص بالنساء فى نفس الوقت الذى كانت تقرأ فيه دعواها(١٠٣) ، أما بالنسبة للمرأة المسيحية فلا تكاد المصادر تذكر عنها شيئا وعلى ما يبدو انها كانت تتقدم بقضاياها الى المحاكم الكنسية التابعة لها ·

ولكن مع هذا الاختصاص الذى ذكرناه ، الا انه كان أحيانا تتقدم المرأة الذمية بقضـــاياها الى القضاء الاسلامى(١٠٤) وهذا يرجع الى أن العصر الفاطمى كان يتميز بالتسامح الدينى تجاه أهل الذمة · مما أدى الى أن أهالى مصر كانوا يتعاملون طبقا لهذه الروح السائدة ، وكان التعامل بينهم يجر الى التعاون فى مشروعات مشتركة ، وفى حالة وجود أية مشاكل كان لابد من اللجوء بالطبع الى القضاء الاسلامى · ومن الملاحظ أن المرأة الذمية كانت تشارك فى هذا المجال مع الرجل المسلم(١٠٥) ·

كما كانت الزوجة تتقدم الى القضاء الاسلامى ، وكانت أحيانا تهدد زوجها بذلك حتى يحسن معاملتها ، ولعل المرأة الذمية كانت تلجأ للقضاء الاسلامى رغبة فى الحصول على حقها(١٠٦) ·

كماأن روح التسامح السائدة نحو أهل الذمة كان لها اثر فى دخول كثير من الذميين الاسلام ، وهذا يتضح من تلك الاسماء الموجودة فى عقود الزواج وكذلك عقود البيع والشــــراء لبعض النساء ، والتى لازالت تحتفظ بتلك الاسماء السابقة(١٠٧) · ولكن

---

(١٠٣) انظر · Ibid. II, P. 824.

(١٠٤) الكندى ، الولاة والقضاة ، ٣٥١ ــ ٣٩٠ ، انظر · سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٥١ ·

(١٠٥) انظر · Op. Cit. III, P. 330.

(١٠٦) انظر · Ibid. II, 400.

(١٠٧) انظر · جروهمان ، ١ ، ص ١٠٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ·

كانت الزوجة احيانا تدخل الاسلام دون زوجها مما يوجد تساؤلا خاصا بنسب الأولاد مما يلجيء المرأة بالطبع الى القضاء الاسلامي كونها أسلمت ، لتحدد موقف أولادها بأي دين يدينون ، وكان القاضي يحكم للزوجة التي اسلمت ان يكون أولادها على دينها وهذا امر طبيعي(١٠٨) ٠

اما عن نوعية تلك القضايا ، فلعل من اهمها قضايا الوراثة التي تعتبر وثيقة الصلة الى حد كبير بالدولة الفاطمية الشيعية التي ابرزت مكانة البنت من خلال قانون الوراثة في مذهبهم(١٠٩) ٠٠ وعلى الرغم من انه ليس لدينا قضايا تقدمت بها المرأة خاصة بهذا النوع ، الا أن بعض القضايا كانت تترتب على هذا القانون ، بمعنى أنما تحصل عليه البنت من ميراث ابيها لعله يكون كثيرا مما يجعلها تكون مطمعا للبعض للرغبة في الزواج منها للاستحواذ على ممتلكاتها ، وحتى لو تم هذا الزواج قبل سن البلوغ(١١٠) ٠

ومع ذلك هناك امرأة مصرية استطاعت أن تدافع عن حقوقها من أيدي القاضي الذي تطلع هو وغيره للزواج منها ، وهنا يتبين موقف تلك المرأة التي رفضته هو وغيره ، وأكثر من ذلك عندما

---

(١٠٨) رفع الإصر ، ٢ ورقة ٢٠٧ ٠

(١٠٩) ان البنت اذا انفردت تأخذ الميراث كله كالابن ، وهي بذلك ترث النصف فرضا والاخر ردا (عنه ، انظر ، دعائم الاسلام ، ٢ ، ص ٣٦٢) ٠

(١١٠) الكامل ، ٧ ، ص ٢٠٣ ٠ وهذه القضية تقدم بها أحد الشهود على عقد زواج يعلن فسخه لكون البنت غير بالغ ، وقد ثبت عند قاضي القضاة محمد بن النعمان انها بالغ ، فرفعت الى القصر وكشف عنها ووجد انها غير بالغ ، فتقدم القاضي بفسخ العقد وكتب سجلا بذلك وأمر بحفظ مال الصبية ٠

تعرضت حقوقها(١١١) وممتلكاتها للضياع من قبل القاضى الذى حجر عليها واعلن سفهها ، أن رفعت دعواها الى الوزير ، الذى انصفها واعاد لها حقوقها . وهى بذلك لم تبال بمكانة القاضى الاجتماعية فى سبيل الحصول على حقوقها .

كما كانت المرأة تتقدم ايضا الى القضاء للمحافظة على ما تملكه بما فى ذلك المنازل التى كانت تعتبر جزءا هاما من ممتلكات النساء فى ذلك العصر(١١٢) .

أما القضايا الخاصـــة بالمنازعات الزوجية ، فان معلوماتنا عنها كثيرة نسبيا ، بما فى ذلك قضايا المرأة المسلمة والذمية ، لاننا فى ذلك المجال نناقش قضايا المرأة المصرية بصفة عامة ولما كانت المشاكل المترتبة على الحياة الأسرية تكاد تكون متشابهة ليس فقط فى المجتمع الواحد ولكن تقريبا فى كل المجتمعـــــات قديما ، وحديثا ، اذ انها مشاكل أزلية لا تختلف فى جوهرها كثيرا .

لذا ، من أهم هذه القضايا تلك ،التى تقدمت بها المرأة وخاصة بالنفقة الشـــرعية ، وكانت هذه القضايا تقدم احيانا من الزوجة للتخلص من زوجها ، لأنها من القضايا التى يجيز فيها القاضى حبس الزوج ، وكان القاضى بالطبع له نظرة خاصـــــة فى ذلك الموضوع(١١٣) ، وكانت تقدم هذه القضايا أيضا عندما يكون الزوج

---

(١١١) الكنـدى ، الولاة والقضـاة ، ص ١٦٥ ، رفع الاصر ، ٢ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(١١٢) رفع الأصر ، ٢ ورقة ٢١٧ ، انظر :
Goitein, Med. Soc, III, P. 329.

(١١٣) نفسـه ، ورقة ٢١٦ .

مقصرا فعلا تجاه زوجته وأولاده ، ولايقوم بمسئولياته المادية ، ويلقى على الزوجة العبء الأكبر ، مما يجعل الزوجة تطالب بحقها فى النفقة(١١٤) ٠

وهناك نوع آخر من القضايا ، ربما كان يخص بعض النساء ، اللاتى حدن عن جادة الصواب ، مما شكك أزواجهن فى نسب أولادهن اليهم ، وهذا النوع من القضايا كان يتقدم به الرجل الى القضاء ، وكان القاضى يحكم أحيانا لصالح الزوجة ، وتكون فى هذه الحالة بريئة من اتهامات زوجها لها ، وعند ذلك كان يشهر بذلك الزوج ، الذى كان ينكر بنوة أولاده من زوجته ويطاف به فى أسواق المدينة راكبا جملا ويقال ، هذا جزاء من يجحد ولده(١١٥) ٠

فضلا عن ذلك ، هناك قضايا خاصة بالمنازعات الزوجية ، حول ضرب الزوج لزوجته ، وكذلك حول المسائل المالية عندما تكون الزوجة لها ممتلكات خاصة بها(١١٦) ٠ وقضايا أخرى تطالب فيها الزوجة بعدم دخول أقارب زوجها بيتها ، وذلك لاهانتهم لها ، أو على الأقل ايجاد سكن خاص لها والمرأة فى ذلك كانت تحافظ على حقوقها من جانب الزوج سواء بالنفقة الشرعية أو المعاملة الحسنة وعدم ضربها ٠ والمحافظة أيضا على حريتها من خلال اقامتها فى مسكن خاص وهذه أمور من حق الزوجة أن تطالب بها(١١٧) ٠

وبصفة عامة ، فان المرأة المصرية على ما يبدو ، لم تكن مستسلمة للأوضاع القائمة ، بل سعت للحصول على حقوقها وحريتها فى بعض الأحيان ٠

---

(١١٤) انظر ٠ Op. Cit. II, P. 174.

(١١٥) الكندى ، الولاة والقضاة ، ٥٨٦ — ٥٩٣ ٠

(١١٦) انظر ٠ Op. Cit. III, P. 187.

(١١٧) انظر ٠ Ibid. P. 174 — 175.

الفصـــل الثـــالث

الجـــوارى

أ) مكانتهن فى المجتمع

ب) عتق الجوارى

حـ) الأســـعار

د) الوظائف والمهن

وإذا انتقلنا للحديث عن الجوارى ، نجد أنه كان من السمات العامة لدول العالم الاسلامى وجود طبقة من الجوارى ، سواء فى قصور الخلفاء ، أو لدى طبقات المجتمع المختلفة ، وذلك لأنه كان نظاما قائما فى تلك المجتمعات ، التى فتحها المسلمون • ولقد كانت الجوارى فى المجتمعات الاســـلامية أحســـن حالا من غيرهن فى أوروبا ، وذلك راجع الى ان الاسلام كان يبيح الزواج من الجوارى ، وان الجارية اذا انجبت تصبح حرة بعد موت سيدها(١) • ويبدو أن المسلمين قد استكثروا من شراء الجوارى كما انتشر التسرى وهو اقتناء الجوارى للتمتع بهن ، ثم التزوج بالجارية اذا ولدت •

لذا نجد أن قصور المســلمين امتلأت بهؤلاء السرارى أو الحظايا ، لاسيما فى قصـــو الفاطميين من الخلفاء(٢) والوزراء فكان لابن كلس وزير الخليفة العزيز ستمائة حظية وكذلك الأفضل ابن بدر الجمالى ثمانمائة جارية منهن خمسون حظية لكل واحدة منهن حجرة خاصة بها(٣) •

---

(١) انظر • ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٩ •

(٢) ولقد بلغت جوارى الخليفة العزيز عشرة آلاف جاريـة • انظر • المعاظ ، ١ ، ص ٢٥٩ •

(٣) ابن ميسر ، ص ٥٨ •

كما اقبلت الأميرات الفاطميات على شراء الجوارى بأعداد كثيرة ، حتى انه كان بقصر ست الملك اخت الخليفة العزيز ثمانمائة جارية(٤) ، وكذلك كان لســـت الملك اخت الخليفة الحاكم اربعة آلاف جارية(٥) ٠

ولقد تعددت الاسماء ، التى كانت تطلق على الاناث من الرقيق مثل جارية او أمة(٦) وحتى مملوكة(٧) ٠ وكانت الجوارى يأتين فى الغالب ، اما عن طريق القوافل ، التى تأتى بالرقيق الأســـود من الجنوب وبالرقيق الأبيض من أوروبا ، ولقد كانت مصر من اكبر اسواق الرقيق فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى(٨) ، أو يأتين كسبايا للحروب أو حتى هدايا من الملوك أو الخلفاء(٩) ، ولذا وجد فى الدول الاسلامية أجناس مختلفة من الجوارى مثل الحبشيات والنوبيات والروميات ومن الطريف أن نجد اسماء بعض الجوارى تدل على جنسياتهن مثل اسم « ست السمر » و « ست الروم »(١٠) ٠

وفيما يبدو أن بعض الجـــوارى قد تمتعن بمنزلة كبيرة فى مصر ، حتى قبل العصر الفاطمى(١١) وخلاله ، فنجد أن بعض

---

(٤) نفســه ٠

(٥) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ ٠

(٦) لسان العرب ، ١٢ ، ص ٢٨٣ ، انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٩ ٠

(٧) انظر ٠ Weit, Catalogue du Musée Arab, VIII, n 2721/897.

(٨) انظر ٠ متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ، ص ٣١٥ ٠

(٩) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٧٧ ٠

(١٠) انظر ٠ Goitein, slave and slavegirls in The Cairo geniza JESHO, IV, 1961, P. 12.

(١١) وكان لمحمد بن على الماردانى ، أحد وجوه القوم فى العصر الاخشيدى جارية عالية القدر ، اسمها ست الناس ، كانت تجلس فى شباك من شبابيك قصره وحولها جواريها بالملاب ٠ انظر ٠ سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٥٥ ٠

الجوارى كان لهن ثروات كثيرة ، اذ تركت احداهن واسمها عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز ، ثروة تقدر بأربعمائة ألف دينار وكانت من وجوه عجائز القصر الفاطمى ، ولعل هذه الثروات كانت تاتى اليهن عن طريق الهدايا(١٢) ومما يدل أيضا على ثراء بعض الجوارى أن احداهن وتدعى فوز قد بنت مسجدا وربلطا بالقرافة الكبرى وأوقفته على أم الخير الحجازية(١٣) كما أن اهتمام الشعراء بالجوارى لدليل آخر على تلك المنزلة ، التى حظين بها(١٤) ٠ حتى بعد وفاة الجارية كانت تكرم باقامة مقبرة لها وعليها شاهد يحمل اسمها(١٥) ٠

أما عن معاملة الجوارى ، فكان المسلمون يعاملون جواريهم معاملة حسنة ، كما كانت المجالس الدينية ، التى كانت تعقد فى القصر الفاطمى تدعو الناس الى الرفق بالرقيق من عبيد واماء ، وأن يتوفر لهم المأكل والملبس ، ولا يحملون فوق طاقاتهم من العمل ولا يضربون الا تأديبا(١٦) وعلى الرغم من أن الاسلام كان يعتبر من

---

(١٢) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٧٢ ، التحف والذخائر ، ص ٢٠ ٠

(١٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٤ ٠

(١٤) ومنها ما قاله ابن قلاقس الشاعر المصرى الذى توفى ٥٣٢/١١٣٧ ٠

رب سوداء وهى بيضاء ... المسك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسبن النا ... س سوداء وهن نور

وفيات ، ٥ ، ص ٢٣ ٠

Répertoire, IV, n 1905; 1948; Wiet, Catalogue du Musée Arab, VIII, n 2721/1091; 2721/1480.

(١٦) المجالس المستنصرية ، رقم ٢٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ ٠

يعتنق الاسلام من الرقيق مواطنا ، الا أنه مع ذلك كان ينظر للعبد أو الجارية فى المجتمعات الاسلامية كمواطن من الدرجة الثانية بعد الأحرار .

وعن عتق الجوارى ، فانه كانت تحرر وثائق بهذا الشأن من قبل السيد أو السيدة ، يذكر فيها عدم تعرض أحد من أولاد السيد للجارية المعتوقة بعد عتقها ، كما يتضح من احدى الوثائق باوراق البردى العربية(١٧) ، ان الجارية المعتوقة كانت أحيانا تسمى باسمين ، اسم عربى وآخر قبطى ، فكان اسمها دجاشة بالقبطية وصفراء بالعربية . وكانت الجارية المعتوقة تحصل من سيدها عند زواجها على بعض الأشياء تساعدها فى الجهاز أوعلى الأقل جزء من منزل أو حتى مساعدة مالية ، ويكون ذلك مشروطا أن تظل الجارية على دينها ، وهذا بالنسبة للجارية التى تكون لدى أهل الذمة ، كما كان من الممكن أن تظل الجارية فى منزل سيدها بعد زواجها حتى بعد عتقها(١٨) .

وتجدر الاشارة الى أن الجارية المعتوقة ، كان يطلق عليها لقب مولاة وتنسب الى من أعتقها(١٩) ، كما أن العبد بعد عتقه يظل يحمل لقب مولى ليس هو فقط بل وكذلك ابناؤه ، مثل ابن مولى أو ابنة مولى كما هو مذكور على بعض شواهد القبور فى الفسطاط

---

(١٧) جروهمان ، ١ ، رقم ٣٧ ، ص ٦٠ — ٦٦ ، ويرجع تاريخهما الى عام ٢٦٣ وهى على ورق أبيض ، وقد قام بتحرير هذه الوثيقة — أربعة أشخاص ، وكانت هذه الجارية مملوكة لسيدة تدعى اسطور هيوة .

(١٨) انظر Goitein, Med. Soc, I, P. 142; The exchange rate of gold and silver money, JESHO, VIII, P. 4.

(١٩) انظر . حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ٣ ، ص ١١٧٤ .

وأسوان(٢١) • ولعل وجود هذه الشواهد تدل على تلك المكانة ، التي حظى بها بعض الموالى ، كما أن بعضهن اقمن مساجد حملت اسماءهن مما يدل أيضا على ثرائهن مثل مسجد الحجر بالقرافة الكبرى ، الذى بنته مولاة على بن يحيى(٢٢) •

أما عن اسـعار الجوارى ، فيبدو أنها كانت متأرجحة فى العصر الفاطمى ، فكان سعر الجارية يبلغ أحيانا عشرة دنانير ، وهناك من وصـل سـعرها الى ثلاثين دينارا(٢٣) • كما ذكر الأدريسى(٢٤) أن أحسن جارية بيعت فى أسواق مصر بثلاثمائة دينار ، ولكن يبدو أن متوسط سعر الجارية قد وصل فى تلك الفترة الى عشرين دينارا(٢٥) وكان ثمن الجارية يدفع أحيانا بالتقسيط ويحرر بذلك وثيقة ، يدفع المشترى للبائع مقدما مبلغا بسيطا ، ثم يقسط بقية الثمن حسب السعر الاجمالى ، ويدفع كل شهر جزءا منه(٢٦) •

ثم ننتقل الى الأعمال التى قامت بها الجوارى سواء فى القصر الفاطمى أو لدى طبقات الشعب ، ونجد أن الجوارى اللاتى كن يعملن بالقصر كان عددهن كبيرا ، حتى ان ابن عمار ، الذى تولى الوساطة

---

(٢١) انظر • Op. Cit. n 1879; 2575; Wiet, Catalogue du Musée Arab . VII, n 2721; 1555; 1506/111.

سعاد ماهر ، مدينة أسوان وآثارها ، رقم ٨٦ ، ١٢٠ •

(٢٢) الخطط ، ص ٤٥٠ •

(٢٣) انظر • Goitein, Slave and slavegirls, P. 8 — 10.

عطية القوصى ، تجارة البحر الأحمر ، ص ٢١٣ •

(٢٤) ص ١٣ •

(٢٥) انظر • Goitein, Med. Soc, 1, P. 189; Ashtor, Histoire des prix, P. 208.

(٢٦) انظر • Gottheil and Worrell, XLV, P. 225.

للخليفة الحاكم بأمر الله ، قد فرق كثيرا منهن فلقد كان يوجد حوالى عشرة آلاف جارية وخادم(٢٧) • والجوارى بالقصر نوعان ، نوع يقوم بأعمال القصر العادية ويطلق عليهن المستخدمات فقط ، أما النوع الثانى فيطلق عليهن أرباب الصنائع من القصوريات ، وان أطلق على النوعين كلمة « المستخدمات » وكان من لهن صنائع يتدربن تحت أيدى زوجات الخلفاء ، اللاتى يقمن بتربيتهن وتعليمهن الصنائع • كما كان يقوم بخدمة بعض الجهات عدد من المستخدمات(٢٨) •

ومن الوظائف ، التى شغلتها الجوارى فى القصر الفاطمى :

القهرمانة(٢٩) :

كانت تعرف هذه الوظيفة أيضا فى القصر العباسى(٣٠) ، ومما يدل على اهميتها اسهام بعض القهرمانات فى بعض الأعمال الرئيسية فى القصر العباسى ، وكذلك جمعهن ثروات كثيرة ، ومن أشهرهن (ثمل) قهرمانة السيدة أم المقتدر العباسى ، جعلتها تجلس للنظر فى المظالم ، وكان يحضر مجلسها عدد من الوزراء والقضاة والفقهاء • أما فى القصر الفاطمى ، نسمع عن قهرمانة الخليفة الآمر بأحكام الله ٤٩٥ ــ ٥١٤/١١٠١ــ ١١٣٠ • ومن الغريب أن هذه القهرمانة كانت تقوم بأعمال لا تتعارض فقط وكونها امرأة ، وانما تتعارض مع السمة الغالبة لذلك العصر مثل تدبير أمر الجيوش ،

---

(٢٧) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٦ •

(٢٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ ، ٤٨٠ •

(٢٩) القهرمان ، هو المسيطر الحفيظ على من تحت يده ، وهو من أمناء الملك وخاصته ، والقهرمان لفظ فارسي معرب ، معناه القائم بأمور الرجل (انظر • لسان العرب ، ١٥ ، ص ٢٩٨) •

(٣٠) انظر : مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية فى العراق ، ص ١٢٤ •

ولعل هذا الدور كان قاصرا فقط على الاشراف ، كما تعددت مواهب تلك المرأة فهى كانت كاتبة مثقفة تقرأ فى بعض العلوم مثل الطب والموسيقى والنجوم(٣١) . ولم يقتصر عمل القهرمانات لدى الخلفاء، بل كان هناك قهرمانات يقمن بالعمل لبعض سيدات القصر ، وأحيانا يكون للسيدة الواحدة عدة قهرمانات يقمن بشئونها مثل ست الملك أخت الخليفة الحاكم بأمر الله(٣٢) .

صاحبة دواة الخليفة(٣٣) :

وتعتبر من الوظائف الهامة أيضا لقربها من الخليفة ، كما كان يقوم بأمر خدمتها موظف يلقب بلقب « أستاذ » وكانت مهام وظيفتها تختص بإعداد الأقلام والدواة للخليفة ومن هؤلاء اللاتى عملن بهذه الوظيفة فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ٥٢٤ ـ ٥٤٤/١١٣٠ ـ ١١٤٩ جارية تعرف بست غزال .

العمل بالخزانة الباطنة(٣٤) :

كانت تتولاها امرأة تلقب بزين الخزان المقدمة ، وكانت مسئولة عن ملابس الخليفة ، ويعمل بين يديها ثلاثون جارية منهن ست خزان(٣٥) ، ربما كن يقمن بالاشراف على خزائن الملابس ، وهذا يتضح من لقبهن الى جانب عشـــر وقافات ، وهن أقل درجة من

---

(٣١) العينى ، تاريخ ، ورقة ٧٥٤ .

(٣٢) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٨ .

(٣٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٣٤) نفسه ، ١ ، ص ٤١٣ .

(٣٥) خزن الشىء يخزنه خزنا واحرزه وجعله فى خزانة ، والخزانة اسم الموضع الذى يخزن فيه الشىء والخزانة عمل الخازن (انظر . لسان العرب ، ١٦ ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

الخزان يساعدن المقدمة أثناء ارتداء الخليفة لملابسه ، وكان يخرج لزين الخزان من الكسوة حلة مذهبة ، أما الجوارى اللاتى يعملن تحت يديها فكان لكل منهن حلة حريرى(٣٦) ٠

مقدمة المائدة الشريفة(٣٧) :

وهذه المائدة كانت تختص بالخليفة ، ويقوم بالاشراف عليها امرأة تلقب بالمعلمة مقدمة المائدة ، وكان من بين اختصاصاتها أن تتسلم من خزانة التوابل مقررات المائدة الشريفة ، والتى كانت تصرف شهريا ، وهى عبارة عن مسك وماء ورد ٠ وكذلك الفستق وكان يساعدها فى ذلك مقدم الفراشين ، الذى كان يقوم أحيانا بتسلم هذه الأشياء بدلا منها ، مما يدل على أنه كان يعمل تحت خدمتها ٠

مقدمة خزانة الشراب(٣٨) :

وكان يقوم بالخدمة فيها أيضا امرأة تلقب بالمعلمة مقدمة خزانة الشراب وربما اقتصر عملها على ما هو خاص بالخليفة ، لأنه كان يشرف على هذه الخزانة أحد كبار الأستاذين بالقصر(٣٩) ٠

الى جانب هذه الأعمال ، كان هناك نوع آخر أقل فى الرتبة ومنها :

---

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٤١١ ٠ والحلة كانت تطلق على الزى النسائى بصفة عامة ، بمعنى ملابس كاملة مطرزة بالذهب أو الحرير (انظر ٠ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٦) ٠

(٣٧) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٠ ٠

(٣٨) نفســه ٠

(٣٩) هذه الكلمة من أصل فارسى تعنى عريف أو سيد أو معلم ، وأن أصبحت فى القصر الفاطمى تدل على عبيد القصر ، كما عرفت فى مصر المماليك « أستاذ دار » أو « استادار » لتدل على كبير خدم القصر (انظر ٠ المرجع السابق ، ٢ ، ص ١١ حاشية رقم ٣) ٠

المغنيات والراقصات :

وهى من الأعمال التى قامت بها الجوارى أيضا والتى تعلقت بالترف والرفاهية ، وذلك لأن مجالس الغناء والرقص كانت سـمة من سمات القصور الاسلامية ، كما أقبل عليها كبار رجال الدولة وكذلك بقية طبقات المجتمع ولاسيما الطبقات العليا . ويتضح ذلك بالنسبة لمصر الاسلامية من تشجيع الطولونيين للغناء فكان خمارويه ابن أحمد بن طولون يجلس للشرب والمغنيات من حوله ، كما بنى فى داره مجلسا عرف ببيت الذهب رسم على حيطانه صور بعض المغنيات(٤٠) .

كذلك اهتم الاخشـيديون بالغناء، وكان محمد بن طغج الاخشيد مولعا بسماع المغنين والمغنيات ، كما أن علية القوم فى مصر كانوا يقبلون فى مجالسهم الخاصة ومآدبهم على سـماع المغنين والمغنيات(٤١) .

أما فى العصر الفاطمى ، فلقد ازداد الاهتمام بالغناء والرقص وذلك راجع الى حياة الترف التى عاشها الخلفاء فى البلاط الفاطمى ، وكذلك مشاركتهم للشعب فى الاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة ، ولذلك لم يقتصر تشجيع الغناء على الخلفاء والأمراء بل شاركهم فى ذلك أيضا عامة الشعب ، ويبدو ذلك فى مجالس الغناء ، التى كانت تقام على شواطىء النيل فى بعض المناسبات والاعياد(٤٢) .

---

(٤٠) الخطط ، ١ ، ص ٣١٦ ــ ٣١٧ . انظر : محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٩٠ .

(٤١) ابن سعيد ، ص ٢٩ ، انظر سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ص ٢٧٥ .

(٤٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٩٤ . كان الناس يخرجون من المسلمين والنصارى فى يوم الغطاس ولا يتناكرون بكل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف .

ومع ذلك فليس لدينا معلومات عن مغنيات تلك الفترة ، ولكن لعل تلك المجالس ، التي كانت تقام في القصر كانت تقدم من خلال عدد من المغنين والمغنيات وكذلك العازفين والعازفات وهذه المجموعة في الغالب كانت مقسمة للعزف على الآلات الموسيقية، التي اشتهرت في تلك الفترة مثل العود والناي والدف والمزمار والنقارة ، والتي تضمنتها مناظر للمطربين والمطربات المنقوشة على الخشب ، والتي ترجع الى تلك الفترة(٤٣) ، فضلا عن مجموعة الأطباق الخزفية الموجودة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة(٤٤) التي تصور بعض نساء يعزفن على هذه الآلات ولاسيما العود والقيثارة ويبدو أن المطربات والعازفات كن يجلسن في مجالس الرجال ويعزفن وهن مرتديات ثياب وقورة محتشمة(٤٥) ، وان كان التقليد المعروف في القصور الاسلامية ، وحتى في مصر أن يجلسن من وراء ستار(٤٦)، ولعل جلوسهن هذا جاء في فترة متقدمة .

ولما كانت المغنيات بصفة عامة من الجواري ، فلقد كان لكل خليفة أو أمير مغنية أو مغن خاص به ، وكانت بعضهن تشترى من الخارج ، كما كان هناك سوق لبيع المغنيات ، ولكننا لا نعرف أشهر مغنيات تلك الفترة سوى ما ذكرته المصادر عن مغنية الخليفة المستنصر ، التي تعرف بنسب الطبالة(٤٧) ، ولعلها كانت احدى المغنيات اللاتي يغنين تحت القصر في أيام المواسم والأعياد ، ثم

---

(٤٣) انظر . زكي حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢١٢ ، أنظر . ماجد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٧١ .

(٤٤) سجل رقم ١٤٩٢٥ ، ١٤٩٢٣ .

(٤٥) انظر . محمد ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامي في العصر الفاطمي ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٤٦) انظر . متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٤٧) أخبار مصر ، ص ١٠٧ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٥ .

اتخذها المستنصر مغنية خاصة له ، بعد أن سمعها تغنى مشاركة الخلافة فرحتها ، بعد أن قام البساسيرى بالخطبة(٤٨) ، وضـــرب السـكة باسم الخليفة المستنصر الفاطمى فى بغداد ٤٥٠/١٠٥٨ ولقد منحها الخليفة المستنصر أرضا جانب الخليج الغربى بجوار المقس عرفت باسم أرض الطبالة نسبة الى هذه المغنية ، التى على ما يبدو كانت تغنى بالطبل(٤٩) .

كما نعرف أنه كان للخليفة المستنصر مغن آخر يعرفه باسم ابن ميسرة الكتامى ، ومن الملاحظ أنه كان له مسجد وفى قبالته تربة تسبب الطبالة بالقرافة(٥٠) ، ولقد كان لبعض هؤلاء المغنيات منزلة كبيرة ، حتى اذا ماتت احداهن حزن عليها كثيرا(٥١) .

ومع اسراف الناس فى اللهو بما فيه الاهتمام بالغناء ، أدى الى أن الخليفة الحاكم بأمر الله أصـــدر أمرا من خلال برنامجه الاصلاحى ٤٠١/١٠١٠ بمنع الغناء ، كما أمر الا تباع مغنية(٥٢) ، ولكن مالبث أن عاد الناس الى ذلك ، واتخذوا المغنيات بعد موت الخليفة الحاكم وتولى الظاهر الخلافة ، الذى كان مشغوفا باللهو

---

(٤٨) عنه ، انظر ، وفيات ، ١ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ، الكامل ، ٨ ، ص ٨٣ — ٨٧ .

(٤٩) الخطط ، ٢ ، ص ٢٥٤ ، ولقد غنت فى هذه المناسبة بين يدى الخليفة المستنصر :

يا بنى العبـاسى ردوا	مـلك الأمـــر معـــد
ملـككم كـان معـــارا	والعـــوارى تســـترد

(٥٠) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٥١) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٣٠٣ .

(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٨٧ .

والغناء(٥٣) ، ولعل مجيئه بعد خليفة متزمت مثل الحاكم ، قد جعل البعض يصفه بالاسراف فى اللهو ٠

اما بالنسبة للراقصات(٥٤) ، فمن خلال الصور التى ترجع الى العصر الفاطمى ، والتى نقشت على الجدران أو الخشب ، نجد أن الرقص قد تميز بالاحتشام من حيث أسلوب الرقص وكذلك من حيث الملابس ، وعلى الرغم من أن الرقص فى هذه الفترة كان هدفه البهجة فى مجالس الطرب الا أنه مع ذلك كان يتجنب الابتـــذال وتعرية الاجسام بالنسبة للراقصات بالمقياس للعصور السابقة على الاسلام ، وكانت الرقصات تؤدى حسب الأنغام والايقاع ٠

ولما كانت الحياة الاجتماعية فى مصر فى تلك الفترة تميل الى حد كبير الى اللهو ، لذا كثر الاهتمام بالرقص مثل الغناء ٠ أما عن طريقة الرقص التى كانت شائعة فى تلك الفترة ، فهى أن تمسك الراقصة بمنديل فى كل يد ثم تؤدى حركات بالأيدى والأرجل بصورة متوازنة واحيانا تمسك بوقات فى يديها أو حتى وشاح يلف حول الظهر من الخلف او حول الصدر من الأمام(٥٥) ٠ ولم يكن الرقص مقصورا على النساء ، وكان الرقص بشكل عام يشبه الى حد كبير بعض الرقصات التى لاتزال موجودة فى بلاد الأندلس حتى الآن(٥٦) ٠

---

(٥٣) المصدر السابق ، ا ، ص ٣٥٥ ٠

(٥٤) انظر ٠ محمود ابراهيم حسين ، التصوير فى العصر الاسلامى ، ص ٨٦ ، ٨٨ ٠

(٥٥) انظر ٠ نفسه ٠

(٥٦) انظر ٠ زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢١٢ ٠

ويوجد بمتحف الفن الاســلامى بالقاهرة طبق من الخزف ذى البريق المعدنى مرســوم عليه راقصة تبين هذه الطريقة فى الرقص سجل رقم ١٥٩٥٠ ٠ وآخر برقم ٧٢٨٥٠ ٠

الطبـــاخات :

وهؤلاء كن يعملن فى مطبخ القصر(٥٧) ، والذى كان يقع خارج القصر قبالة القصر الغربى ، وكان يصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض ، ويعمل فى المطبخ خمسون شخصا من بينهم الطباخات ، اللاتى اشتهرن بالمهارة الفائقة فى صنع بعض الأصناف من الأطعمة ، ولاسيما الحلوى ، التى اشتهرت فى الخلافة الفاطمية ، ولقد تعددت هذه الأنواع ومنها الجوذاب(٥٨) والخشـــكنانج(٥٩) والفالوذج واللوزينج وكانت تعمل بصفة عامة من الدقيق والسمن والسكر ، وهى فى الغالب اسماء فارسية وكانت تشكل على هيئة القصـــر والطيور والحيوانات(٦٠) ولقد اســـتمرت شهرة هؤلاء الطباخات حتى بعد انتهاء الخلافة الفاطمية(٦١) .

الخدمة فى اصطبل الخليفة :

واذا كانت الأعمال السابقة تناسب طبيعة المرأة ، فان الخدمة فى الاصطبل(٦٢) ، ربما تكون شاقة بالنسبة للمرأة من ناحية ومن

---

(٥٧) الخطط ، ١ ص ٢٦٤ ؛ سفر نامة ، ص ٦٤ .

(٥٨) والجواذب اصناف من الطعام تصنع من الارز ومن رقاق الخبز وبسكر وبغير سكر ، وتوضع فى وعاء ويعلق عليها حيوان كالأوز وتشوى فيقطر دهنها عليها ، لابد منها ، والا فليس بجوذابة .
انظر . Dozy, Suppl, I, P. 231.

(٥٩) والخشكنانج هو عجينة دقيق تعرك بالسيرج ويضاف اليها سكر نامم ولوز مدقوق وماء ورد وتقطع قطعا مستطيلة وتخبز فى الفرن .
انظر . Ibid. P. 378.

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٦٠ ؛ صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٥١٨ .

(٦١) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٧ .

(٦٢) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٥٢٢ .

ناحية اخرى ، أن العمل كان يتطلب السهر ليلا ، حتى اذا ما أراد الخليفة الركوب ، فى أى وقت فكن يقمن بشد ما يحتاج اليه من الدواب ، فضلا عن خدمة البغلات والحمير، وربما تكون هذه المهنة اقل الأعمال ، التى قامت بها المرأة وهى تشبه عمل السايس فى وقتنا الحالى(٦٣) ٠

أما بالنسبة للجوارى ، اللاتى يعملن لدى بقية طبقات المجتمع فكان العمل تقريبا متشابها وهو الخدمة فى المنازل ٠ وكان يوجد فى كل منزل جارية أو جاريتان بالنسبة لمياسير الناس ٠ كما كانت تعمل الجارية أيضا مربية للأطفال أو حتى وصيفة(٦٤) ٠ ويبدو أن الجارية النوبية ، هى التى كانت تفضل على سائر الأجناس للخدمة فى المنازل ، كما كان يفضل الجارية الصغيرة السـن ، والتى ليس لديها اطفال ، حتى تقوم بعملها دون أن يؤثر على نشاطها أحد(٦٥) وهذه الشروط كانت تضعها بلا شـك ربة البيت ، التى كانت تقوم بالاشراف على عمل الجارية ٠

ومع ذلك ، لم يقتصر دور الجوارى على المشاركة فى الحياة العامة ، بل كان منهن زوجات وأمهات الخلفاء اللاتى عشن فى القصر الفاطمى وتمتعن بعظمة الخلافة ٠

---

(٦٣) انظر ٠ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢٥ — ٢٦ ٠

(٦٤) انظر ٠ Goitein, Med. Soc, I, P. 135.

(٦٥) انظر ٠ Ibid.

الفصل الرابع

الزواج

(أ) الخطوبة

(ب) الصداق

(حـ) عقد الزواج

(د) جهاز العروس

(هـ) الأفراح

(و) الأسرة ·

(ز) الأعمال المنزلية

واذا انتقلنا للحديث عن الزواج ، الذى يعتبر نظاما اجتماعيا لتكوين الأسرة ، فلابد لنا من التعرف على كل مايتعلق به ابتداء من الخطبة وقيمة الصداق وعقد الزواج والشروط التى يتضمنها ، ثم الجهاز والافراح واخيرا حياة الأسرة . ولقد ضنت المصادر بالمعلومات عن هذا الجانب ، وذلك لأنه يعتبر من الجوانب الاجتماعية ، التى قلما ان تهتم بها المصادر فى تلك الفترة .

ومن المحتمل أن الفتاة كانت تتزوج فى سن مبكرة جدا ، تقريبا عند سن البلوغ(١) . كما أن اختيار العروس كان يتم عن طريق الأهل ، الذين يقومون بتعيين عدة فتيات للرجل على أن يختار احداهن(٢) أما عن الخاطبة ، فلا نكاد نسمع عنها فى تلك الفترة ومن المؤكد انها وجدت فى هذا المجتمع كوسيط بين العروسين ووسيلة للاختيار ، اذ انها كانت من السمات العامة التى تتعلق بها

---

(١) الكامل ، ٩ ، ص ٦٨ وتزوج الخليفة العاضد وهو فى الحادية عشرة من عمره ، ولابد أن تكون العروس فى هذا السن (أو دونه) ، كما أن وثائق الجنيزة تشير الى أن الفتاة كانت تتزوج فى الثانية عشرة من عمرها) . انظر . Goitein, Med. Soc, III, P. 71 — 72.

(٢) النكت العصرية ، ص ١٤٧ .

الجانب في العصور الوسطى الاسلامية لأنه لم يكن من السهل رؤية الفتيات بحرية قبل الزواج(٣) ٠

كما لم تستشر العروس فى الغـــالب عند الخطوبة بل دون استشارة العريس أيضا، فكان يقوم كل من ولي الزوجة ووكيل الزوج بعملية الاختيار هذه بالنسبة للعروسين(٤) ٠ وعموما كان الرجل يحرص دائما على اختيار فتاة حرة عند الزواج ، ولعلها كانت الصفة السائدة في تلك الفترة ، انه لابد من وجود امرأة حرة مهيبة في كل منزل(٥) ، أما بالنسبة للفتاة الذمية وخاصة اليهودية ، فكان الاختيار أيضا يتم بواسطة الأسرة ، ويكون للأب الكلمة الأخيرة فى اتمام الزواج(٦) ٠

اما فيما يتعلق بالصداق أو المهر(٧) وهو بمعنى الصداقة أو الهدية ، الذي يعتبر من حقوق الزوجة على زوجها ، وعلى الرغم من أنه من أحكام عقد الزواج الا انه لا يبطله ٠ ولما كان ليس هناك اختلاف بين المذهب السني والمذهب الشيعي من حيث قيمة الصداق ، الا أن بعض مذاهب السنة ترى أن أقل الصداق ربع دينار أى (ثلاثة دراهم) ، كما يرى الشافعى أيضا أن كل ما يصدق عليه اسم المال يصلح أن يكون مهرا ، ولذا لم يعتبر له حد أدنى ، كما أن الحـــد الأعلى له غير مقرر ، ولايلزم تقديم الصداق كله وقت العقد ، بل يجوز أن يقدم بعضه ويؤخر الباقى الى أجل معلوم(٨) ٠

---

(٣) انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٥ ٠

(٤) انظر ٠ احمد الشامى ، التطور التاريخى لعقود الزواج فى الاسلام ، فصلة من ندوة البرديات ، ١٩٨٣ ، ص ٣ ٠

(٥) المصدر السابق ٠

(٦) انظر ٠ Op. Cit.,

(٧) انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٥ ٠

(٨) انظر ٠ المرجع السابق ، ص ١٥ ٠

ومع ذلك ، فلقد وجد اختلاف فى قيمة الصداق وذلك راجع الى مكانة العروسين الاجتماعية ، ولذا نجد الصداق بالنسبة للطبقة الحاكمة كبيرا جدا ، وهذا بلا شك يتلاءم مع عظمة الخلافة ، كما كان الخليفة يقدم أحيانا لبعض رجال دولته الصداق كهدية من بيت المال(٩) ٠

أما عن قيمة الصداق بالنسبة للمرأة المصرية ، فنجد أنه من خلال العقود التى وصلتنا ، والتى تخص المرأة المسلمة(١٠) أنها لا تعبر بصدق عن المستوى العام ، اذ أنها قليلة ولعلها تخص نساء الطبقة الفقيرة ، ذلك لأنها وصلت ما بين ديذارين وأربعة دنانير ومما يؤكد ذلك أن صداق المرأة اليهودية نجده بالنسبة للطبقة الغنية كان يصل أحيانا الى ألف دينار تقريبا ، والطبقة المتوسطة الى ثمانين دينارا ، أما الطبقة الفقيرة فقد وصل الى دينارين أو أقل فى بعض الأحيان(١١) ٠ كما نعرف أن هناك من المسلمات من وصل صداقها الى أربعين دينارا ولعلها كانت من الطبقة المتوسطة(١٢) ، بالاضافة الى أن عقود الزواج الخاصة بالمسلمات والتى ترجع الى ما قبل العصر الفاطمى وبعده تتراوح ما بين دينار وثمانين دينارا(١٣) ٠

ولما كان يدفع جزء من الصداق كمقدم والباقى يؤجل الى أجل معلوم ، فمن الملاحظ أن قيمة المؤخر كانت أكبر من قيمة المقدم ،

---

(٩) ربيع الابرار ، ٢ ، ص ٣٦٤ ، الكامل ، ٧ ، ص ٢٥٧ ٠

(١٠) انظر ٠ جروهمان ، أوراق البردى العربية ، ١ ، رقم ٤٤ ، ص ٩٦ ، رقم ٤٥ ، ص ١٠٠ ٠

(١١) انظر ٠ Goitein, Med. Soc, III, P. 139.

(١٢) النكت العصرية ، ص ١٤٧ ٠

(١٣) المصدر السابق ، ص ٧٩ ٠

ولعل السبب فى ذلك هو تامين المرأة اقتصاديا بعد انفصالها عن الزوج أو بعد وفاته . ولذا كان يكتب بالمؤجل من الصـــداق سند للزوجة(١٤) ، وكان فى بعض الأحيان يؤدى الزوج هذا المؤخر الى والد الزوجة ، كما كان يحدد فى عقد الزواج المدة التى يدفع فيها الزوج هذا المؤخر ، وكانت أحيانا تحدد بعدة سنوات . كما نجد فى أحد العقود أنه قد اشترط على الزوج أن - يدفع المؤخر بعد خمس ليال(١٥) . وعند وفاة الزوج كان مؤخر الصداق يعتبر دينا ممتازا واجب الأداء ويجب أن يستوفى كاملا قبل أن تقســـم التركة(١٦) .

وعن صيغة عقد الزواج الخاصة بالمسلمات والتى ترجع الى العصر الفاطمى أو حتى قبله فبعد البسملة تأتى الصيغة القانونية للعقد من حيث اداء الصداق ثم اسم العريس والعروس كاملين ، ويبين حالة العروس اذا كانت (ثيبا) أو بكرا(١٧) ، كما يذكر فى العقد وهو من شروطه أيضا أن تكون العروس (بالغ) ولعل بعض العقود كانت تكتب دون التأكد من هذا الشرط مما يجعل بعض الشهود يرى أنه لابد من فسخ العقد ، ولقد حدث ذلك فى عهد الخليفة العزيز ورفعت اليه هذه الشكوى ولما تأكد من صحة ما جاء به الشاهد أمر بفسخ العقد(١٨) .

---

(١٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٨ ، ص ١٠٥ .

(١٥) انظر ، نفسه ، ١ ، عقد رقم ١٤٥ ، ١٠٠ انظر ، احمد الشامى ، التطور التاريخى لعقود الزواج ، ص ١٧٠ .

(١٦) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٥٢٣ ، انظر ، حورية عبد المجيد سلام الحياة الاقتصـادية والاجتماعية فى مصر حتى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير ١٩٧١ ، ص ١٨٣ .

(١٧) المصـدر الســابق ، ١ ، عقد رقم ٤ ، ص ٨٥ ، رقم ٤١ ، ص ٨٨ .

(١٨) الكامل ، ٧ ، ص ٢٠٢ .

هذا فضلا عن بعض الشروط التى كانت تؤكد مكانة المرأة فى الأسرة ومنها حرية الزوجة فى التصرف فيما تمتلك وعدم تدخل الزوج فيما تتصرف(١٩) ، وان يكون للزوجة حق طلاق أى امرأة يتزوجها الزوج بعدها ، وكذلك بيع أى جارية يتخذها بعد زواجها . وكذلك الا يمنعها من أهلها ولا يمنعهم منها ، كما تتضمن وصايا بحسن العشرة والمعاملة ووجوب طاعة الزوجة لزوجها وكانت هذه الوصايا تدعم بذكر بعض الآيات القرآنية(٢٠) .

وكذلك كان يدون بالعقد أسماء الشهود على العقد ، الذين كان يتراوح عددهم ما بين شاهدين الى أربعين شاهدا(٢١) . كما أن موافقة العروس ورضاها بقيمة الصداق التى قدرت لها كان لابد أن تتم أمام شاهدى عدل ، لتأذن لهما العروس عن رضاها ولابد أن يكونا حرين مسلمين بالغين عاقلين ، وذلك يبين مدى التأكد من موافقة العروس ، وكان أحيانا يؤخذ على شهود العقد شـــهادة مكتوبة يوقعون عليها ويثبتون أنهم يعرفون العروس وأنها يتوفر فيها كل شروط الزواج التى يلزمها العقد من كونها بكرا وبالغا وغيره من الشروط(٢٢) .

أما عن عقود الزواج بالنسبة للمرأة الذمية(٢٣) ، وخاصـــة اليهودية فان معلوماتنا مستفيضة فى هذا الجانب ، وذلك لوفرة هذه العقود الموجودة بوثائق الجنيزة ، والتى تتضمن شـــروطا

---

(١٩) المصدر السابق ، ١ ، ص ١٥٩ ، ١٢١ .

(٢٠) انظر نفسه ، ١ ، عقد رقم ١٥٩ ، ص ٧٢ ، ١٢١ ص ٨٨ — ٨٩ .

(٢١) انظر . أحمد الشامى ، التطور التاريخى لعقود الزواج ، ص ٢٣ .

(٢٢) انظر . نفسه ، ص ١٦ .

(٢٣) انظر . Goitein, Med. Soc. III, P. 105.

عديدة تفرض على الزوج عند كتابة العقد ، منها شروط مألوفة فى كل العقود ، التى تمت فى الفسطاط فى القرن السادس الهجرى ـ الثانى عشر الميلادى أو شروط أخرى خاصة تبعا لظروف الطرفين المتعاقدين ٠

ومن الشروط المألوفة فى هذه العقود ما هو متعلق بادارة شئون المنزل ، الذى يقع على عاتق الزوجة ، التى يجب عليها أن تديره بأمانة هذا الى جـــانب تعهد الزوج بالا يتخذ زوجة ثانية ولا يحتفظ بجارية لا توافق عليها زوجته ٠ ومن الملاحظ أن هناك تشابها بين الشرطين الأخيرين بالنسبة للمرأة اليهودية والأخرى الخاصة بعقود المسلمات الموجودة بأوراق البردى العربية وخاصة قبل العصر الفاطمى ٠ مما يجعلنا نعتقد أن ذلك مرجعه الى التأثير المتبادل بين طوائف المجتمع أو لعله كان الصفة السائدة لهذه العقود فى هذه الفترة ٠ كما تتضمن الشروط الخاصة بالمرأة اليهودية فى عقد الزواج شروطا تتعلق بالجهاز أو الشوار بأن يعود لأسرتها بعد وفاتها ان لم يكن لها أطفال ٠

والنوع الثانى من الشـــروط يتعلق بمحل الاقامة للزوجين ، يقرر فيه اما الزوج أو الزوجة له حق الاختيار ٠ كما توجد بعض الاشارات عن دخل الزوجة ، وهذه الشروط بلا شك كانت تخص المرأة العاملة ، وبذلك كان يشترط أن تزود الزوجة نفسها بالملابس مما تكسب ، هذا فضلا عن شروط أخرى بعدم سفر الزوج خارج البلاد ، أو على الأقل الانتقال من المدينة التى يقيم فيها الزوجان بدون موافقة الزوجة ٠

أما الشروط الخاصة ٠ فهى تتعلق بنفقات العرس أو الفرح والعلاقة بين الزوجين وبكل من عائلتى الزوج والزوجة ، هذا فضلا

عن وضـــع الأطفال من الزواج الســـــابق ، وحرية انتقال الزوجة ومعاملتها بصفة عامة(٢٤) ، وهذه الشروط بلا شك تعمل على حماية المرأة وصيانة حقوقها ٠

وبالنسبة للمرأة المسيحية فلا نكاد نعرف عنها شيئا بما يخص ذلك الجانب ، ولم توجد وثائق ترجع الى تلك الفترة ، نستطيع من خلالها أن نتعرفـ على العقود الخاصة بزواجها وما تتضمنه من شروط ومن المحتمل أنها كانت تتشابه والعصـــــر الذى كانت تعيش فيه ٠

أما فيما يتعلق بالجهاز الذى كانت تحمله العروس معها الى منزل الزوجية ، فقلما تشير المصادر اليه ، ولكننا نستطيع أن نتعرف على أنواعه من خلال قوائم الجهاز الموجودة فى وثائق الجنيزة والخاصة بالمرأة اليهودية وكانت قائمة الجهاز تلحق بعقد الزواج ، أما بالنسبة لعقود الزواج الخاصة بالمسلمات والموجودة فى أوراق البردى العربية فلا توجد معها مثل هذه القوائم وهذا ربما يعنى عدم شيوع القائمة الخاصة بجهاز العروس فى تلك الفترة ، أو على الأقل كانت قائمة الجهاز منفصلة عن عقد الزواج ، ومع ذلك لم تصـــــلنا أى قائمة من هذا النوع على الرغم من أن قوائم الجهاز بالنسبة للمسلمات تعتبر تقليدا شائعا حتى وقتنا الحاضر ٠

وكذلك لم يصلنا شيء بما يخص المرأة المسيحية ، ولما كانت وثائق الجنيزة تحتوى على معلومات غزيرة بالنسبة لهذا الموضوع مع قصور المصادر الاسلامية ، فكان لا يمكن أن نغفل هذه الوثائق ، لأن ما تتضمنه من أنواع الجهاز المختلفة لا يعنى أنها وقف على

---

(٢٤) انظر ٠ Ibid. P. 106.

المرأة اليهودية أو على الأقل أن جهاز اليهوديات كان له سمة خاصة ، لأننا لا نستطيع المقارنة بين جهاز المسلمات واليهوديات لندرة المادة التاريخية فى ذلك الموضوع ، فضلاً عن ذلك أن المرأة اليهودية تعتبر جزءاً من ذلك المجتمع فى تلك الفترة ولا يمكن أن نغفلها ، ولذلك نستطيع على الأقل من خلال تلك القوائم الى جانب النتف الموجودة فى المصادر التاريخية أن نتعرف على أنواع الجهاز بصفة عامة فى العصر الفاطمى ٠

وعند كتابة القائمة كان لابد من أن يأتى بعض الرجال لتقييم بنود الجهاز المختلفة كل بند على حدة ، وكان لابد أن يوافق العريس على هذا التقييم ، لأنه بدون ذلك سوف يكون مسئولا عن حفظ هذا الجهاز ، وخاصة الأشياء الثمينة ، التى تتضمنها القائمة ، وكانت هذه الموافقة تكتب فى الوجه الأول من القائمة ، التى يكتب فى أعلاها كلمة « تقويم أو تقييم » أما الوجه الثانى من القائمة فيحصى فيه البنود المختلفة للجهاز(٢٥) ٠

أما عن تكاليف الجهاز فكانت تدون فى عقد الزواج على مسئولية الزوج أيضا ، وكان بالطبع من الممكن أن تغير بعض أجزاء الجهاز اثناء الزواج أيضا اذ كان لابد من موافقة الزوج على ذلك (٢٦) ويبدو أن قيمة الجهاز كانت تضاعف اذ أنه كان تقليدا شائعا فى ذلك الوقت فى الفسطاط(٢٧) ، فيرى جواتين Goitein (٢٨) أن عقود الزواج فى القرن الخامس

---

(٢٥) انظر . Ibid. P. 124.

(٢٦) انظر . Ibid. P. 343.

(٢٧) انظر . Ibid. P. 127.

(٢٨) انظر . Slave and Slavegirls, Arabica, IX, P. 90.

الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى والخاصة باليهوديات كانت تقدر باسراف ، وكانت المبالغ توضع مضـــاعفة لغرض المباهاة ، كما يضيف المستشرق أشتور Ashtor (٢٩) أن أدوات السرير من وسائد ومفارش ، كانت اثمانها مبالغا فيها ، هذا الى جانب أوعية الطعام المصنوعة من الذهب والفضة والملاعق والأبر وصناديق الحلى المطعمة باللؤلؤ والجواهر ، ومع ذلك يذكر أن هذا التقليد لم يكن شائعا بصفة عامة على كل عقود الزواج فى تلك الفترة ٠

ولقد قدر أحيانا ثمن الجهاز بمبـــالغ غاية فى الارتفاع ، فكان أحيانا يصل الى خمسمائة دينار بل ويصل أحيانا الى اكثر من ذلك(٣٠) ٠ ولعل ذلك راجع الى أن قائمة الجهاز تعكس الجانب الاقتصادى لكلا الطرفين ٠ على العموم كان متوسط قيمة الجهاز فى تلك الفترة خمسين دينارا(٣١) كما أن نصف عرائس الفسطاط كن يحضرن جهازا يســـاوى فى الغالب مائة دينار او اقل ٠ أما بالنسبة للطبقات الفقيرة ، فكانت قوائم الجهاز قلما يوجد فيها ملابس حريرية وادوات طعام مصنوعة من المعادن النفيسة(٣٢) ٠

كما ان ما ذكرته المصادر عن ثمن الجهاز بالنســـبة للطبقة الحاكمة من خلفاء ووزراء يبين الى أى مدى ذلك الاسراف ٠ وكان لابد أن تكون هذه المبالغ مرتفعة ، وذلك بما يليق بهذه الطبقة ، فلقد جهز ابن كلس وزير الخليفة العزيز ابنته بحوالى مائتى الف

---

(٢٩) انظر . Le Coût de la vie, JESHO, III, P. 75.

(٣٠) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, JESHO, VI, 182.

(٣١) انظر . Ibid. P. 166.

(٣٢) انظر . Ibid. P. 165.

دينار(٣٣) ، وكذلك قدر جهاز أخت كاتب السيدة العزيزية بمائة ألف دينار (٣٤) • وهذه المبالغ ، ربما ترجع الى حرص هذه الطبقة على الاكثار من شراء الجواهر الثمينة فى جهاز العروس ، وكذلك ترصيع بعض قطع الأثاث بالجواهر والدر ، وليس أدل على ذلك من جهاز قطر الندى الشهير(٣٥) فى العصر الطولونى • ومع ذلك فان ضخامة هذه الأسعار السابقة تجعلنا نشك فى مدى صحتها لأنها مبالغ فيها •

واذا انتقلنا الى الأقسام الرئيسية ، التى كان يشملها جهاز العروس ، فهى تتكون من الحلى والملابس وفرش السرير ولوازمه والأثاث والنحاس والأدوات المنزلية الأخرى • وكانت الحلى تأتى فى الغالب فى المقدمة بالنسبة للعرائس الموســـرات وأحيانا تأتى فى المرتبة الثانية(٣٦) وكانت هذه القطع عبارة عن خواتم ذهبية وفضية ، وكذلك الأساور والأقراط ، وكان العريس يحضر جزءا من الحلى كهدية للعروس وتحضر العروس جزءا كبيرا من الحلى فى جهازها(٣٧) •

ثم نجد بعد ذلك ، الملابس بأنواعها المختلفة ، والتى سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن الملابس بصفة عامة ، وكانت هذه الملابس الخاصة بالعروس توضع فى صـــندوق ، وتقوم العروس باختيار ملابسها أثناء فترة اعداد الجهاز ويبدو أن هذه الفترة كانت طويلة

---

(٣٣) الخطط ، ٢ ، ص ٨ •

(٣٤) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٧١ •

(٣٥) النجوم ، ٣ ، ص ٦١ ، الخطط ، ١ ، ص ٣١٩ •

(٣٦) انظر • Goitein. Med. Soc, III, P. 129.

(٣٧) انظر . Aahtor, Histoire des prix, P. 219, 220.

احيانا مما يجعل الفتاة المقبلة على الزواج تخرج هذه الملابس من وقت لآخر في الهواء ، أو حتى أن اعداد الجهاز كان يتم قبل خطبة الفتاة(٣٨) • كما كانت العروس تحضر نوعا من الملابس الداخلية الخاصة بالمنزل ، والتى تصنع من الأقمشة الرقيقة(٣٩) •

أما الجزء الكبير الثانى من الجهاز ، فهو يشتمل على الأثاث المصنوع من القماش ، والذى يتكون من لوازم السرير وفراشه من مراتب واغطية ووسائد ، هذا الى جانب المساند والأبسطة والستور(٤٠) • وكان هناك نوع من المراتب يطلق عليه ، ترحة أو مترح وهو خاص بالطبقات الفقيرة والمتوسطة(٤١) • وكذلك من خلال ما تحتويه خزانة الفرش والأمتعة بالقصر الفاطمى(٤٢) ، نستطيع أن نتعرف على أنواع الفرش بالنسبة للطبقة الحاكمة والطبقات الثرية من المسلمين ، ولعلها تعكس فى الوقت نفسه الأنواع الشائعة والتى يتضمنها جهاز المسلمات ، فكان يوجد بهذه الخزانة مراتب ملونة من أقمشة فاخرة مثل قماش الابوقلمون وغيره(٤٣) • وكانت اسعار هذه القطع غاية فى الارتفاع •

---

(٣٨) انظر • Op. Cit. P. 342.

(٣٩) انظر • Ibid. P. 326.

(٤٠) انظر • Ibid. P. 129.

(٤١) انظر • Op. Cit. P. 176.

(٤٢) الخطط ، ١ ، ص ٤١٦ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٢٠ •

(٤٣) البوقلمون أو الابوقلمون وهو قماش يتغير لونه خلال ساعات النهار ، وقد اشتهرت مصر بصناعته (منه • انظر : سفر نامة ، ص ٣٨) كما أن الثروات ، التى خلفتها الأميرات الفاطميات ، لعلها كانت تكون جزءا من جهازهن امثال السيدة عبدة والسيدة رشيدة ابنتى الخليفة المعز انظر الجزء الخاص بالثروات فى الفصل الأول •

أما فيما يخص أغطية الفراش ، فمنها غطاء يسمى «ديوان»(٤٤) وهو من أغطية السرير من قماش الكتان ، وكذلك اللحاف ، الذى كان يصنع أيضا من الكتان وتزين حوافه بكنار كما كانت تصنع بعض الأغطية من الصوف ، ولعلها تستخدم فى فصل الشتاء ، كما كان يستخدم نوع آخر من الملاءات كغطاء سـواء من الكتان أو الديباج(٤٥) ، فضـلا عن ذلك هناك نوع من الأغطية يسـمى « سرادق »(٤٦) وهو على هيئة خيمة واسعة ذات سور عال محيط بالسرير وتصنع من قماش الكتان •وكانت الفتيات الموسـرات يحضرن فى جهازهن غطاء سرير « مفرش » رومى يساوى سعره فى المتوسط عشرة دنانير ، وكذلك يحضرن أيضا مخدة رومية(٤٧) •

هذا الى جانب المساند ، التى توضـع على الارائك والمقاعد للجلوس ، والتى كان يستعمل فيها أنواع مختلفة من الأقمشة مثل الطبرانى ، الذى يأتى من طبرستان بايران وهو قماش من الصوف والحرير ، كما كانت الستائر والأبسطة تصنع من الصوف أو من الأقمشة الفاخرة ، التى تصنع فى البهنسا وتكون جزءا من جهاز العروس(٤٨) • ولقد وجد بالقصرالفاطمى أنواع من السـتور الحريرية المنسـوجة بالذهب • ذات الألوان والأطوال المختلفة ، ومنها أيضا ستارة سندسى خضراء مذهبة ، كما وجدت أنواع من البسط منها بساط خسروانى والحصر السامان(٤٩) المطرزة بالذهب والفضة ، وبسائر أنواع الصور(٥٠) •

---

(٤٤) انظر • Dozy, Suppl, I, P. 478.

(٤٥) انظر • Ashtor, Histoire des prix, P. 176.

(٤٦) انظر • Op. Cit., 1, P. 647.

(٤٧) انظر • Goitein, Med. Soc. I, P. 46.

(٤٨) انظر • Op. Cit. P. 175.

(٤٩) الخطط ، ١ ، ص ٤١٧ •

(٥٠) نفسـه •

أما اذا انتقلنا الى الأثاث المصنوع من الخشب ، نجد المقاعد الانيقة التي تسمى « سرير » أو « مجلس » ، والتي كانت تطعم بالعاج وتحلى بالزخارف كما نجد قطعة أخرى صغيرة نسبيا من الأثاث وهى السرير أو التخت البغدادى(٥١) ، وأصله مصنوع فى بغداد ، هذا فضلا عن الأسرة الرومية(٥٢) • وكان فى القصر الفاطمى أيضا أسرة مصنوعة من العود والصندل والعاج والابنوس(٥٣) كما يشتمل جهاز العروس على قطعة أثاث تسمى « الدكة » وهى تشبه البوفيه(٥٤) ، ويذكر المقريزى(٥٥) أن الدكة عبارة عن شىء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة سبع طاسات(٥٦) من نحاس مكفت بالفضة فى أحجام مختلفة ، وكذلك سبعة أطباق ، هذا فضلا عن المنابر والمسرج والطشت والابريق والمبخرة ، فهو بمثابة دولاب يوضع فيه الأدوات المنزلية المختلفة •

وكان لابد لكل عروس أن يتضمن جهازها على الأقل دكة نحاس والتى يبلغ سعرها مائتى دينار والعرائس من بنات الأمراء والوزراء وأعيان الكتاب وحتى التجار يكون فى جهازهن سبع دكك، دكة نحاس ودكة خشب مدهون ودكة من صينى ودكة من بللور ودكة يطلق عليها كداهى وهى تحمل من الصين(٥٧) وهذا يعنى أن كل

---

(٥١) انظر • Ibid. P. 177.

(٥٢) انظر • Op. Cit. 46.

(٥٣) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ •

(٥٤) انظر • Op. Cit. P. 178.

(٥٥) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٠٥ •

(٥٦) طاسات جمع طاسة وهى عبارة عن وعاء مستدير بدون حافة ، انظر • Dozy. Suppl, II, P. 67.

(٥٧) المصدر السابق •

دكة يوضع بها نوع خاص بها من الأدوات المنزلية • كذلك وجدت خزانة بأرفف تسمى « قمطرا »(٥٨) • كما كانت كل عروس تحضر صندوقا لوضع ملابسها كما اسلفنا ، وخزانة يوضع فيها الأشياء الثمينة ولاسيما الحلى(٥٩) •

كما يشتمل جهاز العروس على أدوات الطعام المختلفة من الأوعية التى تصنع من النحاس المكفت التى لاتكاد دار تخلو فى مصر والقاهرة من عدة قطع من هذا النوع(٦٠) • وكانت أوعية الطعام تصنع أيضا من الفضة ومن الذهب(٦١) • وكان بالقصر الفاطمى صحون متنوعة من البللور والمينا ، وصوانى الذهب المحلاة بالمينا وغلف مختلفة للاوانى ، مبطنة بالحرير ، ومحلاة بالذهب مختلفة الألوان . كما أن خزائن الصينى(٦٢) بالقصر كانت تحتوى على أوان منها صينية كبيرة لغسل الثياب « أجاجين » لها أرجل على صورة الوحوش والسباع وأوان أخرى من الصينى ، وصوان من المينا مزدانة بالذهب تحمل على كعوب وأزيار كبار من الصينى مختلفة الألوان ، وسكاكين مفضضة ومذهبة ومقابضها من سائر الجوهر • وكذلك الكئوس والأقداح والأطباق التى تصنع من الفخار الشفاف ، الذى يلون بألوان مختلفة(٦٣) وتشتهر مصر بصناعته •

---

(٥٨) ولعله صندوق بأرفف • انظر • Op. Cit. P. 177.

(٥٩) انظر . Ibid.

(٦٠) سفرنامة ، ص ٦١ ، الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ •

(٦١) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire dis prix, P. 165.

(٦٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٨ ، ١٩ ، والمينا مادة كالزجاج نصف شفافة تذاب وتستخدم فى زخرفة المعادن كالذهب والفضة والنحاس ، ويمكن أن يضاف لها بعض الاكاسيد لاكسابها ألوانا مختلفة (انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ص ٤٧) ، ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١٢٤ •

(٦٣) سفرنامة ، ص ٦٠ •

علاوة على ذلك كان جهاز العروس يتضمن بعض الأشياء المختلفة مثل أوانى العطور والكحل والمرايا(٦٤) ،وهذه الأشياء وغيرها ضرورية بالنسبة لزينة المرأة ، كما كان الجهاز يشتمل على شمعدان أو منارة ويطلق عليه « شمعدان عرايسى »(٦٥) • ولعله كان عرفا سائدا فى ذلك الوقت ، وكان يوضع على باب العروسين وكان هذا الشمعدان كبيرا نسبيا كما أنه مميز بأنه يستعمل فى هذه المناسبة •

كانت العروس فى بعض الأحيان تشارك فى اختيار تلك القطع التى سوف تؤسس منزلها من الأشياء التى ذكرناها آنفا ، كما كانت تقوم أثناء تحضير الجهاز بتزيين الوسائد والبياضات بالزخارف وغيره(٦٦) • كما كانت تشارك فى اعداد الجهاز أيضا مع العريس ولكن بطريق غير مباشر ، فمن المعروف أن فى هذه العصور كان لا يسمح أن ترى العروس ، وكان يتم ذلك عن طريق من ينوب عنها أو على يد وكيلها(٦٧) ، وهذا لا يتوفر بالطبع الا فى الطبقات العليا من المجتمع ، على العموم كانت العروس تستطيع أن تشرف على جهازها أيضا واختياره بالطريقة التى تريدها •

وكان الاحتفال بالعرس ، كما يذكر المقريزى(٦٨) ، يقام فى دور خصصت للأفراح ،وكانت هذه الدور ملكا للأفراد ، وتكون

---

(٦٤) انظر • Op. Cit. P. 181.

(٦٥) انظر • Ibid. 179.

(٦٦) انظر • Goitein, Med. Soc, III, P. 342.

(٦٧) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ •

(٦٨) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٠٠ — ١٠١ •

ادارتها تحت اشراف الدولة وذلك بأن من يريد أن يجعل داره أو جزءا منها لهذا الغرض ، فعليه أن يتقدم لجهة مختصة بذلك ، وان كنا لانعرف اسم هذه الجهة المباشرة لذلك العمل ، والتى تكتب له حجة على يد بعض المهندسين والشهود ، كما يتضح اشراف الدولة على هذه الدور فى فرض الضرائب الخاصة بالأفراح(٦٩) ، وكان يدفعها بلا شك مالك الدار من خلال الأفراح ، التى كانت تقام فى داره ٠

وهذا يبين ايضا أن كل من يريد أن يقيم فرحا فى احدى هذه الدور ، عليه أن يدفع مبلغا معينا لمالك الدار ٠ وكانت الضرائب الخاصة بالأفراح تجمع من ملاك الدور على يد ضامن لصـــالح الدولة ٠ كما كانت الدولة تتدخل احيانا لصالح مقيمى الأفراح فى هذه الدور ، اذا ما عسف بهم أحد ملاك هذه الدور بشكل أو بآخر أو حتى غيرهم ٠

كمـا يبـدو أن افـراح الطبقـة الحاكمـة كـانت تقـام فى القصر ، وان كنا نسمع عن خيمة تسمى « خيمة الفرح » قد عملت فى عهد الوزير الأفضـــل بن بدر الجمالى ، الذى أنفق عليها الكثير(٧٠) ، وكان الشعراء يلقون بعض أبيات الشعر فى مثل هذه المناسبات(٧١) ٠

أما فيما يختص بتحديد ميعاد الفرح ، فنجد أنه بالنسبة للمرأة اليهودية ، كان يتفق على ميعاده عند الخطوبة ، وكان أحيانا يطلب

---

(٦٩) المصدر السابق ، ١ ، ص ٨٩ ٠

(٧٠) نفسه ، ١ ، ص ٢٠ ٠

(٧١) النكت العصرية ، ص ١٩٧ ٠ ومما قاله عمارة اليمنى عند زفاف ابنة الصالح طلائع بن رزيك الى الخليفة العاضد :

زانت قصورك بنت قصر لم تزل   رحب الفناء بصادر أو وارد

التاجيل من الطرفين عن الميعاد المحدد للحصـــول على الأموال اللازمة ، وهذا يبين مدى الضغط المالى الذى كان يتعرض له الطرفان حتى يتم الزواج • وفى حالة الاخلال بشروط العقد الخاصة بميعاد العرس من جانب الزوج ، كان يدفع للعروس نفقة عن كل يوم أجل فيها العرس ، لأن العريس يكون مسئولا عن اعالة زوجته(٧٢) •

كما أن التوقيت المفضل لاقامة الأفراح ، كان فى شهور الربيع من مارس الى مايو وشهور الخريف من سبتمبر الى نوفمبر ، أما ما يخص اليوم ، فكان يوم الاربعاء بالنسبة لليهود ويوم الخميس بالنسبة للمسلمين(٧٣) •

وكان الاحتفال بالفرح قبل وبعد زفاف العروس ، فتشير وثائق الجنيزة(٧٤) ان المآدب كانت تقام للرجال والنســـاء فى حجرتين مختلفتين أو فى حجرة واحدة تفصل بســـتارة لكل من عائلتى العريس والعروس • وكان العريس يتحمل نفقات الفرح ، واحيانا أهل العروس •

وعن استعداد العروس فى يوم الزفاف ، نجد أن العروس كانت تقوم بصبغ شعرها بالزعفران(٧٥) وتضع فى يديها وقدميها الحناء ، أما ثوب الزفاف فكان بالنسبة للطبقات الغنية عبارة عن ثوب من الأقمشة الفاخرة ، ويظن أن هذا الثوب كان يصنع من قماش

---

(٧٢) انظر • Op. Cit, P. 114.

(٧٣) انظر • Ibid.

(٧٤) انظر • Ibid

(٧٥) والزعفران ، لعله له لون الحديد المؤكسد أو لون الكركم ، انظر • Dozy, Suppl, I, P. 593.

الشرب(٧٦) ، وكانت العروس تضع على رأسها تاجا مرصعا بالجواهر(٧٧) • ولعل اعداد العروس بهذا الشكل كان يتم فى الحمامات العامة أو حتى فى الدور الخاصة بالأفراح وربما كان يخصص جزء منها لهذا الغرض وهو الجزء الذى يطلق عليه المجلى(٧٨) •

كما كانت العروس تزف فى هودج(٧٩) ، ويطاف بها فى شوارع المدينة وأسواقها ، وكان المدعوون من أقارب العروسين ، فضلا عن اشتراك النصارى فى حضور أفراح المسلمين ، ومما يؤيد مدى الترابط بينهما ليس فقط حضورهم تلك الأفراح ، بل مشاركتهم فى تلك الاحتفالات أثناء زفاف العروس يمشون أمام العروس ويغنون بعبارات قبطية صعيدية ، ويقومون بالغناء فى هذه الأفراح(٨٠) •

ومن التقاليد المألوفة فى الأفراح ، والتى مازالت موجودة حتى فى أيامنا هذه وخاصة فى الريف ، ليلة الحنة ، التى يحضرها أقارب العروسين ، والصينية التى يوضع بها النقود الى جانب تبادل التهانى والهدايا لكلا الطرفين(٨١) •

أما عن حياة الأسرة ، فنجد أن المصادر قد ضنت عن ذكر شىء عنها ، وعن دور الأم المصرية نحو تربية أطفالها والعلاقة بين

---

(٧٦) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٦٦ •

(٧٧) انظر • Op. Cit., P. 116.

(٧٨) المافة ، ٢ ، ص ١٠١ •

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٦٦ ، انظر • لسان العرب ، ٣ ، ص ٢١١ — ٢١٢ •

(٨٠) أبو صالح الارمنى ، ص ١٢٩ •

(٨١) النكت المصرية ، ص ٥٤ ، انظر • Op. Cit.

الأخوات وكذلك بين الزوج والزوجة ، ومع ذلك وجــــدت بعض الشذرات التي تبين الى أى مدى كانت الأم تخاف على أبنائها ، وتحرص على مصالحهم سواء بالنسبة للطبقة الحاكمة أو من عامة الشعب ، وهذا ليس بمستغرب ، لأن الأم منذ الأزل تعتبر مصدر العطف لكل أفراد أسرتها ، كما تلعب دورا هاما في حياة الأسرة بصفة عامة ٠

ولقد استطاعت أم الخليفة المعز ، والتى لا نعرف عنها سوى انها كانت أم ولد(٨٢) ، أن تغير من سياسة ابنها المعز نحو فتح مصر أيام كافور الاخشيدى ، وبذلك تأخرت الحملة التى عزم المعز على ارسالها لمصر(٨٣) ومن المحتمل لو أن المعز قد بعث بحملته التى نوى ارسالها وقدر لها النجاح لتقدم فتح الفاطميين لمصر عدة ســــنوات ٠ كما كانت أم الخليفة الحاكم بأمر الله والتى تدعى آمنة(٨٤) تخشى من سيطرة برجوان على ولدها ، ويبدو أن الحاكم كان يطلع أمه على بعض الأمور المتعلقة به(٨٥) ٠ وكانت الأم تقوم أيضا بدور ايجابى للحفاظ على سلطان ولدها ، وذلك بالطواف وهى متنكرة على الأسواق والمساجد والأربطة لاستعلام الخبر عن ولدها ومدى حب الناس له(٨٦) ٠ كما فعلت أم الوزير الأفضل ٠

أما الأم المصرية ، فكانت هى الأخرى ، تحاول بشتى الطرق أن تدافع عن ولدها ، اذا ما تعــــرض للقهر والظلم فكانت تتودد

---

(٨٢) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٢١ ٠
(٨٣) النجوم ، ٤ ، ص ٧١ ٠
(٨٤) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٢٤ ٠
(٨٥) الكامل ، ٧ ص ١٠٥ ٠
(٨٦) المصدر السابق ، ٣ ، ص ١٥ ٠

وتستشفع له حتى لا يمسه أى ضـــرر(٨٧) . كما كانت المجالس الدينية تدعو الى تكريم الأم والبر بها(٨٨) .

كما أن الأم اليهودية كانت تحترم من جانب الأبناء فيقبلون يديها ويشار اليها بكلمة (ســيدتى) وكانت الأم فى حالات عديدة هى المسئولة عن اختيار التعليم لابنائها وليس الأب(٨٩) .

والعلاقة بين الزوجين تتمثل فى المعاملة الحسنة التى كانت تشترط فى عقود الزواج ، وكان الزوج عندما يسافر يبعث الى زوجته فى القاهرة هدايا(٩٠) ، ومما يشير أيضا الى منزلة الزوجة عند زوجها أنه بعد وفاتها يحزن عليها كثيرا ، وربما رثاها ببعض أبيات من الشعر تدل على تلك المكانة التى تمتعت بها بعض نساء ذلك العصر(٩١) .

أما الوجه الآخر للعلاقة بين الزوجين فيتمثل فى المشاكل ، التى تنشأ بين الزوجين ، ومن أسبابها ضـــرب الزوجة وتقييد حريتها ، وحتى حول المسائل المالية(٩٢) ، وكذلك الخلاف حول الجوارى ، اللاتى يملكهن الزوج ، وهذا يفسر تلك الشروط التى كانت تفرض على الزوج وتتعلق بهذا الشأن(٩٣) .

---

(٨٧) الخطط ، ٢ ، ص ١٩٦ .

(٨٨) المجالس المستنصرية ، المجلس رقم ١٧ ، ص ٨٣ .

(٨٩) انظر . Goitein, Med. Soc, III, P. 240, II, P. 185.

(٩٠) انظر . Goitein, New light on the karim Mirchants, JESHO 1, P. 179.

(٩١) وفيات ، ٥ ، ص ١٣ ، النكت العصرية ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .

(٩٢) انظر . Op. Cit. P. 174.

(٩٣) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

اما عن الاعمال المنزلية ، التى كانت تقوم بها المرأة فى تلك الفترة فعلى ما يبدو لم تكن كثيرة ، مما أعطى المرأة الفرصة للقيام بأعمال أخرى فكان القمح يخزن والخبز يشترى من السوق ، وبصفة عامة كان الطعام بسيطا • ولعل الغسيل والتنظيف لم يكن شاقا ، اذ أنه كان يستعمل نوع من الطين يزيل المواد الدهنية(٩٤) من الملابس ، كما يبدو أن عادة غسيل الملابس وغيره على شاطىء النيل كانت شـــائعة فى ذلك الوقت(٩٥) ، لأنها عادة قديمة منذ عهد الفراعنة • كما كان يوجد فى كل منزل من منازل الطبقة المتوسطة خادمة أو خادمتان لمساعدة الزوجة فى هذه الاعمال •

ومن الطريف أنه كان يوجد أنواع من الأطعمة الشائعة فى أيامنا مثل الأطعمة المجمدة والمحفوظة ، وهذا يدل على مدى التقدم ، الذى كان سائدا فى ذلك العصر • ولقد اعتادت ربة البيت أن تسأل زوجها عن الأنواع ، التى يريدها من الأطعمة فى كل صباح ، حتى تقوم باعدادها له عندما يعود من عمله فى العشاء(٩٦) •

وتجدر الاشارة الى هيئة المنازل ، التى تعتبر المحور الأساسى لحياة المرأة ، فعلى الرغم من أن المظهر الخارجى للدار كان بسيطا كل البساطة ، ويكاد يخلو من النوافذ باستثناء بعض المشربيات فى الغرف العليا فكان المظهر الداخلى للدار يهتم ببنائه من حيث التأنق فى كسوة المنازل بالرخام وغرس الأشجار(٩٧) • وكان كل دار

(٩٤) انظر • Op. Cit, P. 341.

(٩٥) انظر • Ibid, II, P. 500.

(٩٦) انظر Goitein, The main industries of the Meditirtanean, JESHO, IV, P. 194.

(٩٧) انظر • السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضـارتها فى العصر الاسلامى ، ص ١٤٣ — ١٤٤ •

يحتوى على فناءين متجاورين ، الفناء الأول محاط بثلاثة أروقة من جوانبه والرواق يفضى الى قاعة كبيرة تكتنفها حجرتان أو أكثر • وكان الغرض من نظام الدار ذات الفناءين المستقلين وحولهما قاعات ، لاحتجاب النساء عن الغرباء ، حيث يخصص لهن فناء مستقل بملحقاته ، والفناء الآخر لرب الدار والغرباء(٩٨) ، كما كان فى معظم الدور فسقية وحديقة(٩٩) •

ومن هذا نتبين مركز المرأة فى الأسرة ، من حيث احترامها وتقديرها وتامينها ماديا قبل الزواج وبعده •

---

(٦٨) انظر . على بهجت ، حفريات الفسطاط ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٢ ، حورية عبد المجيد سلام ، الحياة الاجتماعية فى الفسطاط حتى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير ١٩٧١ ، ص ٤٠ •

(٩٩) سفرنامة ، ص ٥٨ ، انظر . كمال سامح ، العمارة الاسلامية ، ص ١٢٥ •

أدوات الزينــة

١ ـ الملابس

(أ) أغطية الرأس . (ب) الملابس الداخلية .

(هـ) الأغطية والحجب .

٢ ـ الحــلى

(أ) الأقراط . (ب) الخـــواتم .

(حـ) العقود والأساور .

٣ ـ المكاحل والعطور ٤ ـ المرايا والأمشاط .

٥ ـ الحمـــامات . ٦ ـ تسريحات الشعر .

لقد شمل الترف كل نواحي الحياة في مصر الفاطمية ، وانعكس هذا على أدوات الزينة ، التي هي وثيقة الصلة بالترف والرفاهية ، ومنها الملابس والحلي والمكاحل والعطور وغيرها ، مما أقبلت عليه المرأة في تلك الفترة ٠

والملابس كاحدى هذه الأدوات ، تعتبر مرآة للتطور الحضاري لأي عصر من العصور ، اذ أنها تلقي الضوء على مستوى الحياة الاقتصادية ، وذلك من خلال الأقمشة المستعملة فيها ، ونجد ان الأنواع التي استعملت في العصر الفاطمي في ملابس النســـاء تدل على ما وصلت اليه البلاد من تقدم ورقي ٠

وقبل الخوض في أنواع تلك الأقمشة ، لابد من القاء الضوء على المصانع ، التي كانت تقوم بانتاجها ، والتي كانت تتبع الخلافة الفاطمية ، وكان يطلق عليها « دار الطراز »(١) وتوجد في تنيس ودمياط والاسكندرية وكان الموظف ، الذي يقوم بالاشراف عليها يطلق عليه « ناظر الطراز »(٢) وكان يتولى هذه الوظيفة الأعيان من

---

(١) الخطط ، ١ ، ص ٤١٣ ، ٤٦٩ ، صبح الأعشى ، ٣٠ ، ص ٤٩٤ ، انظر - ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٦ ٠

(٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٩ ــ ٤٧٠ ٠

ارباب العمائم والسيوف ، وكان يقيم فى مدينة دمياط وتنيس(٣) ولعله نقل بعد ذلك الى القاهرة واقام فى منظرة الغزالة التى تحولت منذ وزارة الأفضل بن بدر الجمالى الى مقر لناظر الطراز(٤) ٠

كما كان هناك دار تعرف « بدار الديباج »(٥) كانت فى الأصل دارا لوزير الخليفة العزيز يعقوب بن كلس ثم تحولت بعد وفساته الى مصنع حكومى تابع للخلافة ٠

اما عن الأقمشة فمنها الديباج(٦) وهو قماش لامع أو ملون رقيق يعتبر تقليدا للحرير الصينى والسقلاطون(٧) ، وهو نوع آخر من الحرير الموشح بالذهب ، والخز(٨) وهو نسيج ناعم يصنع من الحرير ، أما الشرب(٩) فهو نسيج ناعم تتداخل فيه خيوط حريرية أو مذهبة ، والقصب الأبيض والملون(١٠) ، وهو قماش مطرز لا ينتج الا فى كل من مدينة دمياط وتنيس ، والبوقلمون أو الأبوقلمون(١١) ، وهو قماش يتغير لونه فى ساعات النهار ، هذا فضلا عن القماش الدبيقى ، الذى اشتهرت مصر بصناعته أيضا ، والذى ينتج فى مدينة دبيق أو دابق التى تقع قريبا من دمياط(١٢) وهو نوع من

---

(٣) نفسه ٠
(٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٩ ، انظر ٠ كنوز الفاطميين ، ص ١١١ ٠
(٥) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٤ ٠
(٦) انظر ٠ Dozy, Suppl, I, P. 121.
(٧) انظر ٠ Ibid, P. 663.
(٨) انظر ٠ Ibid, P. 367.
(٩) انظر ٠ Ibid, P. 740.
(١٠) سفرنامة ، ص ٣٨ ٠
(١١) نفسه ٠
(١٢) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٥ ، انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٢ ٠

القماش المزركش ،وكانت الملابس المصنوعة منه غالية الثمن(١٣) .

وفيما يخص الملابس التى شاع استعمالها بين نساء تلك الفترة فكانت كثيرة وتتكون بصفة عامة من غطاء الرأس بأشكاله المتنوعة والملابس منها الداخلية مثل السروال والقميص ، ثم الثوب وأخيرا الغطاء الخارجى ، الذى تستعمله المرأة عند الخروج وكذلك الحجب ، التى تضعها المرأة على وجهها فضلا عن ذلك الملابس الخاصة بالمنزل والملابس الأنيقة التى ربما تميزت بها الطبقات العليا من المجتمع .

ومن المؤكد أن تختلف قيمة هذه الملابس من امرأة الى أخرى حسب مكانتها فى المجتمع ، فمثلا المرأة الفاطمية ساكنة القصور تختلف ملابسها من حيث القيمة عن المرأة المصرية ، وذلك بما يتواءم مع عظمة الخلافة ، فنجد احدى زوجات الخليفة المسـماة الجهة العالية(١٤) كانت ملابسها تتكون من خمس عشرة قطعة وكلها مطرزة بالذهب ، أما النساء الأقل أهمية فكانت ملابسهن عبارة عن حلل مذهبة ، كما أن أقل طبقـة فى القصـر ، ومن ما يطلق عليهن « المسـتخدمات » فكان لهن حلل مذهبة أو حريرية كل حسـب درجتها(١٥) ، وتجدر الاشارة أن ملابس النساء كان يطلق عليها بصفة عامة كلمة « حلة » .

أما عن المرأة المصرية ، فلابد أنه كان هناك اختلاف بين ملابس نساء الطبقة الثرية والمتوسطة والفقيرة ، وذلك من حيث الأقمشة المستعملة وكذلك الاهتمام بتطريزها بالذهب ، وترصيعها باللؤلؤ ، هذا الى جانب ما يميز ملابس الذميات عن المسلمات ، عموما كانت

---

(١٣) انظر . Ashtor, Le Coût de la vie JESHO, II, P. 62.

(١٤) المصدر السابق ، ص ٤١٠ .

(١٥) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٦ .

ملابس النســاء بصــفة عامة تتميز بأنها كانت أغلى من ملابس الرجال(١٦) ·

وفيما يخص أغطية الرأس التى انتشرت فى العصر الفاطمى بالنسبة للمرأة منها :

العصــابة :

وهى عبارة عن شال أو قطعة من القماش على شكل مثلث تلف حول الرأس ويكون طرفاها للوراء(١٧) وكانت العصائب تزركش ويكتب عليها بالخيوط الذهبية ويوجد مثال لها على طبق من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظ بمتحف الفن الاسلامى(١٨) بالقاهرة ، الذى يمثل سيدة ترتدى هذا النوع من العصائب كما كانت العصائب تزين بأبيات من الشعر ، اما تكون غزلا فى صاحبتها او مجرد شعر يقال فى العصابة نفسها(١٩) أما عصائب نساء الطبقة الحاكمة أو الغنية فكانت تكلل بالدر والجواهر ، ولقد تسببت عصابة فى عزل أحد القضاة عن منصبه ، كانت قد سرقت أيام المجاعات من القصر ، ثم ظهرت عليه بعد توليه القضاء(٢٠) · وهذا مما يدل على أن العصابة كانت تستعمل للرجال والنساء ، أما عن سعرها فكان ما بين اربعة وخمسة دنانير(٢١) ·

---

(١٦) انظر · Op. Cit. P. 62.

(١٧) انظر · Dozy, Vêt. P. 300.

(١٨) انظر · أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ٢٣ ، سجل رقم ١٤٩٢٣ ·

(١٩) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ١٢٤ ، ٣٤٣ ·

(٢٠) رفع الاصر ، ٣ ، ورقة ٩٠ ·

(٢١) انظر · Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix JESHO, VI. P. 171.

العمامة النســـائية :

ولقد عرف العرب العمامة قبل العصر الفاطمى ، نكان الرسول (ص) يتعمم بعمامة اسمها السحاب(٢٢) • ثم أصبح لبس العمامة مألوفا بعد ذلك ، وكانت تستعمل للرجال والنساء ، الا أنه يبدو أن عمامة المرأة تختلف عن عمامة الرجل ، وان كانت العمامة بصــفة عامة عبارة عن قطعة من القماش تلف حول جزء من الازار ، الذى كان يغطى شعر المرأة(٢٣) ويرتبط بالعمامة أيضا العرضة ، التى تعتبر على ما يظهر شالا أو قطعة من نسيج تلف حول العمامة(٢٤) • واقد وصل سعر العرضة البسيطة دينارا ، أما العرضة المصنوعة من القماش الدبيقى ، فلقد وصل سعرها خمسة دنانير(٢٥) •

ولقد عرفت العمامة باشكال متعددة فهى أحيانا تعقد على الرأس فقط ، وأحيانا أخرى يتدلى منها أجزاء على الظهر ، كما كانت تنتهى أحيانا بجزء صغير يتدلى خلف الرأس(٢٦) • وكانت العمامة ترصع بالجواهر والدر • ولقد وجد من هذا النوع بعض العمامات فى خزائن السيدة رشيدة بنت المعز التى توفيت عام ٤٤٣/ ١٠٥١(٢٧) ولم يقتصر استعمال هذا النوع على المرأة الفاطمية ، بل وجدت بعض العمـــامات فى قوائم الجهاز الخاصـــة بعرائس الفسطاط ، صنعت من الأقمشة الفاخرة وحليت بالذهب واللؤلؤ ولقد

---

(٢٢) انظر • Op. Cit. P. 305.

(٢٣) انظر • Ibid.

(٢٤) انظر • Dozy, Suppl, II, P. 113.

(٢٥) انظر • Ashtor, Histoire des prix, P. 168.

(٢٦) انظر • محمود ابراهيم حسين ؛ التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى رسالة ماجستير فى الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٨ •

(٢٧) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ •

وصل سعر العمامة اربعة دنانير وبعضها وصل سعره الى خمسين دينارا وان كان هذا السعر مبالغا فيه(٢٨) ·

الطـــــاقية :

وهي تعني كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة ولعلها من اصل فارسي(٢٩) ويبدو أن استعمالها كان الى حد ما نادرا ، وان كانت تظهر مع الملابس التى تضمنتها قوائم الجهاز بالجنيزة ولقد وصل سعرها ما بين دينار ودينارين(٣٠) ·

البخنق :

وهو من أغطية الرأس الصغيرة الحجم(٣١) ، والتى شـــاع استعمالها فى ذلك الوقت ، ويبدو أنه كان من أغطية الرأس الرخيصة. فكان الواحد منه يساوى نصف دينار(٣٢) والبخنق فى الغالب عبارة عن خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها وتخيط معها خرقة على موضع الجبهة ويقال تبخنقت ، وبعضهم يسميه المحنك ، والبخنق يغطى العنق والصدر(٣٣) ·

الـــكوفية :

وهي عبارة عن شال مربع طوله يساوى عرضه(٣٤) ، أما عن أشكالها ، فهى كانت اما تعقد من الجانب ويتدلى طرفاها على

---

(٢٨) انظر . Op. Cit. P. 167.

(٢٩) انظر . Dozy, Vêt P. 220.

(٣٠) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histore des prix, P. 173.

(٣١) انظر . Op. Cit. P. 55.

(٣٢) انظر . Op. Cit. P. 171.

(٣٣) لسان العرب ، ١١ ، ص ٢٩٤ .

(٣٤) انظر . Dozy, Vêt, P. 391.

الظهر أو تنسدل على الكتفين أو تغطى الرأس وتلف حول الوجه وتغطى الصدر(٣٥) ٠

التـــــاج :

وهو نوع من أغطية الرأس ، والتاج كلمة فارسية الأصـــل تستعمله المرأة للزينة ويكون عبارة عن طاقية عالية(٣٦) ٠ وربما كانت تضعه العروس على رأسها يوم الزفاف ، كما يرمز التاج للسلطة ، ولقد كان الخليفة الفاطمى يضع على رأسه تاجا عبارة عن عمامة تسمى « التاج الشريف »(٣٧) وكان لها شدة خاصة تعرف « بشدة الوقار »(٣٨) ٠ وكان هذا التاج مرصعا بجوهرة تعرف باليتيمة ، كما أن تيجان النساء هى الأخرى كانت تكلل بالدر وترصع بالجواهر ، ويبدو انها كانت خاصة بنساء الطبقة الحاكمة ، والطبقة الارستقراطية من المجتمع ٠ ويوجد بمتحف الفن الاسلامى جانب من صحن ذى بريق معدنى يزين برسم ســـيدة تلبس تاجا كبيرا ، وبجانب الرسم عبارة « عمل مسلم للسيدة المولات »(٣٩) ٠

الخمـــــار :

وهو عبارة عن غطاء تغطى به المرأة رأســـها ويلتف حول عنقها(٤٠) ، ولكنه يبدو أن استعماله كان نادرا ولقد صور على

---

(٣٥) انظر ٠ المرجع السابق ، صفحات ٦٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ٠

(٣٦) انظر ٠ Op. Cit., P. 100.

(٣٧) صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٤٧٢ ٠

(٣٨) الخطط ، ١ ، ص ٤٧٢ ، انظر ٠ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٦٥ – ٦٦ ٠

(٣٩) رقم السجل ١٧ – ٢٢٧٦٥ ، ٤ – ٢٢٨١٢ ، انظر ٠ عبد الرءوف يوسف ، فسلة من كتاب القاهرة ٠

(٤٠) انظر ٠ Dozy, Vêt, P. 169.

تصاوير الفاطميين(٤١) ، ومنه لراقصة ترتدى الخمار كما اسلفنا ، وهذا لا يعنى انه كان مقصورا على الراقصات ، فلقد ورد ذكره أيضا فى قوائم الجهاز بالجنيزة ووصل سعره نصف دينار(٤٢) ٠

المنـــــديل :

وكان يستعمل أحيانا كشال للعمامة ، أو يستعمل كحزام كما كان يستعمل كغطاء للرأس(٤٣) ٠ وتلفه المرأة حول رأسها ويعقد من الجانب ، أو يغطى الرأس ويتدلى فى شكل زخرفى ، كما تزدان جوانبه بشريط من الزخرفة(٤٤) ٠ ولقد بلغ سعر المنديل من القماش الدبيقى نصف دينار ، أما النوع الذى تحلى حوافه بالريش ويطلق عليه « مريش » يبلغ سعره ، وهو أيضا من القماش الدبيقى ثلاثة دنانير وان كان أقصى سعر وصل له هو عشرة دنانير(٤٥) ٠

المعجـــــر :

وهو نوع آخر من أغطية الرأس ، ولقد ارتدته كل من المرأة الفاطمية والمصرية ، وهو عبارة عن غطاء يمتد من الرأس حتى يصل الى القدم(٤٦) ٠ ولم يقتصر ارتداؤه على السيدات ، بل كان يرتديه الفتيات الصـــغيرات أيضا والمعجر الخاص بالمرأة الفاطمية يطلق

---

(٤١) انظر ٠ محمود ابراهيم حسين ، التصــوير الاســلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٢٢١ ٠

(٤٢) انظر ٠ Ashtor, Matériaux pour l'histori des prix I, P. 170.

(٤٣) انظر Op. Cit, P. 418; Suppl, II, P. 653.

(٤٤) انظر ٠ المرجع الســابق ، ص ٦٥ ، ١٦٠ ٠

(٤٥) انظر ٠ Ashtor, Histoire des prix, P. 158.

(٤٦) انظر ٠ Dozy, Vêt, P. 297 — 298.

عليه « معجر مذهب موشح مجاوم مطرف »(٤٧) أى معجر يطرز بالذهب وبالرسومات وله طرف • وكان هذا المعجر خاصا باحدى زوجات الخليفة المسماة (الجهة العالية) ولقد وصل سعره خمسين دينارا اما متوسط سعر المعجر بالنسبة للمرأة المصرية فكان ما بين دينارين وثلاثة دنانير(٤٨) •

اما عن الملابس ، التى كانت ترتديها المرأة ، فكانت تتكون بصفة عامة من السـروال والقميص والثوب والأغطية والحجب باشكالها المختلفة(٤٩) •

السـروال :

وهو مشتق من الكلمة الفارسية (شلوار) ، وكان يستعمل للرجال والنساء(٥٠) • ولقد اختلفت اشكاله فهو أحيانا ضيق ويصل الى القدم وأحيانا واسع(٥١) ، ويبدو أن السراويل التى ارتدتها المرأة فى تلك الفترة كانت واسعة للغاية ، حتى تدخلت الدولة فى تحديد أشكالها ، ومنعت لبس السـراويل الواسـعة(٥٢) • وكان السروال يلبس على الجسد ويربط بالتكة ، وكان هناك نوع منه

---

(٤٧) الخطط ، ١ ، ص ٤١ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٦ •

(٤٨) انظر • Op. Cit. P. 173.

(٤٩) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٢٨ •

(٥٠) انظر • Op. Cit. P. 208.

(٥١) انظر ، محمود ابراهيم حسين ، التصـوير الاسـلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٢٢٤ •

(٥٢) ابن ميسر ، ص ٤٦ •

يسمى المئزر وصل سعره حوالى نصف دينار(٥٣) وهو من قماش الحرير وإن كان سعر السروال عادة يصل الى دينار(٥٤) .

القميص :

وهو يلبس فوق السروال ، وكان يصنع من اقمشة رقيقة ، كما كانت ملابس نساء القصر تتضمن قميصا يسمى دراعة(٥٥) . وإن كنا لا نعرف شيئا عن اشكال القمصان ، التى ترجع الى تلك الفترة . ولكن يبدو أن اكمامها تتميز بالاتساع ، اذ أنه قد ظهر فى العصر المملوكى اللاحق لتلك الفترة نوع من القمصان أطلق عليه اسم « بهطلة »(٥٦) كانت اكمامه متسعة جدا بحيث تدخلت الدولة لتمنع النساء من ارتداء هذا النوع من القمصان ، ولقد وصل سعر القميص المصنوع من الحرير فى العصر الفاطمى حوالى خمسة عشرة دينارا(٥٧) .

الثوب :

وهو بصفة عامة عبارة من رداء واسع ومسترسل(٥٨) ، ويلبس فوق الملابس الداخلية التى ذكرت آنفا ، أما عن أشكال الثوب ، التى شاعت فى العصر الفاطمى ، فكانت المرأة فى الغالب تلبس ثوبا

---

(٥٣) انظر . Ashtor, Histoire des prix, P. 162.

(٥٤) انظر . Ashtore, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 151

(٥٥) الخطط ، ١ ، ص ٤١٠ ؛ انظر . ماجد ، الحضـارة الاسلامية ، ص ١١٦ ، ماجد . نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٧ . Dozy, Suppl, I, P. 434; Vêt, P. 177.

(٥٦) انظر . ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٣ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، ص ١٧٢ .

(٥٧) انظر . Ashtor, Le Coût de La vie, P. 68.

(٥٨) انظر . Op. Cit., P. 108.

طويلا يصل الى القدم ، ويكون احيانا له ذيل طويل ، وكذلك تلبس القصـــير ، وهو فى المعتــاد يلبس بين ثوبين ويطلق عليه ثوبا «وسطانى»(٥٩) • كما يكون الثوب واسعا وتتعدد طياته حتى تعطيه الاتساع من اسفل ، او يكون ضيقا محبوكا على الجسم ، كما يفتح الثوب من الجانبين ، ولعل هذا النوع كان خاصا بالراقصات حتى يساعدهن على تأدية الحركات الراقصة •

اما عن شكل الثوب من اعلى فاما يكون له حافة عالية او حتى له فتحة توازى الرقبة (٦٠) ، واكمام الثوب كانت متسعة قليلا • وهى تتشابه الى حد كبير مع الأكمام الواسعة نسبيا فى وقتنا هذا ، ولعل الاهتمام بزخرفة الثوب والملابس بصفة عامة كانت تختلف من طبقة الى أخرى •

وكانت هذه الزخرفة عبارة عن رسومات نباتية تزين الذيل والأكمام او يحلى بخيوط مذهبة أو حتى كنار من الذهب ، وكان يغلب على الألوان المستعملة فى الثوب اللون الوردى والبنفسجى أما عن اسعاره ، فلقد كان الثوب البسيط يبلغ دينارين والأنيق من ثلاثة الى أربعة دنانير(٦١) •

الأغطيـــــة :

ولما كانت المرأة يتحتم عليها عندما تخرج من منزلها أن تلف بغطاء ، فنجد أن هذه الأغطية قد تنوعت ومنها الملاءة وهى عبارة عن غطاء يتكون من قطعتين من القماش ويكون قماش الملاءة مرسوما

---

(٥٩) انظر • ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٧ •

(٦٠) انظر • محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، صفحات ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ١٥٣ •

(٦١) انظر • Ashtor, Histoire des prix, P. 178.

على هيئة مربعات ملونة(٦٢) • أما الازار ، فهو عبارة عن رداء واسع(٦٣) ، ولعل استعماله كان قليلا ، ولكن مما يؤيد شيوعه ، أنه كان يشار اليه كرمز للابس المرأة ، فكان المصريون عندما يتقدمون بشكوى الى الخليفة ، يصورون امرأة بالجريد أو الورق ويلبسونها ازارا(٦٤) • هذا فضلا عن اللفافة(٦٥) والملحفة(٦٦) وهما أيضا من الأغطية ، التى شاع استعمالها ، وهما عبارة عن غطاء كبير يغطى جسم المرأة عند الخروج ، وعموما هذه الأغطية تغطى الرأس والصدر والقدم •

أما عن اسعار هذه الأغطية ، فلقد كانت تتراوح بين دينار وثلاثة دنانير(٦٧) •

أما عن الحجاب الذى كانت تضعه المرأة على وجهها عند الخروج من المنزل ، فلقد عرف منذ أن فرض النبى النقاب على زوجاته حتى يميزهن عن بقية النساء المسلمات ، اللاتى بدورهن وضعن النقاب ليقلدن نساء النبى • ثم انتشر النقاب بعد ذلك بين معظم الشعوب ، التى فتحها المسلمون(٦٨) ، ومنها مصر • ولقد عرفت المرأة النقاب فى العصر الفاطمى ولم يقتصر على المرأة

---

(٦٢) انظر • Dozy, Vêt, P. 408; Ibdi, P. 162.

(٦٣) انظر • Ibid. P. 24.

(٦٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ ، النجوم ، ٤ ، ص ١٨١ •

(٦٥) انظر • Dozy, Suppl, II, P. 541.

(٦٦) انظر • Op. Cit, P. 401.

(٦٧) انظر • Ashtor, Histoire des prix, P. 173.

(٦٨) انظر • Ency of Isl. (art Hidjab), III, P. 359 — 361.

ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٦ •

المسلمة ، بل وضعته المرأة الذمية بدليل وجود بعض أنواع للحجب فى قوائم الجهاز الخاصة بالمرأة اليهودية(٦٩) .

كما استعملت المرأة الفاطمية الحجاب ، فلقد كانت ست الملك تضع الحجاب عند الخروج من القصر . ولكن يبدو أن الحجاب لم يكن شائعا بين كل المصريات ، وذلك لأن الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر أمرا فى عام ٣٩٥/١٠٠٥ بأن لا تكتشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة(٧٠) ، وهذا يبين أن بعض النساء قد تخلين عن الحجاب وخرجن الى الطريق سافرات .

ومن الحجب التى عرفتها المرأة القناع أو المقنعة أو التقنيعة(٧١) وهو عبارة عن قطعة من القماش تضعها المرأة على رأسها وتلف بها وجهها ويثبت تحت الازار ، وكان يصنع من القماش الموصلى(٧٢) (الموسلين) . أما النقاب فكان يغطى الوجه ايضا ولكن به فتحتان للعينين(٧٣) .

هذا الى جانب نوع آخر من الحجب يسمى « الشعرية » وهو حجاب صغير من شعر الخيل الأسود وله فتحتان للعينين ايضا ، وان كان استعماله نادرا فى تلك الفترة(٧٤) . ويبدو أن أسعار هذه الحجب كانت متشابهة ، فلقد بلغ سعر كل منها حوالى دينار(٧٥) .

---

(٦٩) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoirl des p.rix, P. 170.

(٧٠) أتعاظ ، ٢ ، ص ٥٣ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٣ .

(٧١) انظر . Dozy, Vêt, P. 375, 377.

(٧٢) وهو قماش من حرير أو قطن اشتق اسمه من اسم مدينة الموصل (انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٢) .

(٧٣) انظر . Ibid. P. 424.

(٧٤) انظر . Ibid, P. 226, Suppl, I, P. 763.

(٧٥) انظر . Ashtor, Histoire des prix, P. 172.

أما فيما يخص الملابس ، التى ارتدتها المرأة داخـــل المنزل فمعلوماتنا عنها قليلة ، ومنها الغلالة ، وهى عبارة عن رداء واسع يغطى كل الجسم(٧٦) ، ولقد كانت تصنع من الأقمشة الرقيقة وخاصة من الشرب(٧٧) والدبيقى ، حتى تكشـــف عن جمال المرأة ، ولذا حرصت العرائس على اقتنائها ضمن قطع الملابس ، التى كانت تتضمن جهازهن(٧٨) ، كما كان هناك نوع آخر من أغطية الخروج وهى الملحفة ، ولكنها تستعمل للنوم ، لذا كان سعرها أقل من ســـعر الملحفة ، التى تلبسها المرأة عند الخروج(٧٩) .

والملابس الأنيقة ، التى اســـتعملتها المرأة الى جانب هذه الأنواع البسيطة ، منها الخلعة ، فعلى الرغم أن الخلع كانت توزعها الخلافة على موظفيها من الذميين وزوجاتهم(٨٠) الا أننا نجد الخلعة موجودة فى قوائم الجهاز ، كما أنها تقدر بثمن ، على الرغم أنها مهداه من الخلافة ، ولعل ذلك مرجعه أن كل شىء كان يدون فى القائمة كان يوضع له ثمن ، وكانت الخلعة تتكون من ثوب ومعجر وعمامة وتقدر بثمن مرتفع وصل الى ستين دينارا(٨١) ، وكذلك الحلة التى تعتبر بمثابة ملابس كاملة ، ولعلها كانت من ملابس الطبقة الحاكمة والغنية فى تلك الفترة وكانت تتميز بأن ســـعرها مرتفع نسبيا(٨٢) .

---

(٧٦) انظر . Op. Cit., P. 319.

(٧٧) انظر . Op. Cit. P. 319.

(٧٨) انظر . Goitein, Med. Soc, III, P. 167.

(٧٩) انظر . Ibid. P. 166; Dozy, suppl, II, P. 519.

(٨٠) انظر . Mann. The Jews in Egypt, II, P. 267.

وكان يوجد ســوق يســمى سوق الشرابيشيين فى الدولة المملوكيــة يباع فيه الخلع والتشاريف عنه (انظر ، الخطط ، ٢ ، ص ٩٨ ــ ٩٩) .

(٨١) انظر . Ashtor, Histoire des prix, P. 166.

(٨٢) انظر . Ibid

اما ارجل النساء ، فلقد كان يلبس فيها نوع من الخفاف ، وكان لها سوق يباع فيه الخفاف(٨٣) ، ولقد امر الخليفة الحاكم بعدم صنع الخفاف حتى يعوق خروج النساء كما يضمن تنفيذ اوامره الخاصة بعدم خروجهن(٨٤) • كما استعملت المرأة القبقاب ، وعلى الرغم أنه ليس لدينا معلومات عن أشكاله ، ولكننا نستطيع أن نتعرف عليه من خلال النماذج الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة والتى ترجع الى العصر المملوكى فالقبقاب كان يصنع من الخشب وله قوائم مرتفعة ويرصع بالصدف أو العاج أو الابنوس ويزين برسوم(٨٥) • ويبدو أن القبقاب كان سلاحا تستعمله النساء للقتل ليس فقط فى العصور اللاحقة ولكن حدث ايضا فى العصر الفاطمى أن استخدم نساء الخليفة الظافر القباقيب فى قتل نصر بن عباس الذى كان سببا فى قتل الخليفة(٨٦) • هذا الى جانب الزرابيل والتى مفردها زربول ، وكانت تلبسها الجوارى(٨٧) •

اما فيما يخص ملابس نساء أهل الذمة والتى تختلف عن ملابس المسلمات فى بعض التفاصيل الجزئية لتميزهن فكانت المرأة المسيحية تلبس ازارا لونه أزرق ، واليهودية ذات لون أصفر ، كما كان لابد من أن يشد هذا بحزام أو زنار(٨٨) ، وذلك يتضح من خلال ملابسهن

---

(٨٣) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ وسوق الاخفافيين يوجد بجوار سوق البندقانيين يباع فيه خفاف النسوان ونعالهن ، انشاه الأمير يونس النوروذى داود فى القرن الثامن الهجرى •

(٨٤) انظر • احمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ٤٤ •

(٨٥) نفسه •

(٨٦) النجوم ، ٥ ، ص ٣١٠ — ٣١١ •

(٨٧) نفسه •

(٨٨) ابن الاخوة ، ص ٤٣ ، انظر • احمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، ص ١٧٩ •

التى ذكرتها المراجع . كما كانت المرأة الذمية تلبس فى رجليها السرموزة ، وهو لفظ فارسى ، معناه رأس الخف(٨٩) ، ولقد كان يلبس فى عصر الخليفة الحاكم الذى أمر بأن تكون واحدة حمراء والأخرى ســـوداء ، كما منع المرأة الذمية من اتخاذ نعال كنعال المسلمات(٩٠) .

الحلــى :

أما الحلى فلقد اقبلت عليها المرأة منذ العصور القديمة ، ولقد اشتهرت مصر الفرعونية بصناعة الحلى ، وعرفت المرأة الاقراط والأساور والتيجان والعقود ، ولم يكن التزين بهذه الأنواع وقفا على النساء ، بل شاركهم فى ذلك الرجال أيضا(٩١) ، ولقد استخدم فى صناعة الحلى معدنا الذهب والفضة وكانت تطعم بالأحجار الكريمة واستمر ذلك حتى العصور الاسلامية وان تميزت الحلى الفاطمية بنوع من الزخارف المخرمة التى تشبه شكل الدانتيلا والأسلاك الذهبية الممتدة التى تكون أشكالا هندسية وتزينها كذلك برسوم طيور بالمينا متعددة الألوان(٩٢) .

وهناك بعض القطع المختلفة المحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة والتى عثر عليها فى الفسطاط وترجع للعصر الفاطمى ، هذا الى جانب ما تضمنته قوائم الجهاز بوثائق الجنيزة ، فضلا عما ذكرته المصادر التاريخية لبعض القطع ، وان كان وصفها ليس دقيقا لأنه ليس من السهل رؤية هذه التحف لأنها كانت محفوظة فى خزائن ، أو لأنها كانت لدى الأميرات وأن ما كتبوه ليس من مصادر لها دراية

---

(٨٩) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٩٠) انظر . ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ، ص ١٣٤ .

(٩١) انظر . عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، ص ٤٩ .

(٩٢) انظر . م.س ديمـاند ، الفنـون الاسـلامية ، ص ١٥٣ ، أحمد ممدوح حمدى ، ص ١٢٢ .

بصناعة الحلى والجواهر ، والقطع التى ترجع لهذه الفترة ليست كثيرة ، وذلك يرجع الى أن الحلى تصنع من المعادن والجواهر ويعاد سبكها وأن قيمتها تبعث على التصرف فيها وقت الأزمات(٩٣) ، ويبدو أن المرأة فى العصر الفاطمى كانت تقتنى قطعا كثيرة من الحلى وربما عدة قطع من النوع الواحد ، وذلك بالنسبة للطبقات الغنية والفقيرة على السواء ، وان اختلفت من حيث القيمة .

وكانت الطبقة الحاكمة تهتم أيضا باقتناء قطع الجواهر والتحف، وليس أدل على ذلك من وجود خزانة بالقصر الفاطمى باسم « خزانة الجوهر والطيب والطرائف »(٩٤) حيث يحتفظ فيها الخلفاء بالكنوز والتحف والجواهر الفريدة وذلك راجع الى اهتمام الخلفاء أنفسهم بجمع الطرائف والتحف النادرة التى تدل على ثراء الخلافة وعظمتها .

ومن أهم أنواع الحلى ، التى أقبلت عليها المرأة فى تلك الفترة :

الاقراط :

ولبس الاقراط فى الأذن ، يعتبر عادة قديمة ، عرفها الشرقيون والقرط بصفة عامة يتخذ شكل حلقة أو دلاية(٩٥) . أما الاقراط التى شاع استعمالها فى العصر الفاطمى ، فيغلب عليها الشكل الهلالى أو الاسطوانى ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة(٩٦) عدة

---

(٩٣) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٧ .

(٩٤) عنها انظر بالتفصيل ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٤ ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٩٥) انظر . عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، ص ٤١ .

(٩٦) أرقام ١٥٥٦٨ ، ١٣٢٤٨ ، ١٤٧٣٨ .

أقراط ترجع الى تلك الفترة منها قرط من الذهب مستدير الشكل وهو مزين بشرط مزخرف بأسلاك متشابكة ، وأسفل هذا الشريط طائران متقابلان ، ويزين جسم الطائرين زخارف محببة وبينهما ثلاث دوائر ، كما يتدلى من القرط خرزة من الزجاج محاطة بعدد من اللآلىء الصغيرة(٩٧) • وعلى الرغم أن الاقراط كانت تصنع فى الغالب من الذهب ، الا أنه وجدت أقراط من الفضة أو الفضة المطلية بماء الذهب وكانت الفتيات الموسرات يحضرن فى جهازهن أقراطا من الذهب المحلاة باللؤلؤ ، والذى وصل سعره فى المتوسط خمسة دنانير(٩٨) •

الخـــــــواتم :

وشاع استعمال الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالفصوص فى تلك الفترة ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة(٩٩) مجموعة من الخواتم الذهبية بعضها محلى بفصوص أو مزين بكتابات كوفية • منها خاتم من الذهب به فص من العقيق الأحمر مثبت فى اطـــار بيضاوى وأطراف القاعدة الذهبية محلاة من الجانبين برسم بارز لأرنب •

ولقد تميزت الخواتم ، التى أخرجت من القصر الفاطمى أيام الشدة العظمى ابان خلافة المستنصر ، بأنها مربعة الشكل وللخاتم ثلاثة فصوص أحدهم زمرد والآخران من ياقوت(١٠٠) • هذا الى جانب عدد كبير من الخواتم الذهبية والفضية •

---

(٩٧) رقم ١٣٢٤٥/١ •

(٩٨) انظر • Ashtor, Histoire des prix, P. 220.

(٩٩) سجل رقم ٣٨ ، ١٥٦٤٥ ، ١٥٧١٤ ، ١٦٤٥٧ ، ١٦٤٥٥ •

(١٠٠) الخطط ، أ ، ص ٤١٤ •

وبلغ سعر الخاتم البسيط فى تلك الفترة سواء المصنوع من الذهب أو الفضة دينارا ، اما الخاتم المحلى بفصوص من الأحجار الكريمة كالفيروز والعقيق ، فقد بلغ سعره خمسة دنانير(١٠١) ٠

العقـــــود :

وهى تعتبر من القطع الهامة ، التى اقتنتها المرأة ، لارتفاع اثمانها، مما يلجىء المرأة الى التصرف فيها اثناء الأزمات الاقتصادية، مثلما حدث أيام المجاعات فى العصر الفاطمى(١٠٢) ، وذلك يبين أن المرأة كانت تقتنى الحلى للزينة وكذلك للتصرف فيه فى أوقات الشدة ، وهذا التقليد مازال شائعا حتى يومنا هذا ٠

والعقد فى الغالب يتكون من حبات صغيرة ربما تكون من اللؤلؤ أو من الجواهر الأخرى ، ولقد صور العقد فى بعض التصاوير الفاطمية ، وكان أحيانا مستديرا يوازى الرقبة(١٠٣) أو عبارة عن حبات مختلفة الألوان من الذهب والجوهر ويتدلى منه عدة دلايات من الذهب(١٠٤) ٠ ولقد كان بالقصر الفاطمى عقد من الجـــوهر بلغ سعره حوالى ثمانين الف دينار ، كان قد انتهب أيام الشدة المستنصرية وثورات الجند(١٠٥) ٠

---

(١٠١) انظر ٠ Op. Cit. P. 210.

(١٠٢) اغاثة ، ص ٢٥ ٠

(١٠٣) انظر ٠ محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٨٣ ، ٨٧ ٠

(١٠٤) انظر ٠ عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، ص ٨٦ شكل ١٥ ٠

(١٠٥) الخطط ، ١ ، ص ٤١٤ ٠

وهنـــاك عقد من الذهب محفوظ فى مجموعة (Carraud) بمتحف قصر Baglou فى مدينة فلورنسا يظن أنه من العصــــر الفاطمى(١٠٦) ٠

وكان سعر العقد يختلف حسب المعدن المصنوع منه ، فالعقد المصنوع من الذهب وصل سعره خمسة دنانير أما العقد المصنوع من الكهرمان وهو من الأحجار الكريمة فقد بلغ سعره خمسة عشــر دينارا(١٠٧) هذا فى حين وصل عقد أيام المجاعات فى عهد المستنصر ألف دينار باعته امرأة بثلاثمائة دينار(١٠٨) ٠

الاســـــاور :

وتتميز الاساور ، التى ترجع الى تلك الفترة والمحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة(١٠٩) أنها مصنوعة من الذهب والسوار عبارة عن قطعة واحدة مجوفة ومزينة بمثلثين متقابلين بهما أفرع نباتية ملتوية ، والسوار مزين أيضا بأشرطة كتابة كوفية على مسافات متساوية ٠

وكانت الاساور تصنع أيضا من الفضـــة وتحلى بالاحجار الكريمة ، كما كانت تصنع من العنبر أو اللؤلؤ وتحلى بفصوص من الذهب(١١٠) ٠ وهناك نوع آخر من الاساور كبيرة الحجم يسمى

---

(١٠٦) انظر ٠ زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٨ ٠
(١٠٧) انظر ٠ Ashtor, Histoire des prix, P. 220.
(١٠٨) ابن ميسر ، ص ٣٢ ٠
(١٠٩) سجل رقم ١/١٦٣٢٦ ٠
(١١٠) انظر ٠ Op. Cit., P. 219.

(دملوج)(١١١) يوضع فى أعلى المرفق ، ولكن هذا النوع كان يندر استعماله بين النساء • وكان المصنوع من هذا النوع من الذهب يبلغ سعره بين عشرة وخمسة عشر دينارا(١١٢) •

الدلايات :

وتوجد بعض الدلايات بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة(١١٣) منها ما هو على شكل هلال وعليه رسم بالمينا المتعددة الألوان ، كما يحلى ببعض الأوراق النباتية ، وكذلك بمتحف المتروبوليتان(١١٤) بنيويورك بعض الدلايات على شكل هلال أيضا • مطعمة بالمينا وتحاط بحبات من اللؤلؤ والفصوص الذهبية •

الى جـــانب هذه القطع الســـابقة ، هناك بعض مشـــابك للصـــدر(١١٥) ومنها هلال من الذهب عليه رسم طائرين بالمينا ، وكذلك حلية من الذهب مستديرة وبها رسم طائرين متواجهين وعلى أحد وجهيها طبقة من المينا متعددة الألوان ويفصل بين كل لون وآخر جدار من الذهب ، وقرص آخر من الذهب مغطى بالمينا ومقسم الى ثلاثة أقسام ، ويميز هذه القطع وجود بعض الكتابات بالخط الكوفى ومنها ما كتب على هذا القرص كتابة بيضاء مزخرفة باللون

---

(١١١) الدملج والدملوج ، هو المعضد من الحـلى ، والدملجـة هى تسوية الشىء ، كما يدملج السوار ، انظر • لسان العرب ، ٣ ، ص ١٠١ •

(١١٢) انظر •
Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 180.

(١١٣) سجل رقم ٩٤٥٥ •

(١١٤) انظر • Islamic Jewelry in Metropolitan Museum Art, n 47, 45 a.

(١١٥) أرقام ١٣١٨٧ ، ٩٤٥٥ ، ١٢١٣٧ ، ١١٢٤٤ •

الاحمر ونصها « الله خير حافظا »(١١٦) · وفى القسمين الأعلى والاسفل زخرفة حمراء معدودة بالذهب على ارضية خضراء · وان كانت المصادر قد ضنت عن ذكر الدلايات وأين تضعها المرأة وكذلك القطع الصغيرة التى ذكرت آنفا ·

هذا الى جانب الخلخال الذى يستعمل لزينة الساق ، وعلى الرغم من أن المصادر لا تمدنا بشىء عنه ، الا أنه كثيرا ما ورد فى أبيات الشعر مما يدل على شيوعه(١١٧) ·

وحرصا على الحلى ، الذى كانت تقتنيه المرأة ، كان لابد من حفظه فى علب خاصة به ، وكانت هذه العلب تصنع من العاج أو السن ، وتقوم على أربع أرجل وعليها زخارف من طيور وطواويس(١١٨) ·

ومن العلب ، التى ترجع الى العصر الفاطمى والمحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة من العلب المصنوعة من السن ، وتتميز هذه العلب بأنها صغيرة الحجم وبعضها أسطوانى ، والبعض الآخر مستطيل أو مربع ، ومنها حشوة من العاج بها رسم سيدة فى هودج وجندى فى يده رمح ، وعلبة أخرى اسطوانية الشكل من العاج فى قاعدتها من الداخل رسم لفرعى نبات(١١٩) ·

---

(١١٦) رقم ٤٣٢٧ ·

(١١٧) ديوان الأمير تميم بن المعز ، منه ص ٤٦ ·

شكا كشحها الزنار مما يجيعه   وضاق بها الخلخال وامتلا القلب

وايضا ص ٢٠٥ ·

زنت الخلاخل والسمو   ط بمثل ما الخلخال زانك

(١١٨) انظر · أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١٢٨ ·

(١١٩) أرقام ٥٠٢٤ ، ١٢٦٣٣ ·

هذا الى جانب علبتين(١٢٠) من العاج ، احداهما فى كاتدرائية مدينة باييه (Bayeux) بفرنسا والأخرى فى كاتدرائية مدينة كوار Coire بسويسرا . والعلبة الأولى مستطيلة الشكل وغطاؤها مستو وتقوم على اربع أرجل وفيها مفصلات ، وبها أشرطة من الفضة المذهبة محفور بها زخاف وعلى القفل كتابة بالخط الكوفى نصها « بسم الله الرحمن الرحيم بركة كاملة ونعمة شاملة »(١٢١) . وكانت علب الحلى تصنع أحيانا من الفضة أو من العنبر وترصع بحبات اللؤلؤ(١٢٢) .

المكاحــــل :

وهى من معدات التجميل ، التى اهتمت بها المرأة أيضا فى العصر الفاطمى ، وكانت تستعمل فى الأغراض المختلفة للتجميل مثل رموش العين والحواجب(١٢٣) ، وكذلك الجفون والعيون(١٢٤) . ويوجد بمتحف الفن الاســـــلامى بالقاهرة(١٢٥) أعداد كثيرة منها ومعظمها من البللور الصخرى أو النحاس ، وتختلف أشكال المكاحل فهى اما اسطوانية أو مثلثة أو حتى مربعة الشكل ولها قوائم على هيئة أرجل ، وتتميز هذه المكاحل بما تحتويه من أشرطة عليها كتابات كوفية ، ومن أمثلتها ما هو موجود على بدن مكحلة من النحاس نصها « بركة وسعادة لصاحبته » .

---

(١٢٠) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٤٤٩ .

(١٢١) انظر . نفسه .

(١٢٢) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix P. 181.

(١٢٣) انظر . احمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١١٠ .

(١٢٤) ديوان الأمير تميم بن المعز ، صفحات ٧١ ، ٢٩٦ ، ٤٠٣ .

(١٢٥) انظر . المرجع السابق ، ص ١١١ ، أرقام ١٥٤٤٦ ، ١٤٤٩ ، ١٥٤٥٧ ، ١٥٤٦٣ .

وكانت المكاحل تصنع احيانا من الخشب ، ويبدو أن استعمالها كان قاصرا على الطبقات الفقيرة(١٢٦) ، ومن الطريف أن هذه المكاحل مازالت تحتفظ فى قاعها ببقايا الكحل • وكان للمكحلة مرود ينغمس فيها بعد ان يبلل بالماء ليسهل استعماله ويتعلق به الكحل ، وهذه المراود كانت تصنع من العاج أو من البللور ، وربما اختلفت هذه المراود عن المادة المصنوعة منها المكحلة(١٢٧) ، وكانت المراود تصنع أيضا من الفضة أو تطلى بماء الذهب وترصـــع بالاحجار الكريمة (١٢٨) •

العطـــــور :

لقد حرصت المرأة على استخدام العطور ، التى كانت توضع فى قنينات من البللور الصخرى وتزخرف بالرسوم الهندسية والفروع النباتية وكذلك قنينات من الزجاج الأبيض ذى الزخارف المنحوتة تقليدا للبلور الصخرى(١٢٩) • كما كان القصر الفاطمى يحوى ضمن خزائنه الكثيرة ، خزانة تسمى « خزانة الجوهر والطيب والطرائف » كان بها جزء لتخزين الروائح والعطور مثل الكافور والزعفران(١٣٠)

المـــــرايا :

ولاستكمال ادوات الزينة استخدمت المرأة المرآة ، التى بلا شك تعكس كل الأدوات السابقة ، وكانت المرايا تصنع فى الغالب من

---

(١٢٦) انظر ، نفسه ، ص ١٠٨ •

(١٢٧) انظر ، نفسه ، ص ١١٠ •

(١٢٨) انظر Ashtor, Le Coût de La Vie, P. 65; Matériaux pour l'histoire des prix, P. 181 182.

(١٢٩) انظر ، المرجع السابق ، ص ٩٦ ــ ٩٧ •

(١٣٠) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٩ •

الحديد ، كما كانت الطبقات الغنية فى المجتمع تستخدم مرايا من الصلب أو الخزف المطعم بالذهب أو الفضـــة وترصـــع بالأحجار الكريمة(١٣١) • ولقد أخرج من القصـــر الفاطمى أيام الشـــدة المستنصرية صناديق بها مرايا من حديد وصينى وزجاجى محلاة بالذهب والفضة والجواهر ومغلفة بأنواع مختلفة من الحرير ، وبها مقابض من العقيق(١٣٢) •ولقد بلغ سعر المرآة المصنوعة من الحديد نصف دينار وأقصى سعر وصلت اليه المرآة المحلاة بالذهب ، وربما مرصعة بالجواهر ثمانية دنانير(١٣٣) •

الأمشـــــاط :

وعن الأمشاط ، التى استعملتها المرأة فى تلك الفترة فليس لدينا معلومات عنها • ومع ذلك نستطيع أن نتعرف على أشكالها من خلال بعض النماذج الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة • والتى ترجع الى العصر المملوكى ، ومنها أيضا مشط لعله يرجع الى الفترة الفاطمية(١٣٤) •

وهذه الأمشاط مصنوعة فى الغالب من الخشب وهى تشـــبه الفلاية التى تستخدم حتى الآن فى الريف المصرى وللمشط جهتان جهة للاسنان الرفيعة الحادة وجهة للاسنان السميكة القوية والجزء الأوسط المحصور بينهما تزينه من الوجهين زخارف مختلفة بالطلاء

---

(١٣١) انظر • Op. Cit. P. 181.

(١٣٢) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر • زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٤٩ •

(١٣٣) انظر • Op Cit.

(١٣٤) سجل رقم ٧٨٩٢ •

أو الحفر البارز أو الغائر ، هذا فضلا عن وجود بعض الكتابات(١٣٥) على المشط ٠

الحمـــــــامات :

وهى تعتبر مظهرا آخر من مظاهر الزينة ، وخاصة للمرأة ، لأنها كانت بمثابة معاهد للتجميل(١٣٦) فى العصور الوسطى ، حيث وجدت الماشطة والبلانة اللتان تقومان بجميع وسائل التجميل سواء تصفيف الشعر أو ازالته من جسم السيدات(١٣٧) ، كما كانت توجد مجموعة من الجوارى يقمن بعملية التدليك لجسم السيدات أثناء الاستحمام(١٣٨) ٠

وتجدر الاشارة ، أن فكرة الحمامات الساخنة ، قد اخذها المسلمون عن اليونان والرومان(١٣٩) ، ولقد برع المسلمون فى تشييد حماماتهم ولاسيما فى مصر الاسلامية ، التى امتازت بجمال حماماتها ٠٠ وأول حمام انشأ فى الفسطاط بناه عمرو بن العاص بسـويقة المغاربة ، وكان يسمى حمام الفأر لأنه كان ضيقا(١٤٠) ٠ ثم ازداد عدد الحمامات بها حتى وصل ألف ومائة وسبعين حماما ، أما فى القاهرة فالخليفة العزيز بالله أول من بنى بها الحمامات، التىأصبح بها

---

(١٣٥) انظر ٠ أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، ص ١٥٥ ٠

(١٣٦) انظر ٠ ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٨ ٠

(١٣٧) انظر ٠ أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ٣٤ ٠

(١٣٨) انظر ٠ نفسه ، ص ٤٥ ، يتضح من خلال أحد الأطباق الخزفية التى عثر عليها من بقايا حمام أبى السعود بمصر القديمة ، الذى يرجع للعصر الفاطمى ، احدى السيدات تمد رجليها ، وتقوم جارتان بتدليكهما ، لوحة رقم ١٣٠٨٠ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ٠

(١٣٩) انظر ٠ نفسه ٠

(١٤٠) الانتصار ، ٤ ، ص ١٠٥ ، انظر ٠ نفسه ، ص ٣٤ ٠

عددها في نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ثمانين حماما(١٤١) ٠

ومن الحمامات ، التي وجدت في العصر الفاطمي والتي زالت ، واقتصر ذكرها على المصادر ، حمام السيدة العمة وحمام الساباط ويعرف أيضا بحمام الصنيمة ، وكذلك حمام الذهب ، الذي كان بدار الذهب(١٤٢) ٠ كما عثر على بقايا حمام يرجع الى العصر الفاطمي في منطقة أبي السعود بمصر القديمة ، وهو محفوظ بالمتحف الاسلامي بالقاهرة وبه بعض الصور والرسوم المنقوشة على جدرانه(١٤٣) ٠

أما عن هيئة الحمام سواء الداخلية أو الخارجية فليس لدينا أية معلومات عنها ، ولكننا نستطيع أن نتعرف عليها من خلال الشكل العام للحمامات في العصر الاسلامي وكذلك في العصر المملوكي اللاحق(١٤٤) على العصر الفاطمي ٠ فالحمام عبارة عن بناء تتوسط واجهته بوابة ضيقة ذات زخارف مميزة ، وأحيانا توجد بوابتان اذا كان الحمام مخصصا للسيدات والرجال ، ثم يتلو ذلك المدخل حيث توجد المشرفة على الحمام التي تستقبل الزبائن وتتلقى من النساء بعض الودائع مثل الحلي والنقود ، وبعد ذلك يوجد بهو فسيح عبارة عن صالة معدة للحصول على قسط من الراحة قبل وبعد الاستحمام ٠ ويوجد بوسط هذا البهو ردهة فسيحة مبلطة بالفسيفساء يتوسطها

---

(١٤١) الخطط ، ٢ ، ص ٨٠ ٠

(١٤٢) نفسه ٠ ولعل هذه الحمامات كانت ملكا للدولة (انظر ٠ سفرنامة ، ص ٤٨) ٠

(١٤٣) انظر ٠ المرجع السابق ، ص ٤٣ ٠

(١٤٤) انظر ٠ المرجع السابق ، ص ٣٨ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة في مصر المملوكية ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ٠

فسقية ، وفى جوانبها ايوانات بها مصاطب مغطاة بحصير أو سجاجيد ، واحيانا تحجب بعض هذه المصاطب بواسطة حواجز خشبية وبعد هذه الردهة تبدأ أجزاء الحمام الرئيسية ، والتى تشتمل على :

(أ) بيت أول أو باب أول ، وهو عبارة عن قاعة صغيرة مربعة تقريبا ، ودرجة الحرارة فى هذه القاعة مرتفعة قليلا ·

(ب) بيت الحرارة ·

وهو عبارة عن قاعة تعلوها قبة ، ومبلطة بالفسيفساء وتوجد فى هذه القاعة ثلاثة أو اربعة ايوانات على هيئة شكل متعاقد على أرضية القاعة ، والحرارة فى هذا المكان مرتفعة ·

(جـ) المغطس :

وهو يلى بيت الحرارة ، وهو مكان الاغتسال ، ويصل اليه من الايوانات أو من صحن بيت الحرارة مباشـــرة وبقاعة المغطس ، مغطســـان ، تختلف حرارة كل منهما عن الآخر ، وهو عبارة عن أحواض عميقة مربعة مملوءة بماء ساخن ·

أما عن الزيارة للحمامات ، فكانت النساء عادة تذهب اليها مرة فى الأسبوع ، وكذلك فى المناسبات الاجتماعية مثل الأفراح والولادة وحتى التمازى · وعندما يردن ترك منازلهن لكى يشاهدن صديقاتهن ، اذ أن زيارة الحمامات كانت فى تلك الفترة عاملا من عوامل استنفاذ أوقات الفراغ بالنسبة لبعض النساء(١٤٥) ·

ولقد فرضـــت قيود على دخول الحمامات فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذى أصدر أمرا فى عام ٣٩٥/١٠٠٤ بالا تدخل

---

(١٤٥) انظر · Goitein, Med. Soc, III, P. 343.

أمرأة الى الحمام الا بمئزر(١٤٦) ، وهى كانت شروطا لابد للمحتسب أن يراعيها • ولعل بعض النساء لم ينفذن ذلك مما جعل الخليفة الحاكم يصدر هذا الأمر بغرض تنظيم المظهر العام لسلوك بعض النساء كما أسلفنا مما أدى الى اغلاق حمامات النساء •

وبالنسبة لتسريحات الشعر ، فقد كانت متنوعة ولكن الصفة الغالبة على معظم التسريحات تلك الخصلات التى تتدلى على الأصداغ وتكون ملتوية كالعقرب(١٤٧) • وهناك تسريحة تسدل فيها المرأة شعرها الى الامام بحيث يتدلى جزء منه على على الجبهة ، بينما يغطى شعرها جانبى الوجه من الجهة اليمنى واليسرى على هيئة فستونات، وتسريحة أخرى تسدل فيها المرأة شعرها على جانبى الوجه كله دون الفستونات ، وأحيانا تسدل المرأة شعرها الى الخلف بحيث يتدلى على الظهر مع ترك خصلة طويلة تصل الى الذقن ثم تلتوى حيث يتجه طرفها الى أعلى ، ووجدت تصفيفات أخرى للشعر من أبرزها أن تفرق فيها المرأة شعرها الى اليمين وجزءا الى اليسار وهذا الشعر المتدلى يمينا ويسارا كان أحيانا ينحنى الى الداخل فى اتجاه الوجه أو يكون مرفوعا الى أعلى وهذه التسريحة وجدت بكثرة ، فضلا عن ذلك فكانت المرأة أحيانا تترك شعرها مسدولا الى الخلف مع ترك خصلة من الشعر أمام الاذن ، كما عرفت الضفائر التى كانت تتدلى على كتف المرأة وتحيط بها حتى تصل الى الركبتين(١٤٨) •

ولما كنا بصدد الحديث عن أدوات الزينة ، فلابد من معرفة السمات العامة لجمال المرأة في تلك الفترة • ولعل الفاطميين كانوا

---

(١٤٦) اتعاظ ، ٢ ، ص ٧٦ •

(١٤٧) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٧١ ، ٢٩٣ ، ٤٠٣ •

(١٤٨) انظر • محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٢٠٦ •

مثل بقية العرب فى ذلك الوقت يميلون الى المرأة النحيلة من الأعلى والجسيمة من الأسفل(١٤٩) ، ويبدو أن نساء تلك الفترة كن يتميزن بالسمنة والبدانة لما يقتضيه الذوق العام لرجال تلك الفترة(١٥٠) • أما الوجه فمستدير والحواجب كثيفة والعيون تشبه الحلقات وإن كانت أحيانا على شكل لوزى(١٥١) ، كما كان يميل الفاطميون الى النساء النوبيات ولذلك أقبلوا على شراء الجوارى منهن لما يتميزن به من ميزات كثيرة(١٥٢) •

ونستخلص من ذلك ، أن المرأة ، قد اهتمت بكل ما يبرز جمالها ، مما كان له اثر بالغ فى تقدم بعض الصـــناعات المتعلقة بمعدات التجميل المختلفة •

---

(١٤٩) نهاية الارب ، ٢ ، ص ١٠٠ ، انظر ، ماجد ، تاريخ الحضـارة الاسلامية ، ص ١٢٣ •

(١٥٠) ديوان الأمير تميم بن المعز ، صفحات ٤٦ ، ٤٦٠ ، ٢٧٩ •

(١٥١) انظر ، المرجع السابق ، ص ٥٤ •

(١٥٢) الادريسى ، ص ١٣ ، انظر ، ماجد ، المستنصر ، ص ١٦ •

الباب الثانى

الأحوال الدينية للمرأة فى العصر الفاطمى

١ ـ المرأة المسلمة

(أ) الميراث فى المذهب السنى والشيعى .

(ب) تجديد قانون الوراثة الشيعى .

(حـ) الدعوة الفاطمية وتطورها .

(د) مجالس الدعوة .

٢ ـ المرأة الذمية .

لما كانت الدولة الفاطمية قد قامت أساسا على العقيدة الشيعية، لذا عمل الفاطميون على نشر مذهبهم منذ الأيام الأولى لفتح مصر التى أصبحت مقرا للخلافة الشيعية . ولقد تمثل ذلك فى العمل بالتشريع الشيعى وفى الاحتفال بالأعياد التى تتعلق بهم(١) وكذلك بالدعوة الفاطمية فى مصر وخارجها فى الاقاليم التابعة للخلافة .

ومع ذلك فلقد عرف التشيع فى مصر قبل العصر الفاطمى ، منذ خلافة عثمان بن عفان على يد أحد المتشيعين لعلى بن أبى طالب(٢) ، كما كان لتولى على الخلافة اثر كبير فى اعتناق كثير من أهل مصر للتشيع . ولقد ظلوا كذلك خلال حكم الامويين . ولكن مالبث أن ضعف التشيع خلال حكم العباسيين الذين عملوا على القضاء على الشيعة وتعقبوا كل علوى(٣) .

---

(١) الخطط ، ص ٢٨٨ ، ٤٣٠ — ٤٣٢ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين، ٢ ، ص ١٢٦ — ١٢٨ . ومنها الاحتفال بعيد الغدير وهو يتصل بذكرى وصية النبى لعلى فى امامة المسلمين من بعده فى مكان بين مكة والمدينة يعرف باسم غديرخم وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة أثناء حجة الوداع . وكذلك الاحتفال بذكرى مقتل الحسين بن على كما أسلفنا فيما يتصل بيوم عاشوراء .

(٢) وكان ذلك على يد رجل اسمه عبد الله بن سبأ ويتلقب بابن السوداء منه . انظر . Ency of Isl (art'Abd Allâh B. Saba) 1, P. 61. ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ — ٧٣ .

(٣) نفسه . ص ٧٣ .

ومع انتشار المذاهب السنية بين المصريين ، لم يذته التشيع ، ولكنه ظل فى وجدان المصريين ، وتمثل فى تقديرهم لآل على والتبرك بهم وكان مجىء كثير من آل البيت الى مصر واقامتهم بها وحب المصريين لهم دليلا على ذلك • وكان من بينهم هؤلاء العلويات أو الشريفات(٤) أمثال السيدة زينب بنت على بن أبى طالب التى أتت الى مصر عام ٦١/ ٦٨٠ بعد مقتل الحسين فى كربلاء • ولقد رحب بها أهل مصر وأقامت بينهم ما يقرب من عام حتى وفاتها ، وكذلك السيدة سكينة بنت الحسين(٥) والسيدة نفيسة(٦) التى أقامت بمصر سبع سنوات وتوفيت بها عام ٢٠٨/ ٨٢٣ • وغيرهن من الشريفات اللاتى أقمن بمصر وكن على المذهب الشيعى(٧) •

ولم يقتصر حب المصــــريين لآل البيت على الترحيب بهم بل حرصوا أيضا على دفنهم فى مصر واقامة مشاهد وأضرحة لهم •• ولذا نجد كثيرا من المشاهد الخاصة بالشريفات على وجه الخصوص قد أقيمت سواء قبل العصر الفاطمى أو خلاله • كما أن الفاطميين عملوا على نشر مذهبهم بين المصريين أثناء الحملات ، التى كانت تأتى من المغرب لفتح مصر ولقد تأثر كثير من المصريين بالدعوة الفاطمية آنذاك(٨)، ولذا لم يكن المذهب الشيعى غريبا عن المصريين عند مجىء الفاطميين •

---

(٤) وقد تناولنا هذا اللقب بالشرح فيما يخص الألقاب .

(٥) ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ٢٠ ، انظر ، سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ١ ، ص ٩٨ .

(٦) نفسه ، ص ٣١ ، الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٠ ــ ٤٤٢ .

(٧) انظر . Répertoire, II, n. 446, 692; III,n 922.

(٨) انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ص ٣٢٢ .

ولابد لنا ونحن بصدد الحديث عن مذهب الفاطميين أن نتعرف على أوجه الخلاف بينه وبين المذهب السنى ، وان كان هذا الاختلاف ليس جوهريا ، فكلاهما يعتمد على القرآن والسنة(٩) ، ولذا فان الاختلاف يأتى فى تفسير الأحكام(١٠) ويتضح ذلك فى صيغة الآذان ، فالشيعة قد زادوا فى الآذان عبارة « حى على خير العمل » بعد « حى على الفلاح » ، وكانوا يجهرون بالصلاة على على بن أبى طالب ، أما بالنسبة للصوم ، فالفاطميون يصومون الشهر كاملا ، ولم يلتزموا برؤية الهلال ، أما الصـــــلاة فلم يعترفوا بصـــــلاة التراويح(١١) ·

ولكن أهم أوجه الخلاف بين المذهبين ، وهو ما يهمنا فى الكلام عنه بالنسبة للمرأة بما يتعلق بالمواريث ، فمذهب الفاطميين يبرز المرأة ، اذ أنها اذا انفردت ترث جميع مال أبيها(١٢) ·وبذلك تحصل مثل الرجل على حقها فى الميراث ، مما يجعلها تستطيع أن تكون ثروة أو على الأقل تعتمد على نفسها من الناحية المالية · حتى ولو كانت امرأة متزوجة · ولذا نجد الاختلاف بين المذهبين على النحو التالى ، فالمذهب السنى يجعل الميراث الى ثلاثة أقسام(١٣) :

(أ) ميراث بالفرض ويتبعه الرد ·

(ب) ميراث بالتعصيب بما يبقى من أصحاب الفروض ·

---

(٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ٣ ، ص ١ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٣٧ ·

(١٠) انظر ، نفس المرجع ، ١ ، ص ١٢٨ ، عبد الخالق حسين محمد ، القضاء فى مصر فى عهد الفاطميين والأيوبيين ، رسالة ماجستير ، ١٩٧٥ ، ص ٢٦ ·

(١١) الخطط ، ٢ ، ص ٣٤١ ·

(١٢) نفسه ، ١ ، ص ١١١ ·

(١٣) سورة النساء آية ١١ ، ١٢ ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٠

(هـ) ميراث بالرحم ·

اما المذهب الشيعي فيقسم التوريث الى قسمين(١٤) :

(أ) ميراث بالسبب وهو التوريث بالزوجية ·

(ب) ميراث بالنسب (القرابة) وله ثلاث درجات :

١ ـ الأبوان المباشران ·

٢ ـ الأجداد والجدات وفروع الأبوين من اخوة واخوات ·

٣ ـ الأعمام والأخوال ثم اولادهم ·

كما ترى الشيعة أنه لا يرث الأبعد مع وجود الأقرب بمعنى أن ابن الابن لا يرث مع وجود البنت لأنها أقرب منه كما أنه لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم(١٥) · وللقاضي الشيعي أن يعطيها نصف المال فرضا والنصف الثاني ردا أي أن تأخذ اذا انفردت النصف بالميراث المسمى والباقي يرد عليها بالرحم ، وبذلك لا تعترف الشيعة بالتعصيب ويقدسون القرابة(١٦) ·

وكذلك لا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى الا الزوج والزوجة والأبوان والجدة ، واذا تزاحمت الفرائض ، فان القاضي الشيعي يحكم للزوجة بالثمن ولكل من الأم والأب بالسدس · أما اذا ترك المتوفى بنتين ، فكل واحدة تحصل على الثلث بالميراث والثلث الباقي يرد عليهما بالرحم(١٧) ، هذا فضلا عن أن الشيعة يعتبرون أن أبناء

---

(١٤) دعائم الاسلام ، ٢ ، ص ٣٦٣ ·

(١٥) نفسه ، ٢ ، ص ٣٦٣ ، المصدر السابق ، ١ ، ص ١١١ ·

(١٦) نفسه ، ٢ ، ص ٣٧٨ ·

(١٧) نفسه ، ص ٣٦٤ ·

البنات كالابناء الابناء فى الانتماء الى البيت واستحقاق الميراث(١٨) ٠

والسر فى ان الشيعة يورثون البنت كل المال ويجعلونها حاجبة للأعمام امران : احدهما ان ابا بكر اخذ فدك (قرية بخيبر) من يد فاطمة ، وكان رسول الله أعطاها تلك الضيعة للأرتفاق بها ، فادعت انها ترث ذلك فاحتج ابو بكر بأن الأنبياء لا يورثون ، ثانيهمـا : ان بنى العباس يدعون ايلولة ميراث رسول الله من عامة المسلمين ، لأنه عم رسول الله والوارث له يوم وفاته ، لأن ابنته فاطمة لاتحرز كل المال وعلى انزل من بنى العباس ، فقالوا هم انها تحرز كل الميراث ليمنعوا بنى العباس من دعواهم ٠

ولذا عندما دخل جوهر مصر أقر القاضى السنى ، ولكنه الزمه بأن يحكم فى المواريث بحكم اهل البيت ، أى وفق مذهبهم الشيعى(١٩) ٠ ولذا كانت قضايا الميراث من أبرز القضايا التى رفعت للقضاء للفصل فيها ، فى أوائل حكم الفاطميين ، لأنه قد حدث تغيير فى المفاهيم المعمول بها بشأن المواريث ، ومنها عدة قضايا من أهمها ما تقدم به رجل ، يدعى فيه ملكية حمام كان لجده لأمه وكان ينبغى أن ينتقل الى أمه حسب قانون الوراثة لدى الفاطميين وكان القاضى الشيعى دائما يحاول أن يوطد التشريع الشيعى ، وأن يكون هو السائد على أحكامه(٢٠) ٠ وظل يعمل بذلك لعامة المسلمين سواء سنة أو شيعة ، وكان أحيانا ترفع رقاع للخليفة بهذا الشأن ليدلى فيها برأيه(٢١) ٠

---

(١٨) نفسه ، ص ٣٦٧ ٠

(١٩) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٤ ٠

(٢٠) نفسه ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ، انظر ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣١٥ ٠

(٢١) اتعاظ ، ٢ ، ص ١١٩ ٠

ولكن قد حدث تجديد فى أواخر الخلافة الفاطمية ابان خلافة الآمر ووزارة المأمون البطائحى على يد الشيخ أبو بكر الطرطوشى المالكى(٢٢) ، الذى جاء من الأندلس ، واقام بالاسكندرية حتى توفى فى عام ٥٢٠ أو ٥٢٥ ، ١١٢٦/١١٣٠ ، ولقربه من الوزير حاول أن يغير من قانون الوراثة القائم ٠ وكان يرى انفراد البنت بالميراث ، اذا كانت وحيدة وحرمان ذوى العصبية من المشاركة فيه شيئا مخالفا للشرع ، بما يقتضيه مذهبه السنى ، الذى يرى ان البنت لا ترث اكثر من نصف التركة(٢٣) ٠

وعلى الرغم من أن الوزير المأمون البطائحى كان سنيا هو الآخر، لكنه لم يوافق على هذا ، وعلل ذلك بأن هذا هو مذهب الخليفة ومذهب الشيعة باختلاف فرقهم ، ولكن توصل الوزير فى النهاية الى أنه من كان سنيا اتبع المذهب السنى ومن كان شيعيا اتبع مذهبه أيضا بشأن التوريث ، وصدر سجل بذلك وافق عليه الخليفة الآمر فى عام ١١٢٢/٥١٦(٢٤) تضمن عدة نقاط اخرى ، ولكن ما يهمنا منه :

١ ـ يخلص لحرم ذوى التشيع الوارثات جميع موروثهم ٠

٢ ـ ان كل دارج من الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واعتقاداتهم ، يحمل ما يترك من موجوده على حكم مذهبه فى حياته والمشهورة من اعتقاده الى حين وفاته ٠

وهذا يبين ليس فقط أنه كان يؤخذ بمذهب الشيعة بالنسبة

---

(٢٢) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ص ٦٢ ٠

(٢٣) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ٠

(٢٤) نفسه ، انظر . المرجع السابق ، ص ٣١٦ ــ ٣١٧ ٠

لمسلمى مصر من سنة وشيعة ، كما أسلفنا باعتباره مذهب الخلافة الحاكمة ، بل يدل على احترام الوزير السنى لمذهب الخليفة وكذلك انه أصبح من الأمور المألوفة لدى المصريين اتباع هذا المذهب ·· ولكننا نرى أن هذا التجديد لم يمس جوهر قانون الوراثة ، وانما اقتصر فقط على الشكل بأن ضاقت المساحة ، التى يشملها ، وأصبح يخص فقط مسلمى مصر الذين يعتنقون المذهب الشيعى ·

كما عملت الدولة الفاطمية على نشر المذهب الشيعى بين المصريين وذلك بما عرف بالدعوة الفاطمية ، وأن عرفت فى الأوراق الرسمية بالدعوة العلوية(٢٥) أو الدعوة الهادية(٢٦) · ولقد قام كبار رجال الدولة فى أوائل حكم الفاطميين بهذا الدور ، وذلك تمثل بما قام به وزير الخليفة العزيز ، يعقوب بن كلس الذى أقام حلقات لنشر المذهب الشيعى فى الجامع الأزهر ، ثم قام بعده على بن النعمان بقراءة علوم أهل البيت(٢٧) ·

ثم ظهر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وظيفة داعى الدعاة(٢٨) ، الذى كان يتبعه اثنا عشر نقيبا ثم ثلاثون داعية ليس فى اقاليم مصر بل خارجها فى المناطق التابعة للخلافة الفاطمية ولقد اتسمت الدعوة فى أوائل حكم الفاطميين بأنها كانت دعوة علنية، كانت تقوم بشرح المعنى الظاهر للعقيدة الشيعية بطريقة بسيطة(٢٩) ·

---

(٢٥) السجلات المستنصرية ، أرقام ٥٠ ، ص ١٦٨ ، ٥٤ ، ص ١٧٦ ·

(٢٦) نفسه ، رقم ٤٦ ، ص ١٥٨ ، انظر · ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٧٨ ·

(٢٧) الخطط ، ١ ، ص ٦ ، انظر · ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٨ ·

(٢٨) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٧ ، انظر · المرجع السابق ، ١ ، ص ١٨٢ ·

(٢٩) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٤١ ، انظر · نفسه ، ١ ، ص ١٨٠ ·

ثم تطورت الدعوة وظهر ما يعرف بالدعوة السرية(٣٠) ، وكان ذلك نتيجة للتعمق فى دراسة المذهب الشيعى ، والتأثر بآراء فلاسـفة اليونان ولقد جاء هذا التطور فى الدعوة فى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ٠

وكانت الدعوة السرية تشتمل على سبع أو تسع درجات تبدأ باثارة الداعى مجموعة من التساؤلات أمام المريد حتى يوقعه فى الشك ، ويجعله مضطرا أن يطلب طريق الهداية ، ثم فى الدرجة الثانية يقرر الداعى أن الشرع لايؤخذ الا من الأئمة ، وتتبعها الدرجة الثالثة التى تحدد عدد الأئمة ولكن بطريقة تبعد المريد عن دائرة الأئمة الاثنا عشرية ، وتنتهى هذه الدرجات بالدرجة التاسعة(٣١) ، وكان لابد للانتقال من درجة الى أخرى أن يكون المريد قد أحاط بالدرجة التى تسبقها(٣٢) ٠ كما ظهر فى عصر الحاكم أيضا مذهب جديد على يد حمزة بن على(٣٣) ، وكان هذا المذهب يدعو الى اظهار الايمان المطلق أو ما عرف بالتوحيد(٣٤) ٠

أما عن أحوال المرأة الدينية ، التى تعتبر جزءا من الحياة الدينية فى مصر بصفة عامة خلال الحكم الفاطميين ، فكانت النساء تحضر تلك المجالس التى كانت تعقد فى كل المساجد ، ولاسيما فى الجامع الأزهر حيث خصص لهن مجلس به ٠ وكانت هذه المجالس يلقيها الداعى على الناس بصفة عامة على اختلاف طبقاتهم وكانت تتم

---

(٣٠) انظر ، نفس المرجع ، ص ٨٢ ــ ٨٣ ، القضاء فى عهد الفاطميين والأيوبيين ، ص ٢٨ ٠

(٣١) الخطط ، ١ ، ص ٣٩١ ــ ٣٩٥ ٠

(٣٢) نفسه ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٨٥ ٠

(٣٣) يحيى بن سعيد ، ص ٢٢٣ ٠

(٣٤) رسائل الحاكم بأمر الله ، عقائد نحل ، رقم ١٣٨ ، انظر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ ٠

تحت اشراف الخليفة وكانت هذه المجالس تسمى « مجالس الدعوة » أو « مجالس الحكمة »(٣٥) كما كان لحرم القصر رواق خاص بالقصر اسمه المحول(٣٦) وكان مخصصا للنساء يوم ، ثم أصبح لهن يومان فى الأسبوع يعقد منهما يوم لعامة النساء ويوم لحريم القصر ٠

ومن الملاحظ أن هذه المجالس ، كانت تدعو النساء أيضا الى التحلى بالقيم والأخلاق الفاضلة ، وهذا يتضح من خلال رسائل الحاكم بأمر الله والتى تشتمل على عدة رسائل ألقيت فى مجالس النساء(٣٧) ٠ وكذلك من خلال المجالس المستنصرية(٣٨) فى عهد الخليفة المستنصر والتى كانت تدعو أيضا الى تكريم الأم وابراز دورها فى المجتمع ومعاملة الزوجين ، والبر بالوالدين ، كما كانت تحث النساء على العفة والطهارة هذا الى جانب المجالس المؤيدية بصفة عامة ٠

ولعل المرأة قد أقبلت أيضا على الدعوة السرية فكانت المقبلات على مذهب الحاكم الجديد من النساء يطلق عليهن الموحدات(٣٩) ، اللاتى كن يكتبن وثائق على أنفسهن باتباع المذهب الجديد ، الذى انتشر وقتذاك وكان هناك شروط لابد منها حتى يقرأ على هؤلاء النساء تلك الرسائل التى تضمنتها رسائل الحاكم ، وكانت خاصة بالنساء ومنها أن تكشف المرأة عن اعتقادها بعد أن يكتب الميثاق عليها ، وتكون من وراء حجاب ، وأن يحضر مع المرأة وليها وأن يكون

---

(٣٥) المصدر السابق ، أ ، ص ٣٩١ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، أ ، ص ١٨١ ٠

(٣٦) نفسه ، أ ، ص ٣٩٠ ٠

(٣٧) مخطوط رقم ١٣٣ ، ورقة ٦٨ ، ٥٤ ، ورقة ٢ ، ٧ ٠

(٣٨) مجلس رقم ١٣ ، ص ٧١ ، ١٧ ، ص ٨٣ ، ١٨ ، ص ٨٦ – ٨٧ ، ٢١ ، ص ٩٨ ٠

(٣٩) رسالة النساء الكبيرة ، رقم ٥٤ ورقة ٣٩ ، انظر ، ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ١١٩ ٠

موحدا مثلها(٤٠) ، كما يجب على المرأة اثناء قراءة هذه الرسائل الا تضحك من الفرح ولا تبكى من الهيبة ، وأن تصغى الى ما يقال بأذنها وتتدبره بعقلها وقلبها · وفى حالة عدم فهمها فعليها أن تسأل الداعى الذى ان عرف أفادها ·

كما كانت المرأة تدفع كما يدفع جميع المؤمنين جزءا من المال ، وكان يطلق عليه « النجوى » أو « النجاوى »(٤١) وهى كانت بمثابة دليل مادى بقبول عقائد الشيعة ، وضريبة اجبارية يدفعها المؤمنون بالمذهب الشيعى رجالا ونساء ، وكانت تبلغ ثلاثة دراهم وثلث ، ولكن أغنياء الشيعة كانوا يدفعون ثلاثة وثلاثين درهما(٤٢) · وكان من يدفعها تخرج له ورقة بخط الخليفة خلال المجلس مكتوب عليها « بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك »(٤٣) ·

وعلى الرغم من اقبال المرأة على الدعوة الفاطمية ، فلا نكاد نسمع عن اسماء قد برزت فى هذا المجال ، وأن ذكر البعض أن المرأة الشيعية قد تصبح داعية(٤٤) ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بشىء من هذا ، لأنه كان الوصول الى مرتبة الداعى يتطلب الوصول فى مراتب الدعوة السرية الى المرتبة السادسة(٤٥) · حقيقة قد ظهرت

---

(٤٠) ميثاق النساء ، رقم ١٣٣ ، ورقة ٦٩ — ٧٠ ·

(٤١) السجلات المستنصرية · أرقام ٢٢ ، ٣٦ ، ٥٧ ·

(٤٢) الخطط ، ١ ، ص ٣٩١ ، انظر · ماجد ، نظم الفاطميين ، جـ ١ ص ١٨٨ ·

(٤٣) نفسه ، ١ ، ص ٣٩١ ·

(٤٤) انظر · Ivanow, The Rise o fthe Fatimid, P. 21.
ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٩ ·

(٤٥) انظر · المرجع السابق ، ١ ، ص ١٨١ ·

بعض الشخصيات النسائية فى تلك الفترة عرف عنهن التقوى والورع، سواء اللاتى أقمن فى مصر أو وفدن عليها من خارج البلاد(٤٦) ٠

ومن أمثال هؤلاء النساء العابدات أم الخير الحجازية(٤٧) ، التى كان لها مكانة عالية بين شيوخ عصرها فلقد ذاع صيتها خلال حكم الخليفة الظاهر ، فكانت تقوم بالقاء بعض المحاضرات والدروس الدينية فى الجامع العتيق ، الذى كان يقام فيه أيضا مجالس الدعوة الشيعية ، ومع ذلك فلا نكاد نعرف المذهب الذى كانت تدين به أم الخير الحجازية ، فلعلها من الوافدات على مصر وخاصة من الحجاز وتعتنق المذهب السنى لاسيما وان الدولة الفاطمية مع حرصها على نشر مذهبها الشيعى ، قد تركت الفرصة لبعض المذاهب السنية ان تنتشر فى البلاد ٠

أما عن الأحوال الدينية للمرأة الذمية ، فكما نعرف أن الدولة الفاطمية قد تميزت بصفة عامة بالتسامح الدينى نحو أهل الذمة وخاصة النصارى ، وذلك تمثل فى ممارستهم لأعيادهم ومشاركة المسلمين لهم فى الاحتفال بهذه الأعياد فى المناسبات المختلفة(٤٨) ٠

---

(٤٦) ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ١٧٥ ، الذهبى تاريخ ، ٥ ، ص ١٤١ ٠

(٤٧) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٠ ، انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ، ١ ، ص ٣٠ ٠

(٤٨) نفسه ، ١ ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٥ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٣١ ـ ١٣٦ ٠ ومن هذه الأعياد النيروز ، وهو عيد رأس السنة الميلادية القبطية ، وعيد الصليب ، وهو اليوم الذى عثر فيه على الصليب الذى صلب به المسيح فى القدس ، وعيد الغطاس وهو ذكرى تعميد المسيح بفلسطين وكذلك خميس العهد الذى كان يصدر فيه عملة خاصة بهذه المناسبة تسمى خروبة ٠

وكذلك توزيع الملابس وغيرها على موظفى الدولة من أهل الذمة والمسلمين ·

وفيما يخص المرأة النصرانية فكانت تذهب الى الكنيسة بصفة منتظمة وتحمل اليها بعض الصدقات بغرض التقرب والعبادة(٤٩) ، كما كانت الكنيسة تصدر بعض الأوامر لتنظيم العبادة بالنسبة للنساء ، تحثهن على العفاف وذلك بألا ينطقن أثناء الصلوات ولا يختلطن بالرجال ولا يجلسن فى طريقهم وكذلك أن يكن طائعات لأزواجهن متعبدات فى بيوتهن(٥٠) هذا بالنسبة للمرأة المصرية النصرانية ، أما بالنسبة للنصرانيات اللاتى يعشن داخل الأديرة ، فلعل عددهن كان كثيرا اذ أن هناك عددا كبيرا من الأديرة للراهبات(٥١) · وكان هؤلاء الراهبات بجانب العبادة يقمن بتطريز الملابس الكهنوتية وكذلك أفخر الملابس لدفن الموتى · وكانت الراهبات سواء من البنات أو السيدات يقمن فى هذه الأديرة ·

وكذلك كانت المرأة اليهودية تذهب الى المعبد بانتظام ، وكان للنساء رواق خاص بهن متصل بالمعبد اليهودى يطلق عليه « جاليرى » وكان يقع عند الشاطىء الغربى للنيل قرب الجيزة ، وكان يطلق عليه أيضا « بيت النساء » وكان متصلا بالمعبد من خلال باب يسمى « باب الست » أو « باب النساء » وهو يواجه الشارع من الخارج حيث البوابة الرئيسية للمعبد ·

---

(٤٩) سير الآباء ، ٣ ورقة ٦٥ ·

(٥٠) نفسه ، ٣ ، ورقة ٧١ ·

(٥١) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٥٠٩ ومن هذه الاديرة دير بحارة زويلة بالقاهرة ، ودير البنات بحارة الروم ، ودير المعلقة بمدينة مصر ، ودير بربارة بمصر بجوار كنيسة بربارة ·

(٥٢) انظر · Goitlin, Med. Soc, II, P. 144.

وكانت المرأة اليهودية تترك قبل وفاتها وصية وخاصة اذا كانت ثرية وتكون هذه الوصايا مسجلة وتترك للاقارب وغيرهم(٥٢) ٠ وقد تكون التركة المتروكة عبارة عن قطع ذهبية وأثاث وحلى وملابس أو حتى منازل ٠ كما كانت المرأة اليهودية توقف أحيانا جزءا من ممتلكاتها لغرض ديني سواء للمؤسسات الدينية أو الخيرية ، وكذلك بعض الهبات(٥٣) التى تذكر فى الوصية(٥٤) لتشمل الفقراء ، هذا فضلا عن ان الوصية كانت تشتمل على قطع الكفن ، الذى تريده بعد وفاتها ، والذى كان بلاشك يختلف حسب ثراء المرأة أو فقرها(٥٥) ٠ الى جانب ذلك كانت المرأة اليهودية فى حياتها تستطيع ان تدير تكية مخصصة للمرضى والمسنين وكان هذا تقوم به بعض النساء الخيرات اللاتى يملكن ثروة كبيرة(٥٦) ٠

ومن خلال ذلك نجد ان المرأة المصرية بصفة عامة كانت تحرص على أداء واجباتها الدينية وذلك لأن روح العصر كانت يغلب عليها الصفة الدينية ، ولذا ذهبت المرأة المصرية الى المسجد والكنيسة والمعبد فى تلك الفترة ٠

---

(٥٣) انظر ٠ Ibid, III, P. 348 — 349.

(٥٤) انظر ٠ Ashtor, Histoire des prix, P. 174.

(٥٥) ومن هذه الوصايا ، وصية لامرأة تدعى ست الاهل ابنة أبي على العطار ، وزوجة أبو نصر الحلبي وذكرت فى وصيتها التى حررت ١١٤٣/٥٣٨ ، أن يكون الكفن عبارة من ملاءة ومعجر وملاية ، انظر ٠ Ibid.

(٥٦) انظر ٠ Op. Cit. P. 251.

الباب الثالث

دور المرأة فى سياسة الدولة

- الفصل الأول : ست الملك
- الفصل الثانى : الملكة أم المستنصر
- الفصل الثالث : نساء العصر الفاطمى الثانى

الفصـــــل الاول

ســت الملــك

(أ) تقديم المشورة للحاكم

(ب) مقتل الحاكم واتهام المؤرخين

(هـ) تولية الخليفة الظاهر

(د) تدبيرشؤون البلاد في الداخل والخارج

يحفل التاريخ الاسلامى بوجود بعض الشخصيات النسائية الهامة التى أسهمت فى شتى المجالات ، لا سيما فى المجال السياسى . ولقد برز دور المرأة منذ بداية الدعوة الاسلامية ، اذ كانت من أوائل الذين دخلوا الاسلام أمثال السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك السيدة فاطمة الزهراء ، التى قدر لها أن تحفظ سلالة النبى فى ذريتها . كما تعتبر السيدة زينب بنت الامام على من أوائل السيدات اللاتى لعبن دورا سياسيا هاما خلال مأساة كربلاء(١) . ووجد أيضا بعد ذلك فى العصور الاسلامية نساء حكمن من وراء ستار ، وكان لهن أثر كبير فى مجريات الأحداث السياسية .

أما فى مصر فى العصر الفاطمى ، فلقد قامت المرأة بدور كبير فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية . ولدينا بعض النساء اللاتى شاركن فى هذا المجال أمثال السيدة ست الملك ، التى تعتبر من أهم الشخصيات النسائية فى تلك الفترة على الاطلاق ، وهذا يرجع الى الدور السياسى الهام الذى قامت به فى شئون الدولة .

وست الملك ، هى ابنة الخليفة العزيز بالله ، واخت الخليفة الحاكم من أبيه ، وتعرف أيضا باسم سيدة الملك أو ست النصر(٢) .

---

(١) انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، ١ ، ص ٩٢ .

(٢) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ .

ولدت بالمغرب عام ٣٥٩/٩٧٠(٣) • ولعلها أكبر أبناء الخليفة العزيز، لذا حظت بمكانة عالية لديه ، وأحيطت بكل أسباب الترف ، ويبدو ذلك فى بناء الخليفة العزيز القصر الغربى لها ، لتعيش فيه بمفردها(٤) ، كما كان لها طائفة خاصة بالقصر تسمى العطوفية(٥) ، وطائفة أخرى تسمى القيصرية ، ولعلها خاصة باصطحابها خارج القصر(٦) • ولها بالقصر أربعة آلاف جارية يقمن بخدمتها(٧) ، هذا فضلا عن الدواوين الخاصة بها ، ولها كاتب وعدة موظفين ، واقطاعات تدر لها كل عام مبلغا كبيرا(٨) • كما تلقب بعدة ألقاب تدل على مكانتها مثل السيدة الشريفة(٩) ، كما تخاطب بمولاتنا(١٠) •

ويكاد يجمع المؤرخون على أن ست الملك كانت ذات شخصية متميزة ، لما كانت تتمتع به من العقل والحزم(١١) • ولعل عدم زواجها قد أعطاها الفرصة فى أن تكرس حياتها لمصلحة الدولة ، التى نشأت فيها وهى قوية ، لذلك حرصت دائما على تقديم النصح لأخيها الحاكم الذى تولى الخلافة صغيرا • فهى لم تكن بعيدة عن الأحداث السياسية ، ولكنها على ما يبدو كان لها كيان مستقل • وكان الخليفة

---

(٣) يحيى بن سعيد ، ص ٢٤٤ •

(٤) الخطط ، ١ ، ص ٤٥٧ •

(٥) نفسه ، ٢ ، ص ١٣ • وتنسب الى عطوف احد خدام القصر واصله من خدام أبيها •

(٦) ابن ميسر ، ص ٥٠ ، أتعاظ ، ١ ، ص ٢٩١ •

(٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٥٨ •

(٨) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٣ •

(٩) التحف والذخائر ، ص ٦٨ •

(١٠) الكامل ، ٩ ، ص ١١٩ •

(١١) النجوم ، ٤ ، ص ١٨٥ ، مرآة الزمان ، ١ ، ورقة ٤٠٥ •

الحاكم يتقبل مشورتها ويعرض عليها بعض الأمور ، الخاصة بالسياسة الخارجية ليأخذ برأيها(١٢) • كما أن شخصيتها المتميزة جعلت بعض المحيطين بها يلجأون اليها فيشكون الخليفة الحاكم لها فى بعض الأحيان مما يجعلها تقوم بدور الوسيط لصالح البلاد كما كان لها أعوان خارج البلاد فى الاقاليم التابعة للخلافة الفاطمية يكاتبونها بأحوال الولاة(١٣) •

وعندما أراد الخليفة الحاكم أن يستخلص حكمه من أيدى الطامعين امثال برجوان وغيره ، ظلت ست الملك تسدى اليه النصح ، ولعلها كانت على علم من الخليفة برغبته فى التخلص من برجوان(١٤) •

ومع ذلك ، فلقد اتهمت من قبل معظم المؤرخين بقتل الحاكم ، وذكروا فى ذلك أسبابا تؤيد هذا الادعاء ، منها أسباب سياسية تتعلق ، برغبة ست الملك فى تعيين ابن عمها قبل تولية الحاكم ، ولم يمنعها من تنفيذ ذلك سوى برجوان الذى استطاع أن يبعدها(١٥) ، كما أن الخليفة الحاكم نفسه كان يحقد عليها لتدخلها فى الحكم(١٦)، هذا الى جانب أسباب شخصية نتيجة لسوء العلاقة بينهما ، وما كان الخليفة يتهم به أخته ويشك فى سلوكها ، ويبعث اليها بالقوابل ليتحروا شأنها(١٧) وكذلك الاشاعات التى قيلت حولها من قبل عامة الشعب ووصلت الى الخليفة(١٨) •

---

(١٢) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ •

(١٣) نفسه ، ص ٧٩ •

(١٤) الكامل ، ٧ ، ص ١٠٥ •

(١٥) نفسه ، ٧ ، ص ١٧٧ •

(١٦) النجوم ، ٢ ، ص ١٨٥ •

(١٧) الأزدى ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، حسن المحاضرة ، ٢ ، ص ١٥ •

(١٨) نفسه •

ولقد ساق بعض المؤرخين في كيفية قتل الخليفة الحاكم قصة مؤداها ان ست الملك هى المدبرة الأولى لهذه الجريمة ، بالاتفاق مع أحد كبار رجال الدولة ، وهو سيف الدولة بن دواس ، أحد شيوخ كتامة ، الذى كانت علاقته بالخليفة الحاكم أيضا سيئة مما جعلها تقدم على الاتفاق معه ، وانها فعلت ذلك رغبة منها فى صيانة نفسها وكذلك دولة آبائها ، خاصة بعدما ادعى الخليفة الألوهية . ولقد وعدت ابن دواس بانه سوف يكون قائد الجيش ومدبر شئون الدولة بعد الخليفة ، كما أعطته الأموال والخلع واقطعته اقطاعات كثيرة ، واتفقت معه أن يتم ذلك على يد عبدين يثق بهما ، قدمت اليهما بعض الهبات والاقطاعات ، هذا فضلا عن أنها رسمت الخطة لكيفية قتله . عندما يخرج ويصعد الجبل ويكون منفردا وأن العبدين استطاعا تحقيق ذلك ، وحملا الحاكم الى ست الملك ، التى دفنته فى مجلسها وكافأت العبدين وابن دواس على ذلك(١٩) .

وعلى الرغم من ذلك ، فمن المعتقد ان ست الملك لم تشترك فى تدبير هذه الجريمة ، بدليل العلاقة الحسنة بين الأخوين ، والتى تمثلت فى تبادل الهدايا الثمينة والاقطاعات بين الخليفة الحاكم وست الملك(٢٠) والعمل بمشورتها فى شئون البلاد كما أن الأسباب

---

(١٩) النجوم ، ٤ ، ص ١٨٥ ــ ١٨٧ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٨ .

(٢٠) التحف والذخائر ، ص ٦٨ ، اتعاظ ، ٢ ص ١٥ ، ص ٣٣ .

فلقد اهدت ست الملك لاخيها الحاكم فى ٩٩٧/٣٨٧ ثلاثين فرسا مسرجا ، احدهما مرصع وآخر بلور ، وعشرين بغلة مسرجة بلجمة ، وخمسين خادما منها عشرة صقالبة ، ومائة تخت ثياب وتاجا مرصعا وشاشية مرصعة واسفاطا كثيرة من طيب وبستانا من الفضة كما اقطعت ست الملك اقطاعا مبلغه مائة ألف دينار منها ضياع فى الصعيد واسفل الارض ، لمالية وستون ألفا واربعمائة وخمسون دينارا ؛ منها بوتيج سنة الاف وسبعمائة وخمسون دينارا ، وصهرشت ==

التى أوردها المؤرخون فى قتلها للحاكم ، هى أسباب قد افترضوها ، ومنها ادعاء الحاكم الألوهية ، والتشنيع بسلوك ست الملك ، هذا فضلا عن أن ست الملك قد اتسمت بصفات تجعلها توقن خطر الاقدام على قتل الحاكم ، كما أن تخلصها من كل الرجال الذين أحاطت بهم الشبهات عن قتل الخليفة ما يؤيد أيضا عدم قيامها بهذا الأمر .

كما اختلفت الروايات حول قتل الحاكم ، وان كانت فى معظمها تتهم ست الملك ، ولعل هذا الاختلاف راجع الى الغموض الذى أحاط بمقتل الحاكم ، وان كانت فى مجموعها تبرىء ست الملك ، ومنها ما ذكره المقريزى(٢١) ، الذى ينفى عن ست الملك الاتهام ، ويرى ان هذا جاء من اختراع مؤرخى المشارقة ، وهو يعتمد فى ذلك على رواية أخرى ، نقلا عن المؤرخ المسبحى الذى عاصر خلافة الحاكم ، وانه تم القبض على رجل من بنى الحسين بالصعيد الأعلى ، اعترف بقتله للخليفة الحاكم وكذلك الطريقة التى قتله بها .

واذا كنا نتفق مع المقريزى فى تبرئة ست الملك من قتل الحاكم ، فان هناك ما يوجب الحيرة لديه ، لأنه يذكر ايضا فى كتاب آخر(٢٢) ما يشير الى اتهام ست الملك ، ولعل هذا الاختلاف ، نتيجة للروايات التى اعتمد عليها فى كلا الكتابين ، وأن هناك كتابا سابق على آخر ، وكان المؤلف لم يقف بعد على رواية المسبحى ، التى تنفى الجريمة عن ست الملك .

= سبعة عشر الف دينار ، ودمنهور خمسة آلاف دينار ، بما فى ذلك ، وهو وثلاثون الف دينار وخمسمائة دينار من دور وبساتين ورسوم واذا كان هذا الاقطاع قد منح لست الملك عام ٩٩٩/٣٨٩ فهذا يدل على أنه قد منح لها من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله .

(٢١) الخطط ، ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦ .

كما نتفق مع ما ذكره الدكتور عبد المنعم ماجد في كتابه ا
بأمر الله(٢٣) ، بشأن تبرئة ست الملك ، والروايات التي اعتمد
ليؤكد ذلك ومنها رواية ترجع سبب قتل الحاكم الى ابن دواس لا
سياسية تتعلق بسياسة الخليفة الحاكم تجاه المغاربة ، والتي يـ
اليها ابن دواس خاصة بعد ثورة أبي ركوة(٢٤) ٠

ثم رواية أخرى ، تنسب الى بعض الاعراب ، الذين ا
الخليفة وهو في طريقه الى جبل المقطم وطلبوا منه المال ، و
تعلل بانه ليس لديه ما يعطيهم تركوا بعضهم معه وذهبوا مع الو
لاحضار المال ، وعندما عادوا ، لم يجدوا الخليفة الحاكم
وجدوا حماره وجباته السبع وعليها آثار الدماء(٢٥) ٠

ولعل تصرف ست الملك بعد فقد الخليفة الحاكم في ٤
٤١١/فبراير ١٠٢٠(٢٦) ، يعد مثالا رائعـــا في كيفية حفـــ
على دولة آبائها بطريقة ايجـــابية ، لأنها استطاعت أن تتح
بشئون الحكم في الداخل والخارج حتى وفاتها ، ولقد بدأ د
بعد اختفاء الخليفة مباشرة ، وذلك في تكتمها لخبر موته وتط
للشعب على سلامة الخليفة ، حتى تحافظ على أمن البلاد(٢٧)

بعد ذلك ، بعثت ست الملك الى عامل مدينة تنيس باسم الـ
الحاكم أن يحمل ما عنده من أموال استحقت عليه ، وكانت عن ،
سنوات مضت ، وكان الخليفة قد أمره بتركها عنده ، فحملت
بعد وفاته(٢٨) ٠

---

(٢٣) انظر ، صفحات ١٧١ – ١٧٣ ٠
(٢٤) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٨ ٠
(٢٥) نفسه ، ص ٢٣٣ ٠
(٢٦) نفسه ، اتعاظ ، ٢ ، ص ١١٥ ٠
(٢٧) الكامل ، ٧ ، ص ٣٦ ، نفسه ٠
(٢٨) الخطط ، ص ١٨١ ، مرآة الزمان ، ١١ ، ورقة ٤٠٨ ٠

ولما كان لابد من تعيين خليفة جديد ، اذ أن ست الملك لا تستطيع ان تحكم البلاد بصفة مباشرة ، لذا أعلنت تولية ابن الخليفة الحاكم وهو ابو الحسن على ، الذى لقب بالظاهر لاعزاز دين الله ، وقامت بكل المراسيم الخاصة بتعيين خليفة البلاد(٢٩) وأعلنت توليته فى القصر فى حضور كبار رجال الدولة وكان ذلك فى العاشر من ذى الحجة ، بعد سبعة أيام(٣٠) ، وان ذكر البعض أن هذه المدة أحد وأربعون يوما(٣١) ، وهذا معناه أن ست الملك ظلت تحكم البلاد وتدير شئونها فترة ليست بالقصيرة قبل اعلان وفاة الحاكم وتولية الظاهر ، حقيقة كانت ست الملك هى الحاكمة الفعلية للبلاد حتى بعد تولية الظاهر الذى تولى الخلافة صغيرا ، لذا أخذت تدير أحوال البلاد فى الداخل والخارج ٠

وبالنسبة للأحوال الداخلية ، فلقد جمعت أهل مصر وخطبت فيهم ووعدتهم بحسن السيرة والعدل بينهما ، ثم أطلقت للنساء الخروج من منازلهن والتصرف فى أمورهن(٣٢) ، كما استرجعت بعض الأموال والجواهر والاقطاعات ، كان الخليفة الحاكم قد قررها ، وكذلك قطعت بعض الرواتب والأرزاق ، التى لم تكن هناك ضرورة لاستمرارها حفاظا على مالية البلاد(٣٣) ٠

كما عملت ست الملك على التخلص من كل العناصر التى حامت حولها الشبهات بشأن قتل الخليفة الحاكم أمثال ابن دواس ، الذى استدعته للقصر وأمرت بقتله ، وكذلك الوزير خطير الملك الذى خشيت

---

(٢٩) أنظر ٠ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ٦٥ – ٦٦ ٠
(٣٠) المصدر السابق ، ٧ ، ص ٣٦ ٠
(٣١) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٥ ٠
(٣٢) المقريزى ، اتعاظ ، ٢ ، ص ١٢٦ ٠
(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ٠

نفوذه على الخليفة الظاهر(٣٤) ، ولعل هذا الأمر كان ضروريا ، لاستخلاص الحكم للخليفة الصغير ٠

اما عن ولى العهد ، عبد الرحيم بن الياس ، الذى كان قد ولى العهد من قبل الخليفة الحاكم عام ١٠١٣/٤٠٤،ودعى لهعلى المنابرفى سائر الاقاليم التابعة للخلافة ، ونقش اسمه على السكة والطراز والبنود ، واخذت له البيعة(٣٥) فان ست الملك بعد تولية الخليفة الظاهر ، بعثت لامراء الشام للقبض عليه ، ولكنه لم يوتم بذلك واستولى على دمشق التى كان واليا عليها ، ورخص للناس شرب الخمر والملاهى ، ولكن الجند استطاعوا أن يقبضوا عليه ويرسلوه الى مصر ، حيث حبس فى القصر حتى مات مسموما(٣٦) وليس معنى هذا أن ست الملك قد تدخلت فى نص الخليفة الحاكم ، لأن الحاكم قبل وفاته كان قد غضب على ولى عهده ، لأنه كان يعارض مذهب الخليفة الجديد ، كما انه كان مكروها ، ولم تكن له صفات الخليفة الحاكم فى البساطة والتقشف ، ولعله عينه خارج البلاد واليا على دمشق عام ١٠١٨/٤٠٩ للتخلص منه(٣٧) ٠

اما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للبلاد ، فان جميع المكاتبات كانت تصدر عن ست الملك باسم الخليفة الظاهر ٠ لذا ارسلت الى ولاة بلاد الشام تعلمهم بوفاة الخليفة الحاكم وتولية الخليفة الظاهر ، لأخذ البيعة له فى هذه الاقاليم(٣٨) ٠

---

(٣٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٠ ـ ٦١ ٠
(٣٥) يحيى بن سعيد ، ص ٢٠٧ ، انظر ، ماجد ، الحاكم ، ص ١٧٨ ٠
(٣٦) نفسه ، ص ٢٣٤ ٠
(٣٧) انظر ، المرجع السابق ٠
(٣٨) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٢٦ ، الكامل ، ٧ ، ص ٣٦ ٠

كما استطاعت ست الملك أن تسوس أمور الحكم بالنسبة لولاة الاقاليم التابعين للخلافة ، واستعملت فى ذلك أساليب الحكام الدهاة فى استخدام الحيلة وتأليب رجل على آخر للتخلص ممن يريد أن يشق عصا الطاعة على الخلافة الفاطمية • ولقد حدث ذلك لوالى حلب الذى يدعى فاتك الوحيدى ، عندما أراد العصيان ، فاستخدمت غلامه بدر وبذلت له العطاء ليقضى عليه ، واستطاع أن يفعل ذلك باستخدام غلام هندى لفاتك ، ثم كتب لست الملك يعلمها بما جرى ، فبعثت له بالخلع ووهبته جميع ما خلفه الوالى وقلدته ولاية حلب(٣٩) •

أما بالنسبة للعلاقة الخارجية على المستوى الدولى ، وخاصة بدولة الروم البيزنطية التى كانت تحاول دائما استرداد بلاد الشام ولقد حدث على اثر ذلك مواجهة بين الجيشين ، وكان لانتصار جيش الخليفة العزيز بعد وفاته ، أن عقد برجوان وصى الخليفة الحاكم الصلح مع الروم عام ١٠٠٠/٣٨٩(٤٠) لمدة عشرة سنوات،ولكن عند فقد الخليفة الحاكم خشيت ست الملك من باسيل الثانى Basilios 11 أن ينقض الصلح خاصة انه هدد بقطع العلاقة بينهما وهدد بمهاجمة الفاطميين ، فسارعت ست الملك حتى تعمل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين ، وحتى تخبره بما أقدمت عليه من اجراءات لتحرير النصارى ، وحماية أموالهم وأرواحهم وتجديد الكنائس ، وخاصة كنيسة القيامة بعثت نيقفور بطريرك بيت المقدس على رأس السفارة

---

(٣٩) النجوم ، ٤ ، ص ١٩٤ ــ ١٩٥ ، المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ •

(٤٠) يحيى بن سعيد ، ص ١٨٤ ، انظر ، ماجد ، الحاكم ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣ •

من غير مكاتبة مما جعل باسيل الثانى ينقض هذا الاتفاق بعد وفاة ست الملك اثناء وجود البطريرك فى القسطنطينية(٤١) ٠

واذا انتقلنا الى سياسة ست الملك نحو أهل الذمة ، نجد أنها كانت تتسم بالتسامح الدينى ، لاسيما تجاه النصارى لأن امها كانت سيدة مسيحية ، ولقد بدأ دور ست الملك مبكرا منذ أيام الخليفة العزيز، عندما شكا اليها المسلمون مدى سطوة اليهود والنصارى فى البلاد ٠ فامر بالقبض على منشا اليهودى والمتصرفين من اليهود بالشـــام وكذلك القبض على عيسى بن نسطورس وزملائه الكتاب النصارى ، ورد الأعمال بالدواوين الى الكتاب المســلمين ، فلجأ عيسى بن نسطورس الى ست الملك لتشفع له عند الخليفة ليصفح عنه ويعود الى وظيفته(٤٢) ٠ وكذلك أيام الخليفة الحاكم عندما شكا اليها أحد النصارى العاملين بخدمتها من ظلم ابن النحوى متولى ديوان الشام، فأخبرت الحاكم بذلك وتم التخلص من ابن النحوى لترفع الظلم عن النصارى(٤٣) ٠

وبعد اختفاء الخليفة الحاكم ، وقيامها بتدبير شئون البلاد ، لم تتعرض لرجال الدين من أهل الذمة ، كما لم تتدخل فى الاجراءات الخاصة بانتخاب البطاركة ، وترك الأمر للقساوسة والأساقفة فى الكنيسة ، وكان دورها يقتصر فقط على مباركة تعيين البطريرك الجديد وتستقبله فى القصر وتقدم له الهدايا والتحف التى كانت لديها من خالها البطريرك الأسبق أرسانى (ارسانيوسور) ، كما سمحت للنصارى ببناء الكنائس ، وعلى الرغم من ذلك كانت تتمصل على

---

(٤١) نفسه ، ص ٢٤٣ ٠

(٤٢) الأزدى ، ص ٤١ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٤٩ ٠

(٤٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ ٠

الرسوم والخراج المقرر على الكنائس ، والتى أمر الخليفة الحاكم من قبل بالمسامحة فيه(٤٤) • وهذا يدل على تدبيرها لأمور الدولة بحنكة وقدرة فائقة ، اذ أنها وضعت مصلحة الخلافة فوق كل اعتبار •

وتوفيت ست الملك بعد أن ظلت تحكم البلاد طيلة أربع سنوات فى أواخر عام ٤١٤/١٠٢٣ ـ ١٠٢٤(٤٥) عن خمسة وخمسين عاما ، كما يذكر البعض أنها توفيت فى عام٤١٥/١٠٢٤(٤٦) وان كانت قد عاشت بعد فقد الحاكم أربع سنوات كما يذكر البعض(٤٧) •

---

(٤٤) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ •
(٤٥) العينى ، تاريخ • ورقة ٧٢٢ ، انظر • عنان الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٦ •
(٤٦) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٧٤ ، بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ •
(٤٧) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٦١ ، أبن الصيرى ، ص ٣١٣ •

الفصـــل الثـــانى

الملــكة أم المستنصـــر

(أ) أسباب سيطرة أم المستنصر على الحكم ٠

(ب) تدخلها فى الشؤون الداخلية للبلاد ٠

(هـ) مساندة العبيد وتدهور أحوال البلاد ٠

تعتبر أم الخليفة المستنصر ثانى الشخصيات النسائية التى لعبت دورا سياسيا كبيرا فى شــئون البلاد أثر الى حد كبير فى اضطراب أحوال الخلافة من مجاعات وثورات فى الداخل وتقويض لممتلكات الفاطميين فى الخارج على أيدى الفرنجة ، حتى ســقطت الخلافة فى النهاية عام ١١٧١/٥٦٧ ٠

وأم المستنصر وتدعى السيدة رصد(١) ، كانت جارية سوداء تحظاها الخليفة الظاهر فولدت له المســتنصر الذى تولى الخلافة صغيرا(٢) ، مما مهد لها الطريق للسيطرة عليه وأحاطت نفسها بعدة مظاهر تؤكد ذلك فاتخذت العلامة للتوقيع على الأوراق الرسمية ، وكانت علامتها « الحمد لله ولى كل نعمة »(٣) ٠ ولعلها أول علامة ذكرتها المصــادر لامرأة فى تلك الفترة ، وليس معنى هذا أن أم المستنصر أول من اتخذت العلامة من النساء ثم اعتبر تقليدا بعد ذلك بدليل وجودها لبعض النساء(٤) ٠ حقيقة ان ست الملك قامت بدور سياسى هام ومع ذلك لم تذكر المصادر أنها اتخذت العلامة وذلك

---

(١) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٨٤ ٠ ولو أن المقريزى ذكر أيضــا ان أم الظاهر تدعى رصد ، الخطط ، ٢ ، ص ٦٠) ٠

(٢) ابن ميسر ، ص ١ ، نفسه ، ١ ، ص ٢٢٥ ٠

(٣) سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ ٠

(٤) نفسه سجل رقم ٢٨ ، ص ٩٦ ، ٣٥ ، ص ١٠٩ ٠

ربما راجع الى قصور المصادر التاريخية الى جانب أن المصـــدر الوحيد الذى ذكر تلك العلامات اقتصر على الفترة التى حكم فيها المستنصر والمستعلى ٠

كما كانت أم المستنصر تتلقب بعدة القاب تدل على أهميتها مثل السيدة ، الملكة(٥) وكانت تخاطب من قبل الخليفة المستنصر وكبار رجال الدولة بمولاتنا(٦) ويشار اليها بالجهة الجليلة والســـتر الرفيع(٧) ، فضلا عن ذلك كان لها ديوان خاص بها لادارة شئونها وهى ربما ممتلكات كثيرة أو لعلها كانت تمارس نشاطا تجاريا أتاح لها ثروة هائلة ، فكان لها خزائن خاصة بها ، ولكن سرعان ما تحول هذا الديوان الى مقر للحكم لها من دون الخليفة(٨) وكان بهذا الديوان موظفون كثيرون منهم من يوكل لأعمالها وان كانت أهم شخصية فى هؤلاء الموظفين هو رئيس الديوان بالاضافة الى ذلك كونت فرقة من العبيد خاصة بها عدتها خمسون الفا(٩) ٠

ولعل الذى سمح لها بتلك السيطرة ليس فقط صغر سن الخليفة الذى تولى الخلافة وهو دون الثمانى سنوات ، فغالبية الخلفاء قد تولوا الخلافة فى سن صغيرة ولاسيما فى العصر الفاطمى(١٠) الثانى ، ومع ذلك لم تظهر شخصيات نسائية ملفت مثل أم المستنصر وذلك لأن هناك عدة عوامل قد تضافرت لتهيىء لأم المستنصر السيطرة

---

(٥) نفسه ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ ٠
(٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٠٦ ، سير الآباء ، ٣ ورقة ٨٨ ٠
(٧) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ ، ٨٩ ٠
(٨) انظر ، ماجد ، المستنصر ، ص ٢٣ ٠
(٩) الخطط ، ١ ، ص ٣٣٥ ٠
(١٠) النجوم ، ٥ ، ص ١ ، تولى الخليفة الآمر الخلافة وعمره خمس سنوات وكذلك الفائز وعمره لا يتجاوز ثلاث سنوات ٠ نفسه ، ١ ، ص ٣٥٧ ٠

على الحكم ، ولعل منها ضعف شخصية المستنصر مما أتاح لها الفرصة أن تحكم دونه ، ولكن هذا أيضا كان السمة الغالبة لبعض الخلفاء مما أدى الى سيطرة الوزراء عليهم ، ولكن الأهم من ذلك هو خلو تلك الفترة ، التى سيطرت فيها أم المستنصر والتى امتدت من عام ١٠٤٥/٤٣٦ الى عام ١٠٧٠/٤٦٢ من وجود شخصيات قوية وهى التى تتمثل فى الوزارة وكان من الممكن أن تحد من تدخلها فهذه الفترة محصورة بين وفاة الجرجرائى(١١) ، ذلك الوزير الذى كان له من النفوذ الواسع بحيث لم يعطها الفرصة هى وغيرها للسيطرة ، وظهور ناصر الدولة بن حمدان قائد الجيش وزعيم الأتراك الذى أوقف تدخلها فى شئون الحكم(١٢) ٠

ومع ذلك فلقد وجدت شخصيات أثرت الى حد كبير فى تصرفات أم المستنصر ، ومن أهمها أبو سعد ابراهيم بن سهل التسترى(١٣) ، وهو من أسرة يهودية أسلمت منذ أيام الحاكم ومارست أعمال التجارة والصيرفة ولقد استخدم الظاهر أبا سعد هذا فى شراء ما يحتاجه وكان من بين ما باعه له هذه الجارية التى أصبحت زوجة خليفة وأم خليفة ، ولذلك رفعت التسترى الى خدمتها ، ربما رغبة منها لرد الجميل فعينته رئيسا لديوانها ، ولعل التسترى هو السبب فى توجيه أنظار أم المستنصر للسيطرة على الخليفة وما يؤكد ذلك

---

(١١) هو أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى أصله من العراق ٠ اشتغل عند ست الملك ثم فى ديوان الانشاء وعزل من منصبه لفك أحمد الشكاوى ثم عاد مرة أخرى وتولى الوزارة للظاهر ٢٨/٤١٨ ٠ وظل فيها بعد ما تولى المستنصر الخلافة حتى توفى ١٠٤٥/٤٣٦ ٠

(١٢) العينى ، تاريخ ، ورقة ٢٤٣ ، انظر ٠ ماجد ، المستنصر ص ١٧٨ ٠

(١٣) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٤ ٠

ان كلا من أم المستنصر والتسترى لم تظهر أطماعهما الا بعد وفاة الجرجرائى ·

اما الشخصية الثانية التى سيطرت على أم المستنصر فتمثلت فى ابى محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن والذى اشتهر باليازورى(١٤) ، وهو اصلا من أهل يازور من أعمال الرملة بفلسطين تولى القضاء فيها بعد أبوه ولكنه مالبث ان عزل ، فجاء الى مصر محاولا اعادته مرة أخرى للقضاء ، ولكن الظروف ساعدته فى الوصول الى خدمة أم المستنصر ولقد كان كلا من التسترى واليازورى لهما تطلعات استطاعا ان يحققاها من خلال أم المستنصر ولذلك لم يحاولا الحد من تدخلها فى شئون الحكم ، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة لوصول كل منهما الى غايته ولكنهما سيطرا عليها بطريق غير مباشر ·

الى جانب ذلك كان لاعوانها من الرجال والنساء دخل كبير فى سياستها(١٥) ، فضلا عن ذلك التصارع من أجل السلطة جعل كل وزير يأتى للوزارة يحاول أن يتقرب اليها وذلك عن طريق الاساءة لمن سبقه ولمن حوله واذا أضفنا الى ذلك قوة شخصيتها ورغبتها الأكيدة فى السيطرة ، نستطيع أن نؤكد أن كل هذه العوامل فى مجموعها قد يسرت لأم المستنصر التدخل فى شئون الحكم ، ولما كانت لا تتسم بصفات تؤهلها للحكم لمصلحة البلاد كما فعلت ست الملك من قبل ، لذا جاء تدخل أم المستنصر عشوائيا ، اذ كانت تتحرك بأهواء من حولها وهذا يتضح من خلال تدخلها فى شئون الوزارة

---

(١٤) ابن ميسر ، ص ٨ ، رفع الاصر ، ١ ، ص ١٩١ ·
(١٥) السيرة المؤيدية ، ص ٦٤ ·

والقضاء والدعوة ، ثم تفضيل بنى جلدتها من العبيد على بقية فرق الجيش مما أدى الى فتنة أدت الى اضطراب أحوال البلاد .

وأول من تعرض لسياسة أم المستنصر الخرقاء فى الوزارة أبو على بن الانبارى ، الذى تولى الوزارة بعد الجرجرائى ولقد عزلته عن الوزارة قبل ان يتم العام(١٦) وذلك بتحريض من التسترى لسوء العلاقة بين ابن الانبارى وأبى نصر أخى التسترى ، فطلبت من ابنها أن يعزله ، ولم تكتف أم المستنصر بعزل ابن الانبارى بل قبضت عليه واتهمته بسرقة الأموال ثم أودعته السجن فى خزانة البنود ، ولعل السبب الآخر في عزله راجع لرغبتها فى التخلص من كل الذين كان لهم علاقة بالوزير السابق .

ثم تولـى الوزارة بعد ذلك أبو منصور صدقة الفلاحى بايعاز من التسترى ، وهذا أمر طبيعى فهو يهودى مثله قد أسلم(١٧) ، الى جانب ذلك استطاع أن يعين أخاه رئيسا لديوان الخليفة وابنه امرة الدواوين(١٨) ، وبذلك أصبح التســترى مســيطرا على الخليفة والخــلافة ، حتى كان النــاس يحلفون وحق النعمــة على بنى اسرائيل(١٩) مما يدل على ما وصل اليه التسترى وأسرته ولما كان

---

(١٦) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٤ .

(١٧) ابن ميسر ، ص ، سير الآباء ، ٣ ، ورقة ٧٤ .

(١٨) اشارة ، ص ٣٨ ، نفسه ، ص ١ .

(١٩) نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٤ ولقد عبر الشاعر المصرى ابن البواب مما وصل اليه اليهود بقوله :

يهــود هـذا الزمان قــد بلغــوا   غايــة آمــالهم ، وقــد ملــكوا
العــز فيهم ، والمــال عنــدهم   ومنهـــم المستشـــار والمــلك
يا اهــل مصر : قــد نصحت لكم   تهــودا ، فقــد تهــود الفــلك

حسن المحاضرة ، ٢ ، ص ١١٦ ، انظر .
Mann, The Jews in Egypt, I. P. 6.

هدف التسترى من تعيين وزير من قبله ، هو محاولة الحكم من دونه وهذا ما تم له ، فلم يترك للفلاحى من الوزارة سوى الاسم فقط ، لذا عمل الفلاحى على التخلص من التسترى بأن حرض الأتراك على قتله فى عام٤٣٩/١٠٤٧(٢٠) . وكان يبغى من وراء ذلك التقرب من أم المستنصر ، التى سرعان ما صرفته عن الوزارة وتم قتله(٢١) .

ثم تولى الوزارة بعد الفلاحى ، أبو البركات الحسين بن عماد الدولة الجرجرائى بمشورة اليازورى(٢٢) ، وعلى الرغم من ذلك حدثت معاداة بينهما ، اذ يبدو أنه كان لابد من وجود عداء بين الوزير القائم ورئيس ديوان الملكة ، كما حدث من قبل بين الفلاحى والتسترى ، وهذا يرجع الى أهمية وظيفة رئيس الديوان ، اذ أن الخدمة فيه وصفت بأنها باب الملك(٢٣) وأجل الخدم(٢٤) وكان الوصول لهذه الوظيفة يأتى عن طريق تقديم الرشوة والهدايا للمحيطين بالسيدة الملكة وكذلك عن طريق الاتصال ببعض النساء والمقربات اليها من حظايا القصر(٢٥) ، وعلى الرغم من ذلك كان الكتاب المصريون يعزفون عن الخدمة فى هذا الديوان(٢٦) ، ولما كان اليازورى قد سعى الى الخدمة فى ديوان الملكة بشتى الطرق بعد رفض الكثيرين له فكان لذلك نتائج مؤثرة بالنسبة لليازورى ، فلقد ازداد نفوذه بشكل ملحوظ فكان لا يقوم لأحد بأمر من الملكة الا رفق

---

(٢٠) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٩٥ .
(٢١) المصدر السابق ، ٢٦ ورقة ٦٥ .
(٢٢) رفع الاصر ، ١ ، ص ١٩٢ .
(٢٣) نفسه ، ١ ، ص ١٩٣ .
(٢٤) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٠٦ .
(٢٥) المصدر السابق ، ١ ، ص ١٩١ .
(٢٦) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ .

المستنصرى وكيل أم المستنصر الذى كان سببا فى وصوله(٢٧) ، كما ان اليازورى كان يشير على الخليفة فى أموره ، لذلك كان الخليفة لا يخاطب الوزير الا على لسانه مما أدى الى قلق الوزير الذى عمل على ابعاد اليازورى عن خدمة أم المستنصر وذلك بأن سعى له فى أن يتولى القضاء واستعمل فى ذلك الحيلة ، فأخذ يعرض بأحكام القاضى قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ويصف اليازورى بالعقل والمعرفة والانصاف(٢٨) .

وعلى الرغم من علم أم المستنصر بحيلة الوزير الا أنها دبرت الأمر لليازورى وذلك رغبة منها فى أن يحتفظ اليازورى بوظيفة رئيس ديوانها الى جانب القضاء حتى تمهد له الطريق للوزارة ، فسعت فى عزل الوزير أبى البركات من الوزارة وقبضت عليه ونفته الى الشام(٢٩) ، وبذلك تهيأت الظروف ، لأن يتولى اليازورى الوزارة ، ولكن بطريق غير مباشر ، فعينت أم المستنصر أبا الفضل مسعود واسطة وهى رتبة أقل من الوزير وذلك فى عام ٤٤١ ــ ١٠٤٩(٣٠) ، ثم سرعان ما عزلته وبذلك أصبح من السهل أن يتولى اليازورى الوزارة ، وعلى الرغم من رغبته فى الوزارة الا أنه ، أظهر فى أول الأمر عدم موافقته ، ولم يوافق على قبولها الا بعد تشجيع قائد الجيش ناصر الدولة بن حمدان له(٣١) .

ولم يقتصر تعيين اليازورى على الوزارة ، بل أضيف اليها القضاء والتقدمة على الدعاة ، هذا فضلا عن احتفاظه بوظيفة رئيس

---

(٢٧) رفع الاصر ، ١ ، ص ١٩٢ .
(٢٨) الناظر ، ٢ ، ص ٢٠٦ .
(٢٩) نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٥ .
(٣٠) الاشارة ، ص ٣٦ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٥٦ .
(٣١) انظر . ماجد ، المستنصر ، ص ٢٩ .

ديوان أم المستنصر ولكن بعد أن مكث في الوزارة ثماني سنوات ظهر له منافس هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، الذى اتهم اليازوري أمام الخليفة بعدة تهم من أهمها اتصاله بأعداء الخلافة الفاطمية في العراق ، ثم جمعه للثروات الهائلة من خلال وظائفه ، في حين أن اليازوري كان سببا في تعيين البابلي هذا في دواوين الخليفة، كان البابلي سببا في صرف اليازوري عن الوزارة ونفيه خارج القاهرة(٣٢) ، ثم قتله ، وهذا يبين مدى التصارع الدائر من أجل منصب الوزارة في ذلك الوقت • ولم تعمل أم المستنصر على ايقاف ذلك ، ولعلها هي أيضا قد خشيت من نفوذ اليازوري الذى اتسع واقتصر تدخلها فقط على الأمر بتكفينه ودفنه بعد أن ترك جسده في الطريق(٣٣) • ولقد حدث لليازوري مثلما حدث للتستري من قبل وكأن من تعلق بخدمة أم المستنصر كان لزاما عليه أن يلقى نفس المصير البشع ، ولعل ذلك راجع لأن من يعمل بخدمتها يدرك أنه من السهل أن يقدم على أشياء ضد مصالح البلاد ويثرى على حسابها وهو مطمئن الى انه يستند الى خدمة امرأة قد سلبت ابنها كل مظاهر الحكم ، وأخذت تحرك الأحداث بدون وعى كما أنها تحرك الوظائف ومعها الرجال •

وكان لموت اليازوري أثر كبير بالنسبة لأم المستنصر التي لم تجد من يدير شئونها ، ولذا بعد أن تولى البابلي الوزارة ، مكث فيها عدة أشهر ثم صرف وتبعه سلسلة من الوزراء طوال المدة من قتل اليازوري حتى ابعادها عن شئون الحكم ٤٦٢/١٠٧٠ عددا كبيرا من الوزراء ، وكان الوزير يمكث في الوزارة أشهرا أو أياما كما كان

---

(٣٢) رفع الاصر ، ١ ، ص ١٩٧ •
(٣٣) ابن ميسر ، ص ٨ •

الوزير يعزل من منصبه ثم يعود اليه عدة مرات(٣٤) وهذا يدل على مدى سوء تدخلها فى شئون الحكم ٠

اما القضاء فلم يسلم هو الآخر من تدخل أم المستنصر وسارت على نفس سياستها تجاه الوزارة ، فى أن يتولى القاضى القضاء عدة مرات(٣٥) وكانت تولية القضاة وعزلهم أمرا مألوفا ، وكان القاضى أحيانا يعود الى وظيفته مرة أخرى بعد أن يتوسط نساؤه لدى أم المستنصر أو بتدخل بعض وجوه نساء القصر ، اللاتى يتشفعن له عندها أيضا(٣٦) ٠ وأصبح القاضى لا يهتم بمنصبه فكان يحضر نائبا عنه والنائب هو الآخر يأتى عنه نائب(٣٧) وهذا دليل على مدى الاستهتار واللامبالاة ٠

وكذلك الدعوة لم تكن أحسن حظا من الوزارة والقضاء فكان أعوان أم المستنصر يمنعون الدعاة من مقابلة الخليفة(٣٨) ، وكانت وظيفة داعي الدعاة تعطى لمن لا يستحق ، وأحيانا كانت تجمع الوزارة والقضاء ، والدعوة في يد رجل واحد وهذا أقل دليل على مدى الاستهتار بتلك الوظائف العليا ٠ كما كان أحيانا يتم عزل الداعى أو القاضى عن منصبه ثم يعود نائبا وهذا ما حدث للقاضى القاسم بن عبد العزيز بن النعمان ، الذى عزل عن القضاء والدعوة ثم عاد نائبا لليازورى عام ٤٤٢/١٠٥٠ فى حين أنه هو الذى كان قد عزل

---

(٣٤) انظر ٠ ماجد ، المستنصر بالله ، ص ٢٢ ٠

(٣٥) السيرة المؤيدية ، ص ٩١ ٠

(٣٦) رفع الاصر ، ٣ ، ورقة ٣٤ ، انظر ٠ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٤٦ ٠

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٨٦ ٠

(٣٨) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٦ ٠

اليازورى من قبل عن قضاء يازور وكان رجوع ابن النعمان بعد تدخل بعض عجائز القصر من عزيزيات وحاكميات وكذلك نسائه ٠

كما ادى تغير الولاة فى الاقاليم التابعة للدولة نتيجة تدخل أم المستنصر وأعوانها الى تفكك امبراطورية الفاطميين وتقوقعها فى مصر ، ومع ذلك فلقد شاركت أم المستنصر فى عقد حلف مع ميخائيل الرابع عام ١٠٣٨/٤٢٩ ، الذى كان يسعى هو الآخر الى عقد مصالحة فى مصر لاعادة بناء كنيسة القيامة(٣٩) ، كما تشير السجلات المستنصرية(٤٠) الى ان أم المستنصر راسلت السيدة أروى ملكة اليمن ، ومما يسترعى الانتباه أن مشاركة أم المستنصر فى السياسة الخارجية قد جاءت قبل وبعد تلك الفترة التى سيطرت فيها على شؤون الحكم بصورة فعلية ، وهذا يجعلنا نظن أن نشاطها قد استمر بعد عام ١٠٧٠/٤٦٢ اذ أن هذا السجل يرجع الى عام ١٠٧٨/٤٧١. وان كان هذا النشاط السياسى بسيطا ٠

واذا انتقلنا الى الفتنة التى وقعت بين طوائف الجيش وخاصة الاتراك والعبيد ، نجد أنها كانت نتيجة لتدخل أم المستنصر وتفضيل بنى جلدتها من العبيد على بقية طوائف الجيش المختلفة(٤١) ٠ ولقد وقعت هذه الفتنة فى البلاد عام ١٠٦٣/٤٥٤ بعد حادث شخصى وقع بين

---

(٣٩) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٨٢ — ١٨٣ ٠

(٤٠) سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ٠

(٤١) كان الفاطميون يعتمدون على عدة طوائف فى الجيش منها طائفة المغاربة وطائفة الحجرية من أهل البلاد أو من المماليك وطائفة الديلم والاتراك وطائفة السود ومنهم نوعان الزنوج وعبيد الشراء أو الشرى وطائفة البدو . وأخيرا استخدموا المصريين ، الذين عرفوا باسم السرائيين ٠ انظر ٠ ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، صفحات ٣٦٩ — ٣٧٤ ، نظم الفاطميين ، ١ ، صفحات ١٩٥ — ٢٠١ ٠

أحد الأتراك الذى جرد سيفا على أحد العبيد وهو سكران ، فاجتمع العبيد على التركى وقتلوه ، هذا النزاع الذى تفاقم بشكل خطير فيما بعد لم يكن وليد ساعته، انما كانت له أسباب ترجع الى استكثار أم المستنصر من العبيد ورفع مكانتهم وبسط الأرزاق لهم حتى سار العبد يحكم حكم الولاة(٤١) ، وفى الجانب الآخر كانت تظهر كراهيتها للأتراك ، ولقد اتبعت فى ذلك تحريض الوزراء على فعل ذلك ، وكان أحيانا يصرف الوزير عن الوزارة عندما يرفض تنفيذ ما ترضاه(٤٢) وهى التفرقة بين طائفتى العبيد والأتراك ، ولقد ساهم أحد الوزراء وهو الفلاحى فى اتساع هذه الفجوة بين الطائفتين بأن أنقص عطاء الأتراك وزاد فى رواتب كل من العبيد والمغاربة حتى يحرش الأتراك بطريق غير مباشر على قتل التسترى(٤٣) ٠

بينما عمل اليازورى على أن يسوس الأمور بين الطائفتين(٤٤)، الا أنه عندما تولى البابلى الوزارة شرع فى ايجاد الخصومة بين الطائفتين عندما أمرته الملكة بذلك رغبة منه فى التقرب منها(٤٥) ، ولاسيما أنه تولى الوزارة بعد اليازورى أكبر معين لها ٠ ولذلك كان هذا الحادث الشخصى البسيط بمثابة تفجير للموقف ومع ذلك أنكر الخليفة المستنصر موقف العبيد فقامت الحرب بين الطائفتين وقتل الأتراك جماعة من العبيد ناحية كوم شريك القريبة من الاسكندرية(٤٦) ٠

---

(٤١) ابن ميسر ، ص ١٤ ٠
(٤٢) نفسه ٠
(٤٣) اتعاظ ، ٢ ، ص ٢٦٦ ، النجوم ، ٥ ، ص ١٩ ٠
(٤٤) نفسه ٠
(٤٥) نفسه ، نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٧ ٠
(٤٦) ابن ميسر ، ص ١٦ – ١٧ ، الكامل ، ٨ ص ١١٥ ، العبر ، ٤ ، ص ٦٣ ٠

ومما ساعد على اشتعال هذه الفتنة ، هو مساعدة أم المستنصر للعبيد بالمال والسلاح(٤٧) ، وعلى الرغم من محاولة الصلح بين الطائفتين من قبل الوزير أبو الفرج المغربى الذى تولى الوزارة عام ٤٥٢/١٠٦٠(٤٨) ، الا أن العبيد عادوا للاجتماع مرة أخرى لحرب الأتراك وخرجوا الى دمنهور ، ثم قويت شـــوكة الأتراك وطلبوا الزيادات فى واجباتهم ، فى حين ساءت أحوال العبيد لأن الأتراك منعوا أرزاقهم(٤٩) ، ومع ذلك لم تتراجع أم المستنصر عن موقفها من مساندة للعبيدة ، الذين ما لبثوا ان اجتمعوا بالجيزة ثم انهزموا الى الصعيد ، فسار وراءهم الأتراك وتغلبوا عليهم(٥٠) ٠

وعلى الرغم من وقوع البلاد فى تلك الاضطرابات نتيجة سياسة أم المستنصر ، الا أنها لم تحاول بعد اشتعال الموقف بهذه الصورة أن تعمل على التهدئة لصالح الخلافة بل استمرت فى معاندة الأتراك عندما جاءوا للخليفة فأخرجت من عندها من العبيد لتفتك بالأتراك مما أدى الى وقوع الحرب ثانية بين الطائفتين(٥١) ، حتى تم لناصر الدولة بن حمدان زعيم الأتراك التغلب على العبيد ، وكان لابد أن يوقف نشاط أم المستنصر الذى أدى الى وقوع تلك الفتنة ، فقبض عليها وعاقبها وأخذ أموالها(٥٢) ، وقيل انها فرت الى بغداد وذلك مستبعد نتيجة للخلاف المذهبى بين الفاطميين والعباسيين ٠

وبذلك يتضح أن أم المستنصر تدخلت فى كل شىء وكان الخليفة

---

(٤٧) العينى ، تاريخ ، ورقة ٢٠٥ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٣٥ ٠
(٤٨) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٦٧ ٠
(٤٩) ابن ميسر ، ص ١٦ ، اتعاظ ، ٢ ، ص ٢٧٣ ٠
(٥٠) الكامل ، ٨ ، ص ١١٦ ٠
(٥١) المصدر السابق ،
(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٠٧ ، العينى ، تاريخ ، ورقة ٢٨١ ٠

المستنصر ربما له الجانب الشكلي فقط من الخلافة في ان تامره بعزل او تولية من تريد في الدولة ، فضلا عن ذلك لم تترك له المظاهر البسيطة للخلافة ، فكان المســـتنصر اذا تولى بطريرك جديد من بطاركة النصارى ، فكان لابد أن يستقبله في القصر ، فكانت ام المستنصر تحضر ذلك الاستقبال ، ربما تبركا(٥٣) وان كان في الحقيقة رغبة منها في السيطرة على كل المظاهر المحيطة بالخليفة ، فكان المستنصر ليس له حول ولا قوة مع أمه وعندما حاول ذات مرة أن يباشر سلطته في الحكم بمحاولة أن يحاسب رجال الدولة عن تصرفاتهم حتى أدى به أن يعرض بأحد الوزراء والقضاة وهو ابن كدينة الذي تولى الوزارة حوالى ســـبع مرات(٥٤) ، فتدخلت ام المستنصر وامرت ابنها بتركه ، بل واكثر من ذلك اهانته على ما فعل باعتبار انه اقدم على شيء بدون أن يستشيرها ، وكان ذلك ســـببا في اعتكافه(٥٥) ، الذي لم يستمر ، لأن امه بعثت من يخوفه من هذا التصرف ، ولذلك عاد المستنصر الى سيطرة امه لأنه لايستطيع ان يفعل شيئا امامها هي واعوانها ٠

ومن ذلك يتضح ، أن تدخل ام المستنصر في شؤون الحكم وقد مهد لفترة جديدة تميزت بالضعف ، نتيجة لما حدث من مجاعات وثورات داخلية كان لأم المستنصر اليد الطولى فيها ٠

---

(٥٣) سير الآباء ، ٣ ، ورقات ٨٨ ــ ٨٩ ٠

(٥٤) انظر ، ماجد ، المستنصر ، ص ٣٣ ــ ٣٤ ٠

(٥٥) مرآة الزمان ، ١٢ ، القسم الاول ورقة ١٠٢ ٠

الفصل الثالث

نساء العصر الفاطمي الثاني

(أ) اثبات أحقية المستعلي في الخلافة

(ب) تدبير المؤامرات ضد الوزراء

تميز العصر الفاطمي الثاني بظهور بعض الشخصيات النسائية، التي شاركت بشكل محدود في الأحوال السياسية للبلاد ، ولقد جاء دورهن مختلفا عن الدور الذي قامت به كل من ست الملك وأم المستنصر حيث الخلافة قوية فبرزت شخصية المرأة القوية ، التي تستطيع أن تشارك في سياسة البلاد ، وان كان دور كل من ست الملك وأم المستنصر مختلفا عن الآخر كما أسلفنا ٠

أما العصر الثاني فكانت السمة الغالبة على نسائه من الفاطميات هو تدبير المؤامرات للتخلص من الوزراء ولاسيما في الفترة الأخيرة قبل سقوط الخلافة الفاطمية ، وهذا راجع الى الظروف المحيطة بالبلاد من اضطرابات سياسية في الداخل ووجود الفرنجة وخطرهم الذي يهدد البلاد والأزمات الاقتصادية المتلاحقة(١) ، فضلا عن ضعف شخصية الخلفاء واستبداد الوزراء بهم ، كل هذه الظروف أعطت فرصة لنساء ذلك العصر أن يتدخلن ولكن بصورة تتسم بالضعف وذلك عن طريق الاعتماد على رجل قوي ضد آخر للايقاع بالوزراء ، وهن في ذلك كن يحاولن الحفاظ على الخلافة التي قد أوشكت على الانهيار ولكن بقدر ما أتاحت لهن الظروف ذلك ٠

---

(١) فلقد وقع الغلاء في أيام الخليفة الآمر وفي أيام الخليفة الحافظ وكذلك الخليفة الفائز ٠ انظر ، أغاثة ص ٢٧ — ٢٨ ٠

ومع ذلك وجدت بعض الشخصيات النسائية التى اقتصر دورها على المشاركة فى الدفاع عن احقية المستعلى للخلافة ، وكان ذلك نتيجة لتدخل الوزير الأفضل فى نص المستنصر(٢) لمن يخلفه مما أدى الى وقوع خلافات بين أولاد المستنصر ، ولاسيما نزار الأكبر ، الذى فر الى الاسكندرية ، وانضم اليه بعض المعارضين للأفضل وتكونت على اثر ذلك فرقة عرفت بالنزارية مما أدى الى انشـــقاق فى المذهب الفاطمى فيما بعد .

ومن هذه الشخصيات التى لعبت دورا فى ذلك المجال السيدة أخت المستنصر ، وان كانت فى الســجلات المستنصرية(٣) مرة السيدة اخت الامام وأخرى السيدة ابنة الامام الظاهر مما يجعلنا نعتقد أنهما اختان للخليفة المستنصر ، ومما يؤيد ذلك أنها ترد مرة بدون القاب فيما عدا لقب السيدة ، ومرة ترد بعدة القاب ، ولكن من المؤكد ان كلا من اخت المستنصر وابنة الظاهر شخصية واحدة ، اذ أن العلامة الموجودة فى كلا السجلين واحدة وهى « الحمد لله ولى كل نعمة» كما ان السجلين أحدهما يرجع الى عام ٤٧٨/ ١٠٨٥ والثانى الى عام ٤٨٠/ ١٠٨٧ أى أن الفترة متقاربة بينهما ، كما أن كلا من السجلين يبدأ بعبارة « عرض بحضرتنا »(٤) وهذه العبارة لا توجد بالنسبة للسجلين الخاصين بكل من أم المستنصر وأم المستعلى(٥) . ولكنها

---

(٢) والنص دلالة الامام على من يخلفــه ، وقد يكون النص بوصــية مكتوبة أو شفويا أو حتى بالتلميح . عنه انظر . ماجـد ، نظم الفاطميين ، ١ ، صفحات ٥٦ ــ ٦١ .

(٣) سجل رقم ٢٨ ، ص ٩٦ ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .

(٤) نفســه .

(٥) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ ــ ١١٨ ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

موجودة ببعض السجلات الخاصة بالخليفة المستنصر(٦) فاشتراكها مع الخليفة في تلك العبارة مع العلم بأن كلمة «الحضرة»(٧) كانت تعتبر من القاب الخليفة تدل على مكانتها وكذلك على اشتراكها فى سياسة الدولة الخارجية وانه كان يعرض عليها بعض الأوراق الرسمية الخاصة بسياسة الدولة، وأيضا تتولى بنفسها الرد عليها وربما البت فيّها ، ويبدو ذلك من خلال مراسلاتها مع الملكة الحرة ملكة اليمن وزوجها الملك احمد المكرم(٨) ، كما يبدو أن أخت المستنصر على علم بمجريات الأمور وسياسة البلاد الداخلية والخارجية ٠

ولم تذكر المصادر عن أخت المستنصر كثيرا ، ولكنها ربما كانت تصغر الخليفة المستنصر الذى قد عمر طويلا وتوفى وهو فى العقد السابع(٩) وعاشت بعده مدة ولكننا لا نعرف وقت وفاتها ٠٠ كما لم تذكر المصادر اذا كانت اخت المستنصر هذه هى شقيقته من أمه السودانية وان كان طموحها واتخاذ نفس علامة أم المستنصر ، وكذلك ملازمتها لأم المستنصر(١٠) ، وأكثر من ذلك ما كانت تتمتع به لدى الخليفة المستنصر من منزلة كبيرة حتى ترك لها حق اعلان الخلافة من بعده للمستعلى(١١) ، تدل على انها شقيقتهمن أمه السودانية ٠

وكان ترك المستنصر لأخته حق اعلان الخلافة من بعده ، ربما راجعا للاختلاف القائم بين زوجاته ، وأن كل منهن تريد الخلافة

---

(٦) نفسه ، رقم ٥ ، ص ٤٣ ، ٥٧ ، ص ١٨٩ ، ٥٨ ، ص ١٩١ ٠
(٧) انظر ٠ المرجع السابق ، ١ ، ص ٧٧ ٠
(٨) المصدر السابق ٠
(٩) الازدى ، ص ٧٧ ، الخطط ، ص ٣٥٦ ، انظر ٠ ماجد ، المستنصر ، ص ١٩٢ ٠
(١٠) سير الآباء ، ٣ ، ورقة ٨٩ ٠
(١١) نفسه ، ورقة ١٠٢ ٠

لولدها(١٢) ، فلعله رغب أن يحل النزاع بعد وفاته ، فوكل هذا الأمر لأخته لما اتصفت به من شخصية قوية وتستطيع أن تحل هذا الموقف ، كما يبدو أن الأفضل وهو الوزير القائم وقتئذ قد اتفق معها على أن تكون لها كفالة الخليفة والدولة(١٣) وهنا تجدر الاشارة الى أن جعل امرأة من أقرباء الخليفة كفيلة له يرجع الى صغر سن الخليفة ، حقيقة لقد توصت ست الملك على الخليفة الحاكم من قبل وكذلك أم المستنصر على ابنها وكان ذلك راجعا لنفس السبب ، ولكن عبارة « كفالة الخليفة » لم تظهر الا فى العصر الفاطمى الثانى مع ظهور الوزراء العظام ، فكان ذلك لمحاولة ارضاء أخت المستنصر حتى يتسنى للأفضل بعد ذلك أن يفعل ما يشاء ، ومن الملاحظ أن هذه الكفالة اقتصرت على عمة الخليفة حتى سقوط الخلافة ولم تكن أمه أو أخته ، حتى اذا ماتت العمة الكبرى انتقلت الكفالة للصغرى(١٤) ٠

ومما يؤيد أيضا أن أخت المستنصر كانت تتمتع بشـــخصية متميزة ومكانة عالية تلك الألقاب المتعددة ومنها السيدة ، الطاهرة ، الشريفة ، الملكة ، الرؤوف ، الرحيمة(١٥) ، فضلا عن ذلك كانت تخاطب بكلمة « مولاتنا »(١٦) من قبل رجال الدولة ، ولاسيما الأفضل ولقد تقدمت أخت المســـــتنصر باعلان أولاد أخيها لخلافة أحمد الأصغر(١٧) ٠

وعلى الرغم من أن بيعة الخليفة الجديد قد تمت ولقب بالمستعلى

---

(١٢) اتعاظ ، ٣ ، ص ٨٦ ٠
(١٣) العبر ، ٤ ، ص ٦٦ ٠
(١٤) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٣٩ ٠
(١٥) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ ٠
(١٦) اتعاظ ، ٣ ، ص ٨١ ٠
(١٧) نفسه ٠

بالله ، الا انه كان هناك تشكك فى أحقيته للخلافة من قبل الفرقة النزارية ، مما جعل الخلافة تحرص على تأكيد أحقية المستعلى للبلاد التابعة لها ومن أهمها اليمن وكان السجل مرسلا من السيدة أم الخليفة المستعلى تشرح فيه كيفية اختيار المستعلى دون اخوته ثم الاضطرابات التى ترتبت على ذلك من خروج نزار والحرب التى دارت فى الاسكندرية،وكان هذا السجل بعد قتل نزارعام٤٨٨/١٠٩٦ بعد أن هدأت الأحوال نسبيا فى البلاد فهو يرجع الى عام ٤٨٩/١٠٩٧(١٨) ٠

علاوة على أن هذا السجل يبين لنا مشاركة أم المستعلى فى السياسة الخارجية والدفاع عن حق ولدها فى الخلافة ، الا أنه يتضمن أيضا علامة أم المستعلى التى اختلفت عن علامة أم المستنصر وأخته ، وكانت علامة أم المستعلى « الحمد لله على نعمه »(١٩) وكذلك تضمن القابها الكثيرة مثل السيدة ، الملكة الكريمة ، الرؤوف ، الرحيمة(٢٠) وهذه الألقاب هى تقريبا نفس القاب أخت المستنصر والملاحظ ان ذلك السجل يعتبر أطول السجلات التى ارسلت الى ملكة اليمن ليس فقط من قبل النســـاء وانما أيضـــا من قبل الخليفة المستنصر(٢١) ٠

ولقد ظلت النزارية تشـــكك فى أحقية الخليفة المستعلى فى الخلافة حتى بعد وفاته ، مما جعل الخليفة الآمر الذى أتى بعده يؤكد بشتى الطرق أحقية أبيه فى الخلافة وذلك من خلال الرسائل

---

(١٨) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ ــ ١١٨ ٠

(١٩) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ ٠

(٢٠) نفســه ٠

(٢١) انظر ٠ السجلات المستنصرية ٠

والسجلات(٢٢) والذى يهمنا من ذلك هو ظهور شخصية اخت نزار ، التى اعتمد عليها الخليفة الآمر فى تسجيل ما تعرفه عن نص الخليفة المستنصر ، اذ انها قد عاصرت تلك الأحداث ، وعلى الرغم أن المصادر لم تذكر عنها سوى اشتراكها فى ذلك الاجتماع الذى أدلت فيه باعترافاتها قبل كتابة السـجل بأيام ، ولكن من خلال تلك الاعترافات التى ذكرتها يتضح أنها كانت قريبة من الخليفة المستنصر بحيث طالما صـرح لها فى اختيار ابنه احمد ليتولى الخلافة من بعده • وكذلك أن الأمور الخاصة بالخلافة ومنها تولية خليفة جديد كانت تشغل من حول الخليفة من النساء •

ولما كانت الفترة الفاطمية الثانية تشهد تصارع الوزراء خاصة بعد موت الأفضل شاهنشاه وسوء الأحوال منذ عهد الخليفة الظافر الذى تولى الخلافة عام ٥٤٤/١١٤٩ • حتى نهاية الدولة الفاطمية، فاستبداد الوزراء ألزم المرأة الفاطمية أن تلعب دورا آخر فى سياسة الدولة وهو التخلص من الوزير القائم عن طريق الاستنجاد بآخر قوى لتخليص البلاد من ظلمه ، ثم اذا ما بدأ استبداد ذلك الوزير الجديد سرعان ما ينقلب عليه الأمر وتحاك ضده المؤامرات للتخلص منه وقتله ، هذه كانت لعبة المرأة السياسية فى تلك الفترة التى ذكرت آنفا • ومن الشخصيات النسـائية التى قامت بهذا الدور أخت الظافر ، عمة الفائز الصغرى ، عمة العاضد •

وللتخلص من الوزير ابن مصال سـاعد أهل القصـر ابن السلار(٢٣) المنافس له فى الوزارة على ذلك ، ولكن ابن السلار

---

(٢٢) انظر • الشيال ، مجموعـة الوثـائق الفاطميـة ، ١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ •

(٢٣) عنه انظر • Emcy of Isl (art Al-'Adil. B. Salar, I, P. 198.

مالبث أن اتسع نفوذه بعد توليه الوزارة وقتل كل من اعترض عليه من المصريين وقواد الجيش ، مما أدى الى ظهور منافس له وهو عباس ولد زوجته بلارة المغربية ، الذى كان قد عين قائدا لحامية عسقلان ، ولكن طمعه فى الوزارة ، جعله يدبر مؤامرة لقتل ابن السلار ، وتم له ذلك عام ٥٤٨/١١٥٣ ، كما أنه عمل على قتل الخليفة الظافر خوفا على ابنه نصر ، الذى كان يخالطه وعلى الرغم أنه ادعى أن أخويه يوسف وجبريل هما ، اللذان تسببا فى قتله ، لكن سرعان ما كشف أمره أحد الخدم الى نساء القصر • فبعثت أخت الظافر ـ عمة الفائز الى فارس المسلمين أبو الغارات طلائع بن رزيك وكان واليا على الاشمونين والبهنسا بالكتب وفى طيها شعور النساء تستصرخ به على عباس(٢٤) ، الذى ما لبث أن هرب الى الشام •

ولم تقتصر استعانة أخت الظافر بأمراء المسلمين بل استعانت أيضا بالفرنج بعسقلان ليخرجوا على عباس ، وأكثر من ذلك بذلت لهم الأموال وأباحتهم جميع ما معه على أن يبعثوا به الى القاهرة ، واستطاع الفرنج أن يدركوا عباس حتى أسر هو وأبنه نصر وبعث الى القاهرة فى قفص من حديد فى عام ٥٥٠/١١٥٤ ، وكان مصير نصر بن عباس القتل بقباقيب نساء الظافر وقطعن لحمه واطعمنه اياه الى أن مات ثم صلب(٣٥) •

وبعد أن تولى طلائع بن رزيك الوزارة اتسع نفوذه حتى على أهل القصر ، فعملت أخت الظافر أيضا على التخلص منه وفرقت فى ذلك الأموال ولكن ابن رزيك مالبث أن قتلها عندما علم بحيلتها ،

---

(٢٤) اتعاظ ، ٣ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ •
(٢٥) نفسه ، ٣ ، ص ١٢ ، النجوم ، ٥ ، ص ٢١٠ ـ ٣١١

ثم نقل كفالة الخليفة الى عمته الصغرى(٢٦) واستمر طلائع بن رزيك فى الوزارة وتم على يديه تولية الخليفة العاضد ، الذى كان صغيرا ، ولذلك استمر ابن رزيك فى التحكم فى الدولة ، واستبد بكل شىء ، كما أخرج كثيرا من الأمراء وفرقهم فى البلاد ليأمن على نفسه ، وحتى يورث الملك لبنى رزيك أقـــدم على تزويج ابنتـــه من الخليفـــة العاضد(٢٧) .

وكان لذلك أثر كبير على نساء القصر ، فأرسلت عمة العاضد وهى بلا شك عمة الفائز الصغرى اذ أن الفائز والعاضد أولاد عمومة ، فبعثت بالأموال الى الأمراء المصريين مثل الأمير ناصر الدولة ياقوت والى قوص للقيام على ابن رزيك وأخذ الوزارة منه ، فلما علم ابن رزيك بذلك قبض على الأمير(٢٨) ، ولكن عمة العاضد عاودت المحاولة فبعثت لابن الراعى أشد الأمراء المصريين والأمير المعظم بن قوام الدولة صاحب الباب ، واتفقت معه أن يخلى الدهاليز من الناس حتى يتم التخلص من ابن رزيك ، ولكنه أصيب فقط بجراحات مهلكة ، ومما يدل على ضعف الخليفة العاضد ان ابن رزيك طلب منه عمته فأرسلها اليه لينفى علاقته بهذه المؤامرة ، فما كان من ابن رزيك الا أن خنقها(٢٩) ، فى حين يذكر بعض المؤرخين(٣٠) غير ذلك ، أنه

---

(٢٦) نفسه ، ٣ ، ص ٢٣٩ .
(٢٧) الكامل ، ٩ ، ص ٧٥ .
(٢٨) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٣١ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٩٥ .
(٢٩) المصدر السابق .
(٣٠) نفسه ، ٣ ، ص ٢٥٣ ، النجوم ، ٥ ، ص ٣١٤ .

بعد موت ابن رزيك ، طلبت عمة العاضد ، التى تدعى ست القصور رزيك بن الصالح وأحضرت له من قتله ، كما أنها أحضرت سيف الدين حسين ابن أخى الصالح وبلغته أنها لم تدر بما جرى على ابن الصالح وأن الذى فعل ذلك أصـــحاب أختها المقتولة والتى قتلها الصالح من قبل ، كما يذكر أيضا أن رزيك بن الصالح هو الذى قتل عمة العاضد بناء على أذن من الصالح قبل موته ٠

والذى يهمنا من ذلك الدور ، الذى قامت به المرأة الفاطمية ، هو محاولة الدفاع عن عرش أجدادها ، حتى لو كلفها ذلك حياتها ٠

الخاتمــــة

على الرغم من أن مجتمع العصور الوسطى الاسلامية ، يعتبر فى المقام الأول مجتمع الرجل ، الا ان المرأة فى مصر الفاطمية قد اســـتطاعت ان تؤكد وجودها بقدر ما اتاحت لها الظروف ذلك ، فشاركت فى الحياة العامة وحاولت الدفاع عن حقوقها وحريتها ، ولم تكن تلك المرأة مستسلمة للأوضاع القائمة كما يعرف عن هذه العصـــــور ٠

وكانت المرأة وقتئذ تتانق فى كل شىء خاصة ملابسها وحليها ، كما كانت تحرص على اقتناء كل ما هو فاخر وثمين فى منزلها ، وذلك بما يتفق وروح العصر ، الذى كانت تعيش فيه ، من بذخ وترف شمل جميع مناحى الحياة ٠

هذا فضلا عن تاثر المرأة بروح العصر ، الذى غلبت عليه الصفة الدينية ، لذلك كانت المرأة المصرية تحرص على العبادة

والتحلى بالقيم الدينية وكان لمذهب الخلافة الفاطمية اثر هام على احوال المرأة ٠

علاوة على ذلك ٠ كان للمرأة دور فعال فى سياسة الدولة ، ولكن بما يتفق والظروف التى احاطت بالبلاد ، لذا جاء دورها احيانا مضطربا وبصفة عامة كان هدف جميع النساء الفاطميات ، هو محاولة الحفاظ على كيان الخلافة الفاطمية فى الداخل والخارج ٠

ثبت المصـــادر والمراجـــع

١ ـ مصادر عربيـــة مخطوطة

ابن الجوزى (أبو المظفر ، ١٢٥٧/٦٥٤) ، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط بدار الكتب الجزءان الحادى عشر والثانى عشر ، رقم ٥٥١ تاريخ ٠

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين ، ت ١٤٤٩/٨٥٢) ، رفع الاصر عن قضاة مصر ،مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٠٥ تاريخ ٠ الجزء الثالث ٠

الذهبى (شمس الدين ، ت ١٣٤٨/٧٤٨) ، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوط بدار الكتب برقم ٤٢ ٠

رسائل الحاكم بأمر الله، كتبها دعاة الفاطميين ، وهى مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم : ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ١٣٣ ٠

ابن زولاق (أبو محمد ، ت ٩٩٧/٣٨٧) ، كتاب فضائل مصـــر وأخبارها وخواصها ، مخطوط بدار الكتب برقم ٣٥٩١ تاريخ ٠

العينى (بدر الدين ، ت ١٤٥١/٨٥٥) ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة ، برقم ١٥٨٤ ٠

القضاعي (أبو عبد الله ، ت ١٠٦٢/٤٥٤) ، عيون المعارف وفنون اخبار الخلايف ، مخطوط بدار الكتب برقم ١٧٧٩ .

ميخائيل الانبا ، ذيل سير الآباء البطاركة ، الجزء الثالث ، مخطوط بدار الكتب برقم ٦٤٣٤ ح .

المسبحي (الأمير المختار عز الملك محمد، ت ١٠٢٩/٤٢٠) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٣٥٩١ .

النويري (شهاب الدين ، ت ١٣٣٢/٧٣٢) ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب برقم ٥٤٩ معارف عامة .

٢ ـ مصادر عربيـة منشورة

القـرآن الـكريم

ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، مصر ، ١٩٥٣ .

ابن الاخوة . معالم القربة فى أحكام الحسبة ، لندن ١٩٣٨ .

الادريسي . المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ماخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، تحقيق ، Dozy decoeje Leyde ١٨٦٤ .

الأزدي . (علي بن ظافر) أخبار الدول المنقطعة ، من مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة مع مقدمة وتعقيب ، أندريه فريه ١٩٧٢ .

ابن الزبير . الذخائر والتحف ، تحقيق محمد عبد الله ، قدمه وراجعه صلاح الدين المنجد ، طبعة الكويت ١٩٥٩ .

أسامة بن منقذ . كتاب الاعتبار أو حياة أسامة ، تحقيق Derenbourg طبعة باريس ١٨٨٩ .

ابن اياس • تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الجزء الأول ، القاهرة ١٨٩٣ ــ ١٨٩٥ •

ابن حجر العسقلانى • رفع الاصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٧ •

ابن خلدون • المقدمة • القاهرة ١٣٢٢ هـ •

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ١٢٧٤ هـ •

ابن خلكان • وفيات الأعيان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ •

ابن دقماق • الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٨٩٣ •

الروزارى • (أبو شـــجاع) ذيل كتاب تجـــارب الأمم ، تحقيق ، Amedroz مصر ١٣٣٤/١٩١٦ •

ابن الزيات • الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ــ بولاق ١٩٠٧ •

ساويرس بن المقفع • تاريخ بطاركة الاســـكندرية ، طبعة مصـــر ١٩٤٣ ــ ١٩٤٨ •

ابن الساعى • نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيق وتعليق مصطفى جواد ، القاهرة ١٩٦٠ •

الســجلات المستنصرية ، ســـجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه الى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح المؤمنين ، تقديم وتحقيق عبد المنعم ماجد القاهرة ١٩٥٤ •

السيوطى • حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢٧/١٩٠٩ •

ابن سعيد • النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب ١٩٧٠ •

المغرب في حلي المغرب ، الجزء الأول الخاص بمصر ، تحقيق زكي حسن / سيدة كاشف ١٩٥٣ ٠

أبو شامة ٠ الروضتين في أخبار الدولتين ، نشـــــرة عبد الله بن السعود ، في جزءين القاهرة ١٢٨٧/١٢٨٨ هـ ٠

الشيزرى ٠نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، القاهرة ١٩٤٦ ٠

أبو صالح الأرمني ٠ كنائس وأديرة مصر ، تحقيق وترجمة Evetts طبعة إكسفورد ١٨٩٤ ٠

ابن الصيرفي ٠ الاشــــارة الى من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص ، القاهرة ١٩٢٤ ٠

ابن العبرى ٠ (جريجوريوس) تاريخ مختصـــــر الدول ، تحقيق صالحاني ، بيروت ١٨٩٠ ٠

علم الاسلام ، الداعي ، المجالس المستنصرية نشـــرة محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ ٠

ابن العماد ، (عبد الحي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠/١٣٥٣ هـ ٠

عمارة اليمني ، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ، تحقيق Derenbourg باريس ، ١٨٩٧ ٠

ابن العميد ، تاريخ المسلمين ، تحقيق Erpenius ١٦٢٥ ٠

أبوا الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥ ٠

ابن القلانسى ، تاريخ ابن القلانس ، المسمى بذيل تاريخ دمشق ، تحقيق Amedroz ، بيروت ١٩٠٨ ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ ٠

آل كاشف الغطاء · أصل الشيعة وأصولها ، القاهرة ١٩٥٨ ·

الكندى ، الولاة والقضاة ، تحقيق Guest ، بيروت ١٩١٢ ·
ابن كثير، (عماد الدين) البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٥٧/١٣٥٨ ·
أبو المحاسن (ابن تغرى بردى) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٣/١٣٥٢ ·

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق decoeje طبعة Leyde ، ١٨٧٧ ·

المقريزى ، (تقى الدين أحمد بن على) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٨٥٣ ·

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الشيال ١٩٤٨ ·

اغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة والشيال ، القاهرة ١٩٥٧ ·

ابن منظور · لسان العرب ، بولاق ١٣٠١ هـ ·

المؤيد فى الدين ، السـيرة المؤيدية ، ترجمة حياته بقلمه ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ ·

ابن ميسر ، أخبار مصر ، تحقيق Massé ، القاهرة ١٩١٩ ·

ناصر خسرو ، سفرنامة ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ١٩٥٤ ·

النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف بن على القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ ·

ابى واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ ·

يحيى بن سعيد الانطاكى ، تاريخ ، أو صلة كتاب أوتيخا Eutychius المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، تحقيق شيخو فى جزءين ، بيروت ۱۹۰۹ .

٣ ـ المراجع الحديثة

احمد طه محمد ، المرأة المصرية بين الماضى والحاضر ، القاهرة ۱۹۷۹ .

احمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ۱۹۷٥ .

احمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول ١٩٦٥ .

أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ، القاهرة ١٩٥٩ .

بنت الشاطىء ، نساء النبى ، دار الهلال ١٩٦٧ .

ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ،ترجمة وتعليق ، حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٧ .

جروهمان ، أوراق البردى العربية ، نقله الى العربية حسن ابراهيم وعبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤ .

جميل بهيم ، المرأة فى حضارة العرب ، مصر ١٩٦٢ .

حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية فى الوثائق والتاريخ ١٩٦٠ .

الفنون والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .

حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، القاهرة ١٩٧٠ .

حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جزءان القاهرة ١٩٤٦ ·
زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٣٧ ·

أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٦ ·

زينب فواز ، الدر المنثور فى ربات الخدور ، بولاق ١٣١٢ هـ ·

سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الأول ١٩٧١ ·

مدينة أسوان وآثارها فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ ·

سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، سياستها الخارجية ومظاهر الحضارة فى عهدها ، القاهرة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ·

سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ·

تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٧٣ ·

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ١٩٦١ ·

سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ ·

الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، جمعها وحققها وأعدها مع دراسات تحليلية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٥٨ ·

عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، من سلسلة المكتبة الثقافية عدد رقم ١٢٦ ، القاهرة ١٩٦٥ ·

على ابراهيم ، نساء لهن فى التاريخ الاسلامى نصيب ، القاهرة ١٩٥٠ ·

على بهجت ، حفريات الفسطاط ، دار الكتب ، ١٩٢٨ ·

على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصـــر والقاهرة ، بولاق ١٣٠٦ هـ ·

الأعظمى ، ديوان الأمير تميم بن المعز ، القاهرة ١٩٥٧ ·

. . . عبقرية الفاطميين ، بيروت ١٩٦٠ ·

العمروسى ، الجوارى والمغنيات ، القاهرة ١٩٤٥ ·

عنان ، مصر الاسلامية ، وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٣١ ·
الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩ ·

عطية مشرفة ، نظام الحكم فى مصر فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ ·

قدرية حسين ، شهيرات النساء ، تعريب عبد العزيز ، أمين الخانجى ، القاهرة ، ١٩٢٤ ·

القوصى ، تجارة البحر الأحمر منذ فجر التاريخ حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ·

كامل حسين ، فى أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠ ·

كحالة ، أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام ، دمشق ١٩٥٩ ·

كمال سامح ، العمارة الاسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٧٠ ·

لينبول ، (ستانلى) سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم وعلى ابراهيم وادوارد حليم ، ١٩٥٠ ·

ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، القاهرة ١٩٥٩ ·

الامام المستنصر بالله الفاطمى ، القاهرة ١٩٦١ ·

مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٤ ·

ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، القاهرة ١٩٦٨ ·

تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٨ ·

نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨ جزءان ·

ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ، ١٩٧٢ ·

متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية ، محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤٧ ·

محمد ضياء الدين الريس ، الخراج فى الدولة الاسلامية أو التاريخ المالى للدول الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ ·

محمد مرزوق ، الزخرفة المنسوجة على الأقمشة الفاطمية ، القاهرة ١٩٤٢ ·

معرض الفن الاسلامى فى مصر ٩٦٩/١٥١٧ ، اعداد أحمد حمدى ، وفية عزى ، مايكل روجرز ، عبد الرؤوف على يوسف ، وزارة الثقافة ١٩٦٩ ·

مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، بغداد ــ العراق ١٩٧٠ ·

م · س ديماند ، الفنون الاسلامية ، مصر ١٩٥٨ ·

يوسف ميخائيل أسعد ، المرأة والحرية ، القاهرة ١٩٧٧ ·

٤ ــ الدويات العربية

احمد الشامى ، التطور التاريخى لعقود الزواج فى الاسلام ، فصلة من ندوة البرديات ١٩٨٣ ٠

جمال محرز ، الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد السابع ، يوليو ١٩٤٤ ٠

حسن عبد الوهاب ، اثر المرأة فى الفن الاسلامى ، مجلة الهندسة ، مجلد ١٤ ، ١٩٣٤ ، نوفمبر ١٩٣٦ ٠

ماجد ، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٧ ٠

٥ ــ الرسائل

حورية عبد الحميد سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير ١٩٧١ ٠

عبد الخالق حسين محمد ، القضاء فى عهد الفاطميين والأيوبيين ، رسالة ماجستير ١٩٧٥ ٠

محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير فى الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ ٠

محمود محمد على الحريرى ، اسوان فى العصور الوسطى ، رسالة ماجستير ١٩٧٢ ٠

٦ ــ الكتب الاوربية

Ahmed Abd Ar-Raziq, La Femme du Temps des Mamlouks En Egypte, Le Caire 1973.

Ashtor, Histoire des prix et des salaries dans L'orient médiévale, Paris, 1969.

Berchem, Matérioux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, 1, 1903.

Dozy, Dictionnaire détaille des noms des Vêtements chey les Arabes, Amsterdam, 1842.

Supplément aux dictionnaires arabes, 1 —— 11, Paris, 1966.

Encyclopedia of Islam, 2ed.

Goitein, A Mediterranean Society, Barkely, Los Anglos, 1967.

Gottheil-Worrell, fragments from the Cairo genizah in the freer Collection, New-York, 1927.

Ivanow, Ismaile-traditions concerning the Rise of the Fitimids Bombay 1942.

Islamic jeuelry in the Metropolitian Museum of Art, New York, 1982.

Kahle, The Cairo Geniza, 2ed. 1959.

Mann. Jews in Egypt and palestine. Under the fatimid caliphs. Oxford, 1920 - 1922.

Pauty, Les Hammams du Caire, Le Caire, 1933.

Répertoire chronologique d'epirgrophic arabe Le Caire, 1931.

Wiet, Matériaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, Egypte. 11, 1930.

Cotalogue génöral du Musée Arab du Caire. Stéle funeraires. Vol. VIII, 1939.

٧ ـ الدوريات الأجنبية

Ashtor, L'Evolution des prix dans le proche orient à la basse-époque, JESHO, IV, 1961.

Le Coût de la vie dans l'Egypt médiévale, JESHO, III, 1960.

Matériaux pour l'histoire des prix dans l'Egypt médiévale, JESHO, VI, 1963.

Goitein, The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization, in stude islamica, III, 1955.

New light on the begining of the Karim merchants, JESHO, 1, 1958.

The documents of the Cairo geniza as a source for the Mediterranean social history, JAOS, IXXX, 1960.

The main industrries of the Mediterranean area as reflected in the records of the Cairo geniza, JESHO, IV, 1961.

Slave and slavegirls in the Cairo genzia records, Arabica, IX, 1962.

Evidance on the Muslim palltax from, non-muslim Source, a geniza sutdy, JESHO, VI, 1963.

The Exchange rate of gold and Silver money in fatmid and Ayyulid times JESHO, VIII, 1965.

Nicknames as a family names, JAOS, 90, 4, 1970.

Yousf Râgib, Un Contrat de marriage sur soie d'Egypte fatimide, Annal Islomologique, XVI, 1980.


الملاحق

ملحـــق رقم (١)

خطاب من امراة لأختها

(Goitein, The Mediterranean Society,
III, P. 353 — 354)

أخبرك ياسيدتى ، يا أختى العزيزة ربما قد اختارنى الله كفدية لك ـ أنا أصبحت مريضة بدرجة خطيرة وأملى ضعيف فى الشفاء ، ولقد حلمت بأن نهايتى قد أوشكت ٠

سيدتى ان طلبى العاجل منك ، لو قدر الله لى أن أموت ، ان تعتنى بابنتى الصغيرة وان تبذلى أقصى جهدك فى تعليمها ، بالرغم اننى أعرف جيدا ، اننى أطلب منك شيئا غير معقول ، لأن ليس هناك

مال كاف عند والدى ــ للمعاونة ، اطرحى جانبا التعليم الرسمى ، على أية حال فهى نموذج من والدتنا المتدينة لا تدعيها تظهر فى الطريق العام ، ولاتهملى مربيتها السودانية « سعادة » وابنها ، ولا تفصليهما عنها ، لأنها تحبهما ، ولقد أوصيت بالمربية السودانية لها ، على أية حال ، الجارية الصغيرة « عفاف » سوف تعطى لست السرور ، لكن لا شيئا آخر ــ وهذا فقط بعد ديوننا لأبو سعد وآخرون يجب أن تدفع ، يلعن من يعمل ضد رغبتى ٠

(أنا اقول هذا) لأننى قد لاحظت اكثر من مرة أنك تحبين الابنة الكبرى اكثر من الصغرى ، مهما يكن أنت تعرفين جيدا أننى اقسمت اكثر من مرة ــ وفى المرة الأخيرة فى حضورها ــ أننى سوف لا أمس بشىء لست السرور ، لأسباب لا أستطيع أن اذكرها ، لكن انتى تعرفيها ٠

سيدتى ، دعى أبو البركات يأتى ويعالجنى ، لأننى فى حالة خطيرة جدا ٠ من فضلك (كم) لا تفعلوا أى شىء ضد ما ذكرته (لكم) ٠

ملعون من يفرق بين الخادمة العجوز وابنتى الصغيرة ، بالبيع خلافا لذلك ٠

سيدتى ، الله وحده يعرف كيف ! كتبت هذه السطور ٠

ملحــق رقم (٢)

اتفاقية زواج ترجع الى ٥٣٧/١١٤٢

Gottheil and worrell, Fragments of
geniza in the freer collection XI V — P 219 — 223)

الــــورقة (أ) :

١ ــ ممتلكات الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الذهبى ٠

٢ ــ سوف ينقل ملكيته (التى تستثمر) بين اليهود بعد ثلاث شهور ٠

٣ ــ آب وآبيل ١٤٥٣ وتبشرى ١٤٥٤ ٠

٤ ــ لابنته ، مع فائدتها وربحها (المحصل من استثماره) ٠

٥ ـ وهي سوف يعطى البنت ما يملكه لها (زيادة) •

٦ ـ على الشوار الذى يجب عليه أن يشتريه لها •

٧ ـ والفائدة والربح لمدة سنة من اتفاقية الزواج ، العريس •

٨ ـ الشيخ ابو المفضل ابراهيم بن عبيدة ، سوف يدفع •

٩ ـ ثلاثة دنانير (مقدم) و (ستة دنانير ، مؤخر) الباقى من النفقة دنانير •

١٠ ـ التي تكون لها ، الشرط (الذى فرض) عليها (يكون) لو أبوها •

١١ ـ لم يفعل ذلك ، سوف تذهب رأسا (من منزل ابيها) بدون شراء أى قيمة (من العريس) •

١٢ ـ والشرط المبرم على أبو المفضل (يكون أن) هو سوف لا •

١٣ ـ يضربها ، لايهينها ، لا يطلب •

١٤ ـ منها أرباح من ملكيتها (المستثمرة) ، لأنه وعدهم أنها •

١٥ ـ من خلال (استثمارها فى) الملابس ، ولو طلب منها أرباح (استثمارها) •

١٦ ـ هو سوف يكون مطالب بثلاثة دنانير لـ ••••

١٧ ـ على شرط انه له ••••• (؟) منها ، بينما يعدهم (لها) فى الاتفاقية •

١٨ ـ (عن) الملابس ، ولها منهم يعفى زملائه (من كل المسئولية)

١٩ ـ الأب ، والابنة والزوج وعقد الزواج •

٢٠ ـ يبقى كما هو كل الشروط •

٢١ ــ الخاصة بالمهر والمديونية ، والشروط الباقية ٠

٢٢ ــ و (فيما يخص) ادارة المنزل ، أبو الفضل هذا ليس لديه

٢٣ ــ مسئولية لأى جزء منه ٠ يوسفه له (المسئولية) ٠

٢٤ ــ بدون ثمن ، وسوف يبقى (أبو الفضل) فيه وليس لديه (حق أن يعمل أى) ٠

٢٥ ــ طلب من أبو الفضل ، ولا

٢٦ ــ من زوجته لأى جزء منه ، كتب فى شهر تموز ١٤٥٣ ٠

الــــورقة (ب) :

١ ــ اكليل من الذهب ٠

٢ ــ وخواتم من الذهب ، وخاتم فضة وخاتمين من الفضة ٠

٣ ــ مقعدين باللؤلؤ ووسادة مقعد ٠

٤ ــ مرآة ٠٠ تساوى حوالى دينارين ٠

٥ ــ سوار كبير (يساوى) ثلاثة دنانير ، بفص ذهب (؟) ٠

٦ ــ ملعقة واناء عميق ومرودين للكحل ومروحة ٠

٧ ــ وعلبة من الفضة ٠٠ ــ ثلاثة دنانير ٠

٨ ــ بللور ٠ ٠بثلاثة (دنانير) ٠

٩ ــ وسادة مقعد وصندوق للحلى ــ (دينار) ٠

١٠ ــ المجموع (يساوى) مائة وسبعة دنانير ٠

١١ ــ الملابس ٠

١٢ ـ خلعة بيضاء من الحرير بمعجر مذهب أربعون دينار •

١٣ ـ خلعة من الحرير بمعجر حرير خمسون دينار •

١٤ ـ ثوب آخر بمعجر أربعون دينار •

١٥ ـ قميص من قماش بعلبكي ومنديل قنيقي ثلاثون دينارا •

١٦ ـ غطاء من الحرير ونقاب من خمسة وثلاثون دينار •

١٧ ـ ثوب ذهبي •

١٨ ـ منديل ازرق ـ ثلاثون •

١٩ ـ قميص أزرق من قماش دبيقي وثوب من الكتان ـ عشرون دينار •

ظهـــــر الـــــورقة :

١ ـ قميص من الحرير الدبيقي •

٢ ـ ونقاب من العتابي عشرون •

٣ ـ طاقية من الحرير الأحمر ، وحزام •

٤ ـ ونصف غطاء ـ ثلاثون •

٥ ـ عصابة ومنديل يمني ـ عشرون •

٦ ـ غطاء أبيض وغطاء ازرق ـ عشر دنانير

٧ ـ رداء ونقاب ـ عشر دنانير •

٨ ـ منديل من سقط ومنديل من •••••

٩ ـ واربعة مناديل ـ ثمانية عشر •

١٠ ـ عرضة دبيقى خمسة دنانير •

١١ ـ طاقية حرير حمراء ـ ثلاثة وعشرون دينار •

١٢ ـ •••• وحزامين •••••

١٣ ـ المجموع اربعمائة دينار •

١٤ ـ مرتبة ديباج خمسون دينارا •

١٥ ـ مرتبة من القماش الدبيقى أربعون دينارا •

١٦ ـ غطاء أبيض من الدبيقى عشر دنانير •

١٧ ـ زوج من الوسائد ـ ثلاثون دينارا •

١٨ ـ زوج من الوسائد رمانى ـ أحمر وزوج من الوسائد •

١٩ ـ بمساند زرقاء ، المجموع (البضائع) الدبيقية خمسة وعشرون دينارا •

ملحق رقم (٣)

المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٦٩ ـ ٧١)

المجلس الثالث عشـــر

(١٤٨) بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله القدير الذى علا جلاله فارتفع ، النصير الذى اتسع نواله فأمرع ، الخبير باتقان ما صور وابدع البصير بالتدبير فيما أعطى ومنع ، لا اله الا هو الذى يمسك السماء على الأرض أن تقع ، وصلى على البشير بما يعقب الا من يوم الفزع ، النذير المحذر من هول المطلع ، محمد رسوله المنير مستهم المشكلات بضياء برهانه الذى سطع ، وعلى الوزير المسارع فيما ضر ونفع ، الظهير الدامغ لأهل الشرك والبدع ، على

ابن ابى طالب أول من آمن بالله ولرسوله اتبع ، وعلى الائمة من ذريتهما المجير ولاؤهم من نار على الافئدة تطلع ، وسلم عليهم اجمعين ما أفل نجم وطلع وسجد ساجد وركع ، ايها المؤمنات سلك الله بكن سبيل أهل الدين والورع ، ونفعكن بولاية ائمتكن الذين بمحبتهم تنتفع ، ان انواء ديم العلم بين ذوى البصائر والفهم ماطلة الرباب ، دائمة الانسكاب قد (٤٨ ب) أنبتت الروض الناضر ، وهنيت الخواطر والبصائر فاستدامها الشاكر وآنس بها الناظر ، وجل موضعها عند العارفين وسما موقعها من المستبصرين اذ هى نعمة بلا من يكدرها ، وعارفة بلا شوب يغيرها ، ولما ذكرنا فى المجلس الذى قبل هذا الزكاة التى تجب على ذوى الأموال اتبعنا ذلك بذكر الزكاة التى تجب على كل مال ، وعلى من يتصدقها من ذوى الاقلال وهى زكاة الفطر وفيها سبعة فروض واثنتا عشرة سنة ، فالفروض هى أن يخرجها الرجل عن نفسه وعن كبير عياله وصغيرهم وحرهم وعبدهم وذكرهم وانثاهم ، والسنن هى أن يخرجها الرجل من اوسط ما يأكل منه وهى صاع من بر أو صاع شعير أو صاع تمر أو صاع من زبيب ويجزيه نصف صاع من البر ولا يجزيه من غيره الا صاع ، والصاع أربعة أمداد وأن يدفعها للامام ع.م . (٤٩ أ) أو من اقامه الامام ، ويكون اخراجها قبل الافطار ، ويقضيها من آخر اخراجها ، ومن عدم الطعام أخرج قيمته ورقا أو ذهبا ، والمرأة اذا لم يكن لها زوج أخرجتها عن نفسها وعن من تعول ، وقد اقتضى ما ترأناه ايراد ذكر الفطرة قبل حينها فاذا أبلغنا الله بقدرته الى زمانها أوردنا بتوفيقه شرح بيانها ، وقد سمعتن ما قرىء عليكن من أن الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فاستمعن الآن صفة المتقين الذين جعل الله تعالى هذا الكتاب هدى لهم قال الله الأعز الأكرم نسقا على ما تقدم « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم

يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (٤٠) قوله تعالى يؤمنون بالغيب الغيب هنا غيب علم الشريعة الذى حجبه الله تعالى الا عن أهله ، وهو علم الباطن المحجوب الذى ذكره أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع٠م لما وصف (٤٩ ب) القرآن فقال : « ظاهره عمل موجوب وباطنه علم محجوب وهو عندنا معلوم مكتوب » فالذين يؤمنون بالغيب هم الذين يقيمون الصلاة بحقيقتها لأنه من اقام ظاهر الصلاة الموجوب ولم يؤمن بباطنها المحجوب لم يكن من الذين وصفهم الله تعالى في هذه الآية بقوله يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، وكذلك من أقام ظاهر الصلاة وآمن بالباطن ولم ينفق مما رزقه الله ما أوجبه عليه من زكاة ماله وخمس مكسبه وشروى نفسه وفكاك رهنه كان ناقص الفضل عن من نعته الله فى هذه الآية بقوله « مما رزقناهم ينفقون » وعلى قدر ما تسخو به نفسه من هذا الانفاق يتميز بالدنو من أهل الفضل واللحاق وقوله تعالى « والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » يعنى بما أنزل اليك من شريعة الاسلام التى هى باطن لما تقدمها وظاهر لما يأتى من تأويلها (٥٠ أ) فأثنى تعالى على من يؤمن بالظاهر الذى هى باطنه ، كما مدح من يؤمن بالباطن الذى هى ظاهره ثم قال : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فجمع لهم الهدى والفلاح المؤدين الى الفوز والنجاح ، فاجتهدن معشـــر المؤمنات فى فعل الخيرات ، وتنافســـن فى أعمال الطاعات ، واســـتكثرن البـــاقيات الصالحات ، تفزن بعلو الدرجات ، وتصرن الى جنات عاليات فيها سرر موضوعات ونمارق مصفوفات وزرابى مبثوثات وانهار جاريات واشجار مورقات واغصان مونقات والثمار دانيات مجاورات للعترة الطاهرين الأبرار ، تلك عقبى الذين اتقوا ٠ وعقبى الكافرين النار ٠ ورد عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال قال

رسول الله (ص) اذا احب الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح صدره فتسخو نفسه بالزكاة » وللعابد ثلاث علامات الزكاة والصوم والصلاة » وعنه (ص) (٥٠ ب) أن رسول الله (ص) نهى أن يخفى المرء زكاة ماله عن امامه وقال : « ان اخفاء ذلك من النفاق » جعلكن الله ممن اجتهد في طاعة ربه وآتى ذوي القربى المال على حبه ، والحمد لله ذى النعم الجسام السوابغ ، والحكم والقوام البوالغ • صلى الله على رسوله محمد المبعوث لهداية من هو عن الحق زايغ ، والمخصوص بدين بالمعجزات ثابت وفي العقل سابغ وعلى وصية على بن أبى طالب لم يزل على الايمان وهو طفل وبالغ ، وفى نصرة الدين مجتهد مبالغ ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين هم للمؤمنين رحمة واسعة وعلى الكافرين نقم دوامغ ، وسلم تسليما •

صدر فى هذه السلسلة

1 ــ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان

2 ــ على ماهــر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

3 ــ ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

4 ــ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال

5 ــ غارات اوربا على الشـــواطىء المصرية فى العصـــور الوســـطى
عطية عبد السميع

6 ــ هؤلاء الرجال من مصر جـ 1
لمعى المطيعى

7 ــ صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعم ماجد

8 ــ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات

٩ ــ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس

١٠ ــ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزى

١١ ــ مائة شخصية مصرية وشخصية
شكرى القاضى

١٢ ــ هدى شعراوى وعصر التنوير
د. نبيل راغب

١٣ ــ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان
د. عبد العظيم رمضان

١٤ ــ مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف

١٥ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د. على حسن الخربوطلى

١٦ ــ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى احمد شلبى

١٧ ــ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد نصر فرحات

١٨ ــ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. على السيد محمود

١٩ ــ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صابون

٢٠ ــ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمي
د. محمد انيس

٢١ ــ التصوف في مصر ابان العصر العثماني جـ ١
توفيق الطويل

٢٢ ــ نظرات في تاريخ مصر
جمال بدوي

٢٣ ــ التصوف في مصر ابان العصر العثماني جـ ٢
توفيق الطويل

٢٤ ــ الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل

٢٥ ــ المجتمع الاسلامي والغرب
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ــ تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل علي

٢٧ ــ فتح العرب لمصر جـ ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ــ فتح العرب لمصر جـ ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ــ مصر في عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ــ الموظفون في مصر
د. حلمي احمد شلبي

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شـكرى القـاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خـالد الكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوسـف
تاليف : د. سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصـادى والاجتماعى فى العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميـل عبيـد

٤٠ ـ الاسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمـأساة
رفعت السـعيد

٤٢ ــ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال

٤٣ ــ رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز

٤٤ ــ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد عفيفى

٤٥ ــ الحروب الصليبية ج ١
ترجمة : أ.د. حسن حبشى

٤٦ ــ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تاليف : د. عبد الرؤوف احمد عمرو

٤٧ ــ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تاليف : أ.د. لطيفة محمد سالم

٤٨ ــ الفلاح المصرى
تاليف : د. زبيدة عطا

٤٩ ــ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تاليف : أ.د. عبد العظيم رمضان

٥٠ ــ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تاليف : د. سهير اسكندر

٥١ ــ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د. عبد العظيم رمضان

٥٢ ــ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر
تأليف : د. الهام محمد علي ذهني

٥٣ ــ اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك
د. محمد كمال الدين عز الدين علي

٥٤ ــ الاقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تأليف : الدكتور محمد عفيفى

٥٥ ــ الحروب الصليبية جـ ٢
ترجمة وتحقيق : د. حسن حبشي

٥٦ ــ المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د. حلمى احمد شلبى

٥٧ ــ مصر الاسلامية واهل الذمة
د. سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ ــ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د. ابراهيم عبد الله المسلمى

٥٩ ــ الرأسمالية الصناعية فى مصر
د. عبد السلام عبد الحليم عامر

٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكى

٦١ ــ تاريخ الاسكندرية
أ.د. عبد العظيم رمضان

فهـــــرس

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع ٨٩٦٨/١٩٩٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3522 — 4

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب